

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة كلية

اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والنقد



جامعة الأزهر

مجلة

كُلِّيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بدمهور

يصدرها أعضاء

هيئة التدريس بالكلية

تحت إشراف

الدكتور عبد الله بن يحيى محمد

عميد الكلية

العدد الثاني

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الطباعة الحديثة ٣ درج الأتراك بالأزهر

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة كلية

اللغة العربية بإشراف البروفيسور د. يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

إعداد وإشراف

أ.د. يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والنقد



جامعة الأزهر

مجلة

كلية اللغة العربية

بدمهور

يصدرها أعضاء

هيئة التدريس بالكلية

تحت إشراف

الدكتور عبد الله بن محمد

عميد الكلية

العدد الثاني

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الطباعة والنشر

٣٠ شارع الأندلس - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وأصحابه
ومن وآله

وبعد

فهذا هو العدد الثاني من مجلة كلية اللغة العربية بدمهور يعجل إلى قارئه
ليدعم ما جاء في سابقه ، ويتدارك ما فات في مقدمه ، ويحقق بعض ما تم
الوعد به في رائده ، ويؤكد المقولة المشهورة والقاعدة المعروفة : كم ترك
الأول للآخر ؟ والآخر في ميدان العلم لا يأتي إلا أن تقوم الساعة وتنقضي
حياة البشر في هذه الدنيا والمأمول أن يلبس القارئ ما بدأ الظهور في هذا
العدد من سمات التنوع ، ومظاهر التوسع ، ومحاولات التجدد وتلك
طبيعة الأمور وسنة التقدم والترقي تخضع لها - كغيرها - ظروف تلك
المجلة الناشئة وهذه الحولية الناهضة والحق أني أرى أن هذا العدد إنما
هو تكمله للعدد الأول ، وتتميم لهيكله وبنائه وإصلاح لما فرضته بعض
ظروفه المالية والإدارية حيث تعنت دائماً على البادية ، وتوضع القيود
على الناشئ وذلك على عكس ما يجب من توسيع على الجديد وتمهيد
ورعاية للوليد .

ومهما يكن فإن القافلة مستواصل السير تحت لواء العلم والمنهج وشعار
الصبر والإخلاص مؤدية رسالتها في خدمة العربية ورعاية الدعوة
الإسلامية قالية دائماً قول الحق سبحانه وتعالى :

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله
وما أنا من المشركين » .

وإلى لقاء قريب في العدد الثالث بإذن الله

عبد الله ربيع محمود

الإيقاع

بين الموسيقى واللغة

بقلم

دكتور

عبد الله بن سعيد المحمود

« الإيقاع » ، لفظ يتردد كثيراً في الدراسات الأدبية والنقدية في عصرنا ، ونراه كذلك فيما يكتبه بعض الدارسين لإعجاز القرآن الكريم أو الباحثين في صورته البيانية والبلاغية ، ويحس القارىء لكل هذا وغيره أنه أمام لفظ أو مصطلح غير واضح الدلالة ، والأصل في المصطلحات أن تكون محددة المعنى ، واضحة الدلالة ، بعيدة عن مظاهر التوهم والتوهيم .

من أجل هذا فكرت في إلقاء بعض الضوء على هذا « المصطلح » ، قبل أن يصيبه ما أصاب غيره من الألفاظ المائعة الدلالة التي تشيع في كتاباتنا الأدبية والبلاغية من قبل عبد القاهر وحتى اليوم .

وقد أكد هذا التفكير ودفعني إلى السير فيه أن هذا المصطلح يعد في الحقيقة من مصطلحات علم الصوتيات كما يعد موضوعه من أهم ما يسهم به هذا العلم في الدراسات الجمالية للغة ، وفي بيان ما في ألوان الكلام من مظاهر الجمال والتأثير .

والحق أن المكتبة العربية تكاد تخلو من الكتابات المتصلة بهذا الموضوع وما يشبهه من الموضوعات المتعلقة بالظواهر الموسيقية والعناصر الصوتية المرتبطة بأداء اللغة وتلحين الكلام .

وإذا كان القدماء من علماء العربية قد التفتوا إلى بعض تلك الأمور ووضعوا أيديهم على بعض القوانين المتصلة بها ، وبخاصة في الشعر فإن المحدثين منهم لم يحاولوا بعد إكمال المسيرة والكشف عما تمتلكه لغتهم من قوانين الأداء ، وجماليات التلحين والتنغيم ، وإن كثيراً منهم ليكتفى اليوم بترداد التعبيرات التائهة مثل : حلاوة الإيقاع ، وسرعة الإيقاع وجماله ، والإيقاع العذب أو الجميل . . الخ ما نلقى في كثير من الكتابات التي لم يحاول أصحابها حتى هذه الساعة ، تحديد معنى الإيقاع ، والكشف عن مظاهره ، ووسائله ، ووحداته فيما يتحدثون عنه .

ومن المعلوم بوضوح أن الحديث العصري عن الإيقاع وأثره إنما شاع
بيننا نتيجة لتأثر الثقافة العربية العصرية بالثقافات الحديثة الأخرى وخاصة
بالثقافة الأوروبية التي بلغت في مثل هذه الأمور شأوا بعيدا ، ومن ثم فإن
لفظ الإيقاع صار يرادف ما يسمى بالإنجائزية مثلا مصطلح Rhythm
ويعرف بما يعرف به ذلك المصطلح الأجنبي حيث قصد به معناه
وما يراد به .

ويمننا قبل أن نشرح ذلك أن نتعرف أولا على لفظ الإيقاع
في العربية قبل اقترانه بذلك المصطلح الدال على هذا الجانب الموسيقي
في اللغة .

إن هذا اللفظ يرجع في العربية إلى مادة « وقع » وهي كما يقول ابن
فارس : الواو والقاف والعين أصل واحد يرجع إليه فروعه يدل على
سقوط شيء يقال : وقع الشيء وقوعاً فهو واقع . . . (١) ومعنى ذلك أن
هذا اللفظ هو في الأصل مصدر لأوقع يوقع إيقاعاً ، ولم يذكر ابن
فارس لفظ الإيقاع فالتسسته في العين عند الخليل ، وفي الجوهرة عند ابن
دريد ، وفي الصحاح عند الجوهري ، وأخيراً وجدته في لسان العرب لابن
منظور ، وفي القاموس المحيط للفيروزبادي فقد ذكر صاحب اللسان :
والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء ، وهو أن يوقع الألمان ويدينها وسمى
الخليل رحمه الله كتاباً من كتبه في ذلك المعنى : « كتاب الإيقاع » . . . (٢)
أما صاحب القاموس فإنه يذكر والإيقاع إيقاع ألحان الغناء ، وهو أن

(١) مقاييس اللغة « وقع » ١٣٣/٦ وما بعدها .

(٢) لسان العرب « وقع » .

يوقع الألحان ويبينها .. (١) وقد علق المحشى على ذلك بقوله : قوله :
ويبينها من البناء ، وفي بعض النسخ يبينها وهو الذى فى اللسان والعباب
كما فى الشارح ، ، ويفهم من كل هذا أن ذلك اللفظ أو المصطلح لم يستعمل
عند العرب إلا فى مجال الموسيقى والألحان ، وأنه يقصد به توقيع الألحان
وبناؤها أو تبينها ، ويجب أن نعترف هنا بغموض هذا التعريف ، فإذا
يعنى بالتوقيع البناء أو التبيين فى معجم يرجع إليه كل من يبنى الإفادة
ولو كان غير متخصص فى الموسيقى والغناء ؟ ثم ما العلاقة بين هذا المعنى
الذى هو اصطلاحى أو قريب من الاصطلاحى والمعنى اللغوى العام الذى
أشار إليه ابن فارس أو أى معنى من المعانى الفرعية الأخرى ؟ إن الذى
يبدو لنا أن المقصود بالإيقاع الموسيقى فى الأصل هو الضرب بقضيب
ونحوه لتحديد مقادير اللحن وأوزانه ، على حد قول الجاحظ « والمعنى
قد يوقع بالقضيب على أوزان الأغاني » (٢) وقد ذكر أيضا قولهم : القضيب
للإيقاع ، أى للدلالة على صور الألحان وحدودها ، ثم توسع فى المعنى
بعدئذ فصار يطلق على ما يشتمل هذا الضرب وغيره مما يحيز اللحن ويبينه
أو يبينه . ومن ثم فقد استخدمه الخليل اسما لكتابه وما أظنه يقصد به
غير المعنى الموسيقى العام أى اللحن أو التلحين .

وتظهر علاقة المعنى الأصلي فى الاستعمال الموسيقى بالمعنى اللغوى
العام عندما نتصور ما فى ضرب الألحان من معنى السقوط كما تظهر
هذه العلاقة واضحة بأخذ المعانى الفرعية الذى هو كما يقول صاحب الجهرة :

(١) القاموس المحيط : « وقع » .

(٢) البيان والتبيين ١١٩/٣

(٣) المرجع السابق ١٢/٣

وقعت الحريضة أفحها وقعا ضربتها بالمطارقة (١) ، فهذا ضرب وذاك ضرب ،
ويمكن أن فلتمس تلك العلاقة أيضا في وقع الأقدام عندما نتذكر أن
الإيقاع والموسيقى بصورة عامة ، ترتبط من جانب أو آخر ، بحركات
الأقدام وأثر وقوعها على الأرض في المشي العادي أولا وفي الرقص
ثانيا ، وما نشأ الإيقاع في أول الأمر إلا نتيجة لتلك التحركات الجسمية
التي كان الإنسان يقوم بها في عمله أو طوره .

ومهما يكن فقد استقر مصطلح الإيقاع في الموسيقى ، وظل على هذا
الحال ، ولم يستخدم في الجانب اللغوي تاركا لمصطلحات أخرى مثل
الوزن ، أو العروض ، التعبير عن هذا الجانب فيما يتصل باللغة أو الكلام
فلما بدأ الحديث في اللغات الأوربية عن الجانب الموسيقي المسمى : Rhythm
في الموسيقى واللغة اقترن مصطلح الإيقاع به واقتل معه من حديث
الموسيقى ودراستها إلى حديث اللغة ودراستها ، وصار مألوفاً أن نجد
« الإيقاع » بين مصطلحات علم الصوتيات كما نجده بين مصطلحات علم
الموسيقى والغناء .

وهنا نتساءل عن المقصود بالإيقاع بصورة عامة ؟ وعما يعنى به
موسيقيا ولغويا ؟ .

الواقع أن الإيقاع بالمعنى العام هو كما تقول سيسيل « نوع من
السرور نجده في أنفسنا عندما ننتج أو ندرك سلسلة من التحركات
المتشابهة تشابها قليلا أو كثيرا ، بحيث تتميز هذه السلسلة بنشاط صاعد
وهابط ، ونتيجة لتداعى المعانى فإن هذا السرور نفسه ، ينطبق على
انطباعات البصر والسمع ، وبالتالي فإنه ينطبق أيضا على اللغة (٢) » .

(١) جمهرة اللغة « وقع »

(٢) بحث في أعمال المؤتمر الدولي الثالث للصوتيات .

وقد عبر « هفتر » عن ذلك بصورة أدق فقال : « عندما نستعمل مصطلح الإيقاع Rhythm بدقه فإنه يدل أو يعنى تجربة [يعيشها المرء بإحساسه] ، فالإيقاع هو التعرف على مجموعات أو قوالب من أحداث متعاقبة ، وعندما نعيش تجربته ونحسها ، فإننا ندرك ونعى انتظاما أو نوعا من الانتظام في استمرار وتكرار عملية القولبة ، في داخل مجموعة من الحوادث (١) .

ومن هذا الكلام يتضح لنا أن الإيقاع يعنى هنا مجرد الإحساس والشعور الذى ينشأ من تكرار بعض الأحداث أو الأمور المتشابهة وانتظام هذا التكرار واستمراره وسواء كان هذا الإحساس أو الشعور الصادر ناشئا عن مبصر أو مسموع ، أو عن غير ذلك مما يشير الإنسان ويوقظ شعوره ، ومن ثم فقد ظهرت صور الإيقاع في كل ألوان الحياة ، وفي جميع ألوان الفنون ، فهو يحس في تنفس الإنسان وفي نبضات قلبه ، وفي مشيه ، وفي عمله حيث تراه في صورة الحرث الجيد للفلاح ، وفي دوران المحرك السليم عند « الميكانيكى » ، وتراه كذلك في لوحة الرسام ، وفي كل مظاهر الفن ، من تصوير ، ونحت ، وشعر ، وموسيقى ، مع وضوح أكثر في هذين الفنين الأخيرين .. إنه في دورة الأفلاك ، وتعاقب الليل والنهار وتوالي الشمس والقمر بحسبان . ألسنا نحس في كل هذا انتظام التكرار ، وندرك عملية القولبة في داخل كل مجموعة الأحداث ؟ ألسنا نحس بلون من السرور والمتعة كلما عشنا مع مظهر من تلك المظاهر المتكررة المتعاقبة ؟ ألسنا نميل إلى تصورها والبحث عنها إذا لم تمدنا بها الطبيعة أو الحياة التى نحياها ؟

لقد أدرك الإنسان كل هذا من قديم وعرف أن حياته نفسها ليست

إلا سلسلة من الإيقاعات المتزامنة والمتعاونة . فراح يبحث عن أسرار تلك الإيقاعات وعواملها ، فعرف أولا الإيقاع الموسيقي وأدرك قوانينه وحدوده وعرفه بأنه « هو قسمة اللحن بنقرات وهو النقلة على أصوات مترادفة في أزمنة تتوالى متساوية ، وكل واحد منها يسمى دورا ، وأقل ما يكون الدور في الإيقاع من نقرتين .. الخ (١) »

وكان للمحدثين في ذلك جهود كبيرة يعرفها علماء الموسيقى والمشتغلون بها وليس هنا محل تفصيلها .

وعن طريق معرفة الإيقاع الموسيقي اهتدى الإنسان إلى التعرف على الإيقاع اللغوي ، وأيقن أنه لا يمكن الكلام عنه بصفته إحساسا أو إدراكا عمتعا ، بل لابد من التعرف المادى على ما يثير هذا الإحساس ويصنعه .

وقد أشار هفنز إلى هذا بقوله : وعندما نتكلم عن الإيقاع في لغة فإننا عادة ننقل انتباهنا من إحساسنا بالتجربة إلى الإثارة التي تنتج هذا الإحساس ، وندرس قوالب الكلمات أى قوالب المجموعات أكثر من أن ندرس إحساساتنا بها (٢) وهذا حق فإن الدارس اللغوي لا يتناول الأساس وإنما يدرس من اللغة ما يثيرها ويصنعها . ومن هنا يأتي الفرق في دراسة الإيقاع بين عالم اللغة وعالم النفس فمن الممكن أن يدرس عالم النفس (٣) الإيقاع باعتباره إدراكا أو إحساسا معيناً على حين أن عالم معيناً على حين أن عالم اللغة عندما يتناول هذا الموضوع إنما يتناوله من

(١) الحسن بن أحمد بن علي الكاتب : كتاب كمال أدب الغناء ص ٩٢

Gen, Pho, P 224

(٢)

(٣) من الدراسات النفسية عن الإيقاع باللغة العربية بحث للحصول

على درجة الماجستير من جامعة القاهرة بعنوان : الإيقاع الشخصي =

فأحية كونه لغة أو كلاما أثار متعة ، وصنع إحساسا بالجمال ، ومن الممكن للدراسين أن تلتقيا في علم اللغة النفسى أو في علم النفس اللغوى .

وعندما فصل بالإيقاع إلى دائرة اللغة والكلام فإننا نجد أنفسنا أمام ما سماه «هفتر» لقوالب الكلمات أو قوالب مجموعاتهما .

وفرى أمامنا عدة قصورات للتعرف على تلك القوالب الإيقاعية فهناك من يرى التعرف عليها من الجانب الفسيولوجى .

يقول فندرييس : « لقد رأينا أن إصدار النفس من فتحة القصبة الهوائية لا يتم دائما على صورة واحدة : طرد النفس ليس مستمرا لأن العضلات التى تنظم مرور النفس تسرع التحرك أحيانا ، وأحيانا تبطئه . وبناء على ذلك يكون لدينا تزايدات فى السرعة ، وتخفيضات لها ، وتوقفات وقرعيدات أكبر أو أقل فى العدد على حسب اللغة ، وعلى حسب المتكلم ، وبعبارة أخرى فإن الكلام المنطوق يشتمل فى داخله على أساس إيقاعى فى ضربات منبورة وغير منبورة تماما كما تقسم الجملة الموسيقية إلى تقطيعات بدون نظر إلى «الميلودى» ، فبالطريقة نفسها نستطيع أن نتعرف فى داخل أى جملة منطوقة بصرف النظر عن معناها — ونحس عددا من الأقسام ، أقل إنتظاما وأكثر قابلية للاختلاف فى الكم ، (١) .

ومن الواضح أن فندرييس وهو يعنى التقسيم الإيقاع فى الكلام على الأساس الفسيولوجى يلفت نظرا إلى حقيقة يجب أن نشبه لها مبكرا .

= والإيقاع فى الشعر المفضل من إعداد عبد السلام أحمد الشيخ اطمعى عليه مشكورا الأخ الدكتور عبد المنعم يوسف .

(١) اللغة : الترجمة الإنجليزية ص ٥٥ وأنظر ص ٨٦ وما بعدها فى الترجمة

وهي أن التقسيم الإيقاعي في الكلام لا يتمتع باصرامة التي تكون في التقسيم الإيقاعي في الموسيقى حيث يفتقر في الكلام من صور عدم الانتظام مالا يفتقر بالطبع في الموسيقى .

وإذا كان « فندريس » لم يؤكده على الجانب المعنوي في تصويره الفسيولوجي الإحساس بالإيقاع فإن الأب « رسلو » قبل ذلك قد أشار إلى هذا الجانب في تصويره للإيقاع إذ يقول : إن الإيقاع هو العود الفترى لوحدة التقطيعات ، والتقطيعات الداخلية ، والجل التي وزنها منتظم ، وذلك بواسطة الاختلافات في المجهود التقطيعي (النطقي) وبحدود الطاقة التنفسية من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسبب الحاجة إلى التعبير والحاجة إلى متطلبات الفكرة ، (١) .

ومن الباحثين من يرى التعرف على تلك القوالب والوحدات السابقة عن طريق الوسائل الصوتية وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن وسائل الإيقاع وعن العوامل الصوتية التي تصنع وحداته وتثير عند السامع الإحساس بالعود والتكرار ؟

لقد أشار « هفنز » في إجمال إلى تلك العوامل أو الوسائل فقال : « ويرجع هذا الانتظام — أي إنتظام الاستمرار والتكرار لعملية القولية في داخل مجموعة من الحوادث — إلى الفروق في الشدات النسبية وأيضا إلى الفروق بين الكميات النسبية من الزمن تلك التي يحسها المستمع ، والتي ترتبط ارتباطا تلازم مع المكونات المختلفة للقالب » (٢) .

وقد أشار « هفنز » بهذا إلى أهم عاملين في صنع الإيقاع ، وهما الشدة

1 — Rousselot, Principes De phonetique exper imntal, .

2 — Gen. Pho. ,P 224

أو ما يمكن تسميته بالنبر ، والسكم الزمني أو ما يمكن تسميته بالتزمين ، وقد وضع « فاسيليف » هذا بقوله : الإيقاع في الكلام هو تكرر المقاطع المنبورة في المجموعة المعنوية في أبعاد زمنية معينة .. في الكلام الإنجليزي المتصل فإن المقاطع المنبورة لها ميل قوى إلى أن يتلو كل منها الآخر بقدر ما يمكن من القرب ، في أبعاد زمنية متساوية ، والمقاطع غير المنبورة سواء كانت كثيرة أو قليلة تستغرق الزمن بين المقاطع المنبورة وهذا يؤثر في تزمين tempo الكلام ، (١) .

وقد زاد العالم الألماني « فون اسن » هذه الفكرة توضيحا فقال : إن الإيقاع هو عبارة عن العود المتكرر الدوري لكو كبات من الأحداث متشابهة ومترابطة تعود وتتكرر على نظام متشابه ومن خلال أو عن طريق بناء قهم ديناميكية تصنع كل منها وحدة ، وليس محتما أن تكون قطع الزمن المملوءة بسلاسل متشابهة من الأحداث متساوية ، الفترات الدورية من الزمن يمكن أن تكون طويلة وقصيرة ، وبذلك يكون نوع السرعة وطابعها حيويا أو نشيطا ، إن جوهر الإيقاع وفكرته الأساسية ينسحب على صورة البناء ، وليس على مدة زمن الدورة .. (٢) .

وقد أشار كثيرون إلى أثر النبر ودوره في صنع الإيقاع حتى لقد جرت محاولات لدراسة النبر عن طريق الإيقاع ، وأصبح دور النبر في صنع الإيقاع مما هو معلوم في علم اللغة والصوتيات بالضرورة (٣) .

يقول فاسيليف : إن لنبر الجملة وظيفتين رئيسيتين : الأولى أن يميز الكلمات في الجملة طبقا لأهميتها الدلالية النسبية فكلما كانت الكلمة أكثر

1 — Ves , English, phonetics P, 149.

2 — Von Essen 2., 912.

(٣) انظر بحثنا عن النبر في نطق العربية الفصحى

رسالة دكتوراه بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة

أهمية كلما كانت أقوى في النبر، والثانية أن يقدم أساسا للببناء الإيقاعي للجملة فإيقاع الكلام الإنجليزي يتكون بوساطة تكرار المقاطع المنبورة في أبعاد زمنية منتظمة قليلا أو كثيرا وبوساطة تبادل المقاطع المنبورة وغير المنبورة (١).

ويؤيد « فوناسن » هذا المعنى ذا كرا أن النبر يبنى ما يسمى بالجسم الإيقاعي Rhythmischer Körper للجملة الذي هو عبارة عن كل المقاطع المحصورة بين القوادم (أي المقاطع ذات الضغط الأضعف من إبراز المقطع الرئيسي والسابقة له) والخواتم وهي المقاطع التي تأتي بعد المقطع ذي النبر الرئيسي (٢).

ويبين لنا كل هذا مدى الارتباط القوي بين النبر وصنع الإيقاع حيث يستخدم المتكلم تلك الإبرازات أو النبرات في تقسيم كلامه وصنع الوحدات الإيقاعية المتشابهة فيقترب بذلك مما يصنعه الموسيقي بوساطة النقرات المتتالية، ومن ثم فقد ربط كثير من الباحثين بين النبر والإيقاع وأطلقوا لفظ الإيقاع على النبر والظاهر أنهم قد تأثروا في ذلك بتنظيم لغاتهم التي تعتمد في إيقاعها بصورة رئيسة على حدوث النبر يقول أرنولد: الظاهرة التي تتكرر على أبعاد منتظمة بحيث يشعر الإنسان بالإيقاع هي النبر (٣).

والحق أن الإيقاع وإن كان يعتمد على النبر بصورة أساسية إلا أن هذا لا يمنع من حدوث تفاعل بين مختلف العناصر الصوتية من شدة ونغمة وكم زمني وتلوين صوتي يجعل الإنسان في انفعال جسمي وروحي في أثناء

1 — English Phon. p. 168

2 — Allg. vnd Ang. Phon 2 -191

وانظر: النبر في نطق العربية الفصحى ص ٩٧

3 — lingua, vo - bno, 3 p 227

تشكيل المتكلم لإيقاعه على هذه الصورة (١) .

ولقد أشار كل من « هفتر » و « فون إس » إلى أهمية العنصر الزمني في صنع الإيقاع ، وأوضح « فون إس » إمكانية صنع إيقاعات عن طريق الكم الزمني .

وقد أثار زميلنا الدكتور عبد العزيز علام هذه القضية في بحثه عن التزمين فذكر أن من الإيقاع ما يسمى بالإيقاع الكمي أو الزمني وهو الذي يأتي عن طريق تكون وحدات زمنية تتكرر بشكل مخصوص ، وأثبت أن التزمين عنصر إيقاعي موضحاً أن الأحداث الصوتية المتعاقبة كما يمكن أن تكون نبرات فإنه يمكن أن تكون كذلك كمات زمنية أو وقفات أو سرعات ، وذلك بأن يصنع المتكلم تغييراً مفاجئاً على مسافات زمنية معينة في مسار خط التزمين إما راعاً أو إبطاءً .

وقد أكد كلامه هذا بتجربتين إحداهما سمعية ، والأخرى بوساطة أجهزة التحليل الصوتي ثم أشار بعد ذلك إلى ما التزمين من أثر في إحساس السامع بالجانب المتصل بسرعة الإيقاع أو بطئه وما يحدث في تصنيف الإيقاع من هذه الناحية « فيكون لدينا إيقاع سريع ، وإيقاع بطيء ، وإيقاع متوسط ، وإيقاع سريع جداً ، وإيقاع بطيء جداً وهكذا... » (٢) .

والذي يبدو لنا أن كلا من النبر والتزمين متلازمان في صنع الإيقاع وإحداث الشعور به لدى السامع لكن أحدهما ربما غلب في نظام لغة فازداد الشعور به ونسب الإيقاع إليه على نحو ما نراه في تقسيمهم للإيقاع إلى قسمين رئيسيين هما الإيقاع النبري ، والإيقاع الزمني أو التزميني ،

1 — Von Essen Allg... 2196

(٢) انظر : من التزمين في نطق العربية الفصحى ١٠٧ — ١١١

(٢ — مجلة دمشق ع — ٢)

ويلاحظ هنا أن العناصر الصوتية الأخرى مع ما لها من أثر في إحداث الإيقاع فإن البحث الإيقاعي لا يلقى إليها اهتماما كبيرا نظرا لبروز العاملين السابقين ، ودخول تلك العناصر الصوتية فيهما بشكل أو بآخر ومن الملاحظ أن اللغة العربية — على الرغم من دعاوى خلوها من النبر — تستعمل كلا من النبر والسك في صنع الإيقاع بها كما سيظهر عند دراسة إيقاع الشعر بها .

وقد أشار العلامة دفون إسن، إلى ترابط العناصر الصوتية المختلفة وتعاونها في صنع الإيقاع فقال : « ولأن الإيقاع في أضيق معانيه ينسحب على التقطيع والتجزئ ، إلى سلميات ديناميكية وبعبارة أخرى ينسحب على رفع وخفض ، أو بعبارة ثالثة ينسحب على مسار درجة شدة التسكيم إلا أن هذا الإيقاع يعبر عن نفسه في تفاعل وتعاون على التأثير ، مختلف الأنواع ، وتفاعل متعاور دائما أبدا لشدة الصوت ، لحدة الصوت ، لطول الزمن المستغرق في صنع الصوت اللغوي ، لطبقة الصوت ، وأخيرا للون الصوت ، فإن إدراكك للإيقاع وتذوقك له إنما يعتمد ويتأسس على إحساسك « بالتواليقة » والتركيبية المعقدة ، إنه يعبر عن نفسه بما لا حصر له من القوالب ، ويجعل تشكله عند السامع فقط من خلال انفعاله جسميا وروحيا انفعالا كلياً ، ويتم هذا التشكل لدى السامع في أثناء تشكيل المتكلم لإيقاعه ، وعلى صورة هذا التشكيل ، ومن خلال تجاوب السامع (سيكو فزيائيا) فقط سيكون ادراك الإيقاع ، (١) .

وهنا لا بد من التساؤل عن العلاقة بين الإيقاع وما يسمى بالأداء أو التلميح حيث نرى أن الوسائل الصوتية في كل منهما تسكاد تكون واحدة ، بل هي واحدة بالفعل فعناصر الأداء من النبر ، والتنغيم ، والتزمين ،

والتلويين الصوتي ، والوقوفات هي التي تصنع لنا الإيقاع كما سبق ذكره .

إن هذه العلاقة — فيما يبدو لنا — تدخل تحت ما يسمى بعلاقة العموم والخصوص فالتلحين أو الأداء أعم إذ أنه يجمع من صور التكلم ما يكون إيقاعا وما لا يكون وتحقق فيه تلك العناصر الصوتية مقولية مكررة — على ما يحدث في الإيقاع — وغير مقولية أو مكررة على تلك الصورة العادية البعيدة عن المظاهر الإيقاعية .

ومن هنا يأتي انقسام الكلام إلى كلام إيقاعي موزون ، وكلام عادي أو غير إيقاعي .

إن الإيقاع يعد في الحقيقة أحد مظاهر الأداء ، ومن ثم كان اختصاص الكلام الملزم بالإيقاع أو الذي يكون الإيقاع أحد مكوناته وضروراته باسم أدائي خاص هو الإنشاد أو الترتيم أو ما يشبههما .

وعلى هذا فإن كل إيقاع يعد تلحينا أو أداء ولا يعد الأداء أو التلحين إيقاعا إلا إذا حدث فيه التكرار بصورة متعاقبة .

لكننا يجب أن نتذكر هنا أن لفظ « الإيقاع » يطلق أحيانا مع شيء من التجوز على ذلك العنصر الأدائي أو الموسيقي الذي تفرضه اللغة ، ويلتزم به نظامها ، وهنا نراه مثلا يطلق على موسيقى الشعر التي هي أمر مفروض في النظام الشعري ، بحيث أن أي تغيير في ذلك يفسد هذا النظام مثل أي تغيير في النظام الصرفي الذي يحتم مثلا أن يكون المشتق على وزن كذا ، فهذا شيء تفرضه اللغة والإيقاع أمر أو شيء يأتي فوق مستوى الصحة الإسنادية ، والصيفية والموسيقية ، الذي تفرضه اللغة . . ومن ثم فإنه يستحسن في مثل هذه الحالة أن يفرق بين الموسيقية المفروضة بإطلاق لفظ الوزن عليها وبين الموسيقية التي هي فوق الجانِب المفروض أو الضروري وذلك بإطلاق لفظ الإيقاع عليها . تلك فقط وجهة نظر .

وإذا كان الأداء أو تلحين الكلام مرتبطاً — كما هو معروف بالمعنى أو الدلالة فإننا لابد أن نتساءل هنا عن العلاقة بين هذا العنصر الأدائي الموسيقي الذي هو الإيقاع وبين المعنى؟ وهل يتحتم على الإيقاع أن يكون خاضعاً لمتطلبات المعنى ووظائف اللغة، أو أنه يمكن أن يأتي لمجرد الموسيقى، وما يتصل بها من عناصر المتعة والجمال؟

لقد اختلفت تصورات الباحثين أمام هذا التساؤل، وقد مررنا منذ قليل حديث «رسلو» الذي يشير فيه إلى دواعي الإيقاع، ويوجزها في سببين :

أحدهما : يرجع إلى الطبيعة الفسيولوجية للمتكلم .

أما الثاني : فإنه يرجع إلى الجوانب المعنوية الذي يدفع المتكلم إلى صنع الإيقاع ليبر عن انفعالاته وعواطفه أو عن أفكاره، وأغراضه وبهذا يرى الأب رسلو أن الإيقاع ليس مظهراً جالياً فقط، وإنما هو ذو وظيفة تعبيرية أحياناً، وفكرية أحياناً أخرى .

وإذا كان هذا هو رأى رسلو ومنه يظهر أن هناك ارتباطاً بين الإيقاع والمعنى فإن هناك من الباحثين من يرى عكس هذا الرأي ذاهباً إلى أن هناك خصومة بين الإيقاع والمعنى، تقول مسز سسيل : « وإلى جانب ما ذكره فإنه يبدو أن هناك تعارضاً بين المعنى والإيقاع . »

وقد أشار إلى هذه الحقيقة مؤلفون عديدون مثل : باس Possy

يسبرس Jespersen ، سوس Soames ، زيفرز Sievers

دي جروت De Groot ، وهجوز Hegedus

ورأى هؤلاء أنه كلما زاد الانتباه إلى الإيقاع كلما قل الاهتمام والعناية بالمعنى والعكس صحيح ، فإن هناك نغمات عديدة وتشكيلات كبيرة من الأحوال الزمنية ومن مستويات شدة الصوت كلها عندما تسهم في تقوية المعنى فإنها تقو من حدوث المجموعات الإيقاعية (١) [أى أنها تجنى على المجموعات الإيقاعية أو كما قال « هفنز » ، تكسر وتهدم أسوار الإيقاع ، وقد أشار هفنز إلى تلك القضية عند حديثه عن العامل المؤثر في تحديد مكان نبر المجموعة وهل هو الإيقاع أو نظام التنبير الخاضع للمعنى فقال : باستبعاد وتعطيل تأثير الإيقاع وأحيانا ضد تأثيره فإن اعتبارات التنبير (أى ملاحظة دوافعه وأهدافه التى قد تكون معنوية أو قائية ، يغلب أن يكون هما هو تحديد مكان النبرات الرئيسة فى داخل مجموعة مدججة من الصيغ ، (٢) .

وكان هذا الكلام يشير إلى أن المعنى قد يتطلب وجود النبر فى مكان على حين أن الإيقاع يتطلب كونه فى مكان آخر فيحدث بذلك ، التعارض بين المعنى والإيقاع .

بل لقد صرح « هفنز » ، بما هو أكثر من ذلك عندما ذهب إلى أن الإيقاع فى اللغة إما يكون مهما باعتبار عاملا أسلوبيا أكثر من اعتباره عاملا دلاليا ، كذلك فليح مثل هذا فى تفريقه بين أسس الإيقاع وأسس التنبير حيث يذهب إلى أن أسس الإيقاع عامة غالبا بين الأمم ، موحدة بدرجة كبيرة بين اللغات .

أما أسس التنبير ، فإنها مسألة تعارف واصطلاح أكثر من أن تكون مسألة ضرورة فسيولوجية ، ولذلك فهى مختلفة من لغة إلى لغة ومرتبطة — طبيعا — بالمعنى .

وفي تصوري أن التعارض بين الإيقاع والمعنى وحصر وظيفة الإيقاع في الجانب الشكلى فقط من اللغة ليس حكما عاما في كل اللغات ولا في كل الظروف ، فقد يتفق نظام الإيقاع مع النظام المعنوى أو الدلالى في بعض اللغات على نحو ما نراه في اللغة الإنجليزية مثلا التى ارتبط فيها نظام الإيقاع بنظام التعبير الذى هو خاضع للمعنى على ما هو معروف .

وربما كان ذلك وراء ما ذهب إليه بعض الباحثين في الإنجليزية من
التعبير عن النبر بالإيقاع ونسبة كثير من الوظائف اللغوية والمعنوية إلى
هذا الأخير (١) .

وترجع القضية حينئذ إلى المتكلم وإلى مدى عنايته في كلامه وفي أدائه
بالشكل أو بالمعنى ولن يكون الإيقاع في هذه الحالة سوى عنصر من العناصر
التي يملكها المتكلم ويستطيع توظيفها على حسب أغراضه وأهدافه ،
وقدراته ، ولقد مر بنا جميعا من يصنعون الصور الإيقاعية من أصوات اللغة ،
بجردة تجريد تاما من كل معنى بهادف التسلية أو التلاعب وربما يكون
ذلك بغير هدف ، ولقد ضحكك طويلا عندما طلب منى أحدهم أن أفنق
هذا البيت :

من جبع البجع وجاحده جبعيت وجاه وجاجه

وهو كما نرى ليس إلا مجموعات من الوحدات الإيقاعية ملأها هذا النطاق بأصوات أغلبها من صوت الجيم على وزن قول الشاعر :

۱. حسنین دنیاہ و آخرتہ

وكم للصغار في هذا الجانب من مقطوعات ينظمها الإيقاع بعيداً عن كل غرض أو معنى .

(۱) انظر :

وإذا كنا قد عرفنا شيئاً عن الإيقاع وعن الوسائل التي تجعلنا نحس به فإنه يجدر بنا أن نتساءل عما يحدثه الإيقاع في الكلام وعن تلك التقسيمات التي تتكرر محدثة ما يسمى بالجسم الإيقاعي سواء كان ذلك التقسيم حادثاً بسبب النهر أو بسبب غيره كالحكم الزمني أو التزميني ؟

إن التقسيمات أو التقطيعات الكلامية ذات ألوان عديدة منها ما يرجع إلى نظم اللغة ومنها ما يرجع إلى طبيعة التنفس وإخراج الكلام ومنها ما يرجع إلى أسوار وعوامل الإيقاع ، حيث يسمى كل قسم هنا بالوحدة الإيقاعية أو القالب الإيقاعي ، وهذه الوحدة تبدأ من المقطع .

فقد اكتشف البرفسور دي جردت المقطع على أنه أصغر وحدة إيقاعية في الكلام ، وأثار بذلك مشكلة أي شيء تكون الوحدة الإيقاعية التي تلي المقطع أو تلي هذه الوحدة الأولى ؟

ولقد حاولت « سيسيل » أن تحصل على تلك الوحدة فقامت بالتجربة التالية :

١ — استمعت إلى قطعة أدبية من اللغة الهولندية مرات عديدة .

٢ — استفادت من التسجيل لأنه يبعد الفروق التي تظهر عند المتكلم من وقت لآخر .

٣ — استفادت باستماع البروقسور بلانك Blancu وقارنت وحداتها بوحداته حتى تستبعد الفوارق في الإدراك السمعي .

٤ — حرصت على عدم الالتفات إلى المعنى وركزت كل اهتمامها على الإيقاع .

وبهذه الطريقة حصلت على المجموعات الإيقاعية التي كانت تتكون من مقطع إلى ثلاثة مقاطع ، ولم تزد بأية حال عن خمسة مقاطع فيها مقطع

يجذب الاهتمام أى أنه بارز واضح ، واستنتجت من ذلك أن الحصول على المجموعات الإيقاعية فى اللغة الهولندية يكون عن طريق النبر ، ولذلك فقد سميت هذه المجموعات بالمجموعات النبرية (١) .

والظاهر أن ما استنتجته « سيسيل » فى اللغة الهولندية قد حصل عليه بالنسبة للغات أخرى ، إلا أنه قد يختلف فى التفاصيل .

فهذا « فاسيليف » يذكر أن المجموعة الإيقاعية فى اللغة الانجليزية يكونها المقطع المنبور المنطوق مع مقاطع غير منبورة ، ويقول إن المجموعة المعنوية يمكن أن تتكون من مجموعة إيقاعية أو أكثر وعندما توجد مجموعات إيقاعية عديدة فى المجموعة المعنوية فإن كلا منها سيأخذ فى النطق قدراً زمنياً واحداً تقريباً ، (٢) .

وقد كررنا مسألة الزمن هنا بالتساؤل عما تستغرقه الوحدة الإيقاعية من زمن عند النطق بها ؟

وقد فسر « دى جروت » فى هذا الموضوع ورأى أن الطول الأفضل للوحدة الإيقاعية هو ٧٥٪ من الثانية مع تارجح فى الواقع بين ثابنتين فى أكبر طول ونصف الثانية فى أصغر طول . لكن سيسيل لا ترضى عن هذا القول وتعلق عليه قائلة :

« إننى أعتقد أنه من غير الممكن أن يسجل وجود ميل نحو أى طول زمنى حقيقى (أى غير نسبى) وذلك لأن الطول المطلق يتوقف على التزمين الذى ينطق به هذا الطول والتزمين يمكن أن يكون يختلف بدرجة كبيرة حتى فى مجرى أو ثانياً الجملة الواحدة » (٣) .

1 — Stress Groups, P., 249

2 — Engl ... , Pho... , p. 180

3 — striss Gr... , P. 250

ومن كل ما سبق يمكن القول بأن النبر والسك الزمنى هما المسئولان الأساسيان عن تكون الوحدات أو المجموعات الإيقاعية في الكلام وأن دور النبر في ذلك يبدو واضحاً جداً لدرجة أن بعضهم يذهب إلى أن تكوين الوحدة أو المجموعة الإيقاعية لا يتوقف على النبر القوي وحده بل إن النبر الثانوي أيضاً يعطى الفرصة لحدوث تلك المجموعة وذلك إذا كان محوطاً بمقاطع غير منبورة ، ولكنه لا يكون قادراً على ذلك إذا كان على مقربة من نبر أساسى .

هذا وقد ذهب بعضهم (١) إلى أن الوحدة الإيقاعية في العربية كانت عبارة عن مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة أى أنها كانت ناشئة عن الإيقاع السكى وهذا رأى يتفق مع ما ذهب إليه المستشرقون ومن تبعهم من أن العربية الفصحى كانت خالية من النبر وقد رددنا هذا رأى في موضع غير هذا ، وربما تعرضنا لهذا الموضوع عند الحديث عن إيقاع الكلام المرسل في العربية .

الإيقاع بين النظم والنثر :

وإذا كان الكلام قد استقر — كما هو معلوم — فى صنفين أو نوعين كبيرين هما النظم والنثر أو الشعر والكلام المرسل فإن الباحث عن الإيقاع لا يستطيع تجاهل ذلك التساؤل المهم عن موقف الإيقاع هذا التقسيم وعن مدى تحققه فى كل قسم من هذين القسمين المعروفين ؟ .

والواقع أن للإيقاع هنا دوراً كبيراً فى عمالية التقسيم والتنوع وفى تحديد الخصائص الأساسية بكل صنف من صنفى الكلام ، وهن الممكن

(١) انظر : كافيتيڤو : علم أصوات العربية ص ١٩٨

أن نتحدث عن ذلك بوضوح أكثر عندما نتناول قضية الإيقاع مع كل
منهما على النحو الآتي :

١ - الإيقاع والشعر :

الشعر فن كلامي بديع ، ونظام لغوي رائع ، يخاطب الوجدان
ويستثير العواطف ، وتصطنعه كل الأمم والشعوب ، وقد ذكر العلماء له
تعريفات كثيرة من أشهرها قول قدامة بأنه عبارة عن « قول موزون
مقفى يدل على معنى (١) » ، وهذا التعريف يمثل مذهب القدماء من علماء
العربية الذين كانوا لا يرون في الشعر شيئاً يميزه عن النثر إلا ما فيه من
تنمهي الوزن والقافية وقد رأى « أرسطو » من قبل أن الدافع الأساسي
للشعر يرجع إلى علمتين :

أولاهما : غريزة المحاكاة أو التقليد .

والثانية غريزة الموسيقى أو الإحساس بالنغم (٢) ، وقد كان للنقاد بعد
ذلك تعريفات كثيرة مختلفة ولا نكاد نجدهم يتفقون على تعريف واحد
لهذا الفن الخالد . ، وليس من شك في أن النظم هو العنصر الأساسي
للشعر . . . وأنه ليس شيئاً ثانوياً بالنسبة إليه ، إذا أنه الصياغة الموزونة ،
والتعبير الموسيقي للفكرة ، ويؤيد ذلك صنيع اليونانيين وهم أرقى
الشعوب من ناحية الفن وليس النظم في الواقع سوى الأداة الشعرية
والتعبير الطبيعي لتأثير نفس أو حالة من حالات الإحساس (٣) ،

أما الوزن فهو عبارة عن وضع منسق متشابه يكون هذا الوضع

(١) نقد الشعر ص ١٣

(٢) د . أفيس : موسيقى الشعر ص ١٢

(٣) الأنواع الأدبية ٤٩/١

للحركات بالنسبة للرقص وللأصوات بالنسبة للموسيقى والكلمات بالنسبة للشعر ، وكذلك الشعر يحتوى على وزن أو على موسيقى فنتيجة ترتيب الكلمات واتساقها غير أنه لا يخضع لقوانين ثابتة ،^(١) .

ويتضح لنا من تلك المقطعات السابقة أن الشعر في كل اللغات يعتمد اعتماداً كبيراً على ذلك الأساس الموسيقي الذي نسميه الوزن أو الإيقاع وإن كان نظام ذلك يختلف من لغة إلى أخرى .

وقد ذكر دى جروت^(٢) من أصناف الشعر ما يسمى بالشعر المقطعى Syllabic verse وما يسمى بالشعر الفكري Periodic Verse وما يسمى بالشعر الكلمي Word Verse .

ويتضح مما ذكره وغيره أن اللغات التي تسمى لغات كمية تعتمد في إيقاع شعرها على الكم الزمني لمقاطعها وتفرق بين مقاطع قصيرة وأخرى طويلة ومن هذه اللغات ما يسمى باللغات القديمة أو الكلاسيكية فقائيس شعرها تستقر وتبنى على التقويم الكمي لمقاطعها وإنه يمكن لمقاطع طويلة وأخرى قصيرة أن تجتمع مع بعضها في ترتيبات مختلفة لكي تكون وحدة عروضية « تفعيلة » وهكذا تنشأ البحور وتسمى تلك اللغات كما سبق باللغات الكمية ، حيث اعتمد الإيقاع فيها على الجانب الكمي .

أما اللغات التي تسمى باللغات النبرية فإن تلك الوحدات تتكون فيها ليس على أساس الكم الزمني لمقاطعها وإنما على أساس التوزيع النبري على تلك المقاطع ، إنها تزن ثقلها وتفرق بين مقاطع ثقيلة وأخرى خفيفة ، رفعات وخفضات ، ويمكن أن تجتمع تلك الرفعات والخفضات مع

(١) المرجع السابق ٤٩/١

بعضها بطرائق مختلفة على صور مجموعات نهربية فتنشأ بذلك الصور المناظرة لعروض اللغات الكلاسيكية (١).

الإيقاع إذن ضرورى فى الشعر ، إذ أنه أحد أسسه وأركانه التى يقوم عليها ، وسواء كان ذلك الإيقاع كياً أو نهرياً أو معتمداً على غير ذلك ، فإن التفكير اللغوى مازال يبحث عن سبله وعوامل نشأته ويحدثنا « فون اسن » عن ذلك حديثاً طويلاً يمكن إجمالاً فيما يأتى :

— لقد توصل أطر Bucher — على أساس من الملاحظات الدقيقة المعنى بها ، وخصوصاً على الشعرى البدائية إلى الاقتناع بأن إيقاع قرص الشعر قد نشأ أو هو ناشئ من إيقاع العمل والشغل ، إن الأغلبية الساحقة من أنواع الحركة فى العمل تشغل قطعاً زمنية متساوية كل قطعة منها قريبة من سابقتها ولاحققتها ، وهى متعاقبة فى ترتيبات متشابهة ، ومثال ذلك : الحك على سطح بقضيب ، أو حركة حجر الرحى ، أو ضربات على لحا الشجر لقطعها ، أو الدوس بالأقدام على العنب لعصره ، ومع هذا فإن مما يشبه القاعدة أن بعض الحركات تتطلب قدراً من الطاقة المبدولة أكثر من غيرها .

وكذلك فإن الوترين الصوتيين يتقاربان أحدهما من الآخر عند الإجهاد الجسمى — لئلا يمكننا من حبس الهواء فى الرئتين ، دعماً لقوة الجسم وتعضيداً له وبذلك الاقتراب ينشأ تصويت خفيف غير مقصود ، وتكرر ضوضاء العمل ، وتعود بصورة دورية ، فتجرك الشبيهة وتثير الإنسان للتقليد ، الذى تنشأ بسببه دندنة موزونة بوزن إيقاع العمل ، وتركب على تلك الدندنة فيما بعد كلمات باعتبارها حاملات

للنغم ، أى على أنها فقط مجرد مادة تحمل الأنغام ، ويحدث هذا على
الأخص فى الظروف الطقوسية أى مع الحركات التى تقتضيها بعض
الأعمال ذات الطابع الدينى ، ويتكرر استعمال تلك الارتجالات البارعة ،
وتتناقل (بحيث تصير من المأثورات) ويبقى إيقاع العمل الذى تحقق فيه
ذلك مرة ، ويقاد بقصد اللعب ، فى الرقص البدائى .

وهذا يعنى أن الحركة الإيقاعية فى العمل هى الأصل فى منشأ الأغنية ،
أما الرقص فإنه هو القولية التقديمية فيه (أى التى أتت فى طور تال)
وعندما يغيب الرقص تأخذ الأغنية استقلالها ، مع احتفاظها لزم من طويل
بطابعها الرقصى ، ثم تختزع نصوص جديدة على تلك التنغيمات أو الموسيقىات
التي كتب لها البقاء .

وهنا تنبت أو تنبت عملية قرض الشعر متخفة لنفسها إطار الخارطة
الإيقاعية لأغنية الحركة العملية أو الرقصية ، وتظل فى هذا الإطار حتى
تتخلص من تلك الخطوط التنغيمية ، التى كانت مقرونة بها ، أو التى
سبق أن اقترنت بها وتأثرت بها أو احتدتها ، وتخطو إلى الإيقاعات
المكتسبة .

وأخيراً تنبى إيقاعات خاصة بها ويزداد هذا الشعر دائماً وأبداً ابتعاداً
عن الفكرة الرقصية الخالصة ، وعلى هذه الصورة بقى الإيقاع الذى هو
ميراث زمن أغنية العمل وأغنية الرقص ، وكنخارطة للتحرك مرسومة
سلفاً ، و كإطار منظم للتسكيم ، إطار يملأه الشاعر بكلمات ، يكون الإيقاع
الشكلى الذى يعطى القالب ، ويكون إيقاعاً حقيقياً للكلام بتحقيق وتنفيذ
حقيق لتعاقب مقطع طويل مع مقطع قصير ، وتعاقب مقطع ثقيل مع
مقطع خفيف .

إذ أنه عند كثير من الشعوب يبقى في الوعي المسار الزمني لحركة إدارة الرحي ، أو لحركة دوس العنب لعصره ، أو لحركة أى عمل آخر ، وعند شعوب أخرى يقع في الوعي بدلا من المسار الزمني الجهد المبذول أو الطاقة المبذولة ، ومعنى ذلك أن بعض الشعوب قد قاسوا الزمن فوصلوا إلى تقويمهم العروضي أما الآخرون فقد قاسوا الطاقة فوصلوا إلى التقويم الغيري (١) .

تلك هي وجهة نظر الغربيين في نشأة إيقاع الشعر والعروض وللعرب كلام يشبه هذا يرتبط أكثر بحركات سير الإبل والدواب في صحاريهم الواسعة وجزيرتهم المترامية الأطراف ، ولتفصيل ذلك موطن آخر .

الإيقاع والشعر أو الكلام المرسل :

يمكننا أن نتساءل بعد هذا الحديث عن إيقاع الشعر : هل هناك إيقاع في الكلام المرسل ؟ وإذا كان فلماذا لا يبدو واضحا متناظرا مثل إيقاع الشعر ؟ .

وللإجابة عن هذا السؤال فإنه يتحتم علينا أن نقسم الكلام المرسل إلى صنفين أو قسمين كبيرين : قسم أو صنف نطلق عليه الكلام العادي حيث يتحدث الإنسان بطبيعته في أغراضه ، وأعماله اليومية والمعيشية .

وعما لا شك فيه أن نصيب الإيقاع في مثل هذا الصنف سيكون ضئيلا إذ أن الغرض هنا سيكون متجها أكثر إلى توصيل الفكرة والمعنى وعلى هذا فإن الاهتمام بالمعنى سيكون كبيرا لدرجة قد ينسى المتكلم معها كثيرا من مظاهر التأنق والتجمل في نطقه وتعبيره ،

ولكى يتثبت الإنسان من ذلك فإنه يكفي أن يتأمل حديث أى شخص

معه فإنه إذا أخذ قطعة من هذا الحديث وسجلها وحاول إستخراج المجموعات الإيقاعية منها فإنه سيجد في ذلك صعوبة كبيرة .

ومن أجل هذا فإنه كثيراً ما تصادف الباحث صعوبات في تحديد نبر المجموعة تكاد تشبه عن عزيمته إلا إذ كان له وراء ذلك هدف لا يمكن التخلي عنه (١) .

ويمكن أن يدخل فيما سميناه بالكلام العادي كثير من ألوان الكلام مثل الكلام العلمي والموضوعي الذي لا يقصد فيه المتكلم إثبات نظرية أو شرح قضية بعيداً عن العواطف وعمما يتصل بهما من الأحاسيس المختلفة .

كذلك يمكن أن نضيف أو نضع هنا : الكلام الإخباري الذي يهدف المتكلم من وراءه إلى إخبار المستمع بحادثة أو موضوع ، ويشبه هذا نشرات الأخبار في الإذاعة المسموعة والمرئية في نطاق المذيعين المثقفين صوتياً وأدائياً .

٣ — أما القسم الثاني فإنه يمكن أن نسميه : الكلام الأدبي وهو الكلام الذي يعنى بمظاهر الجمال في النطق والأداء ويهدف من وراء ذلك إلى مخاطبة العواطف واستثارة الأحاسيس ، بجانب توصيل المعنى والعناية بالأفكار .

فكثير من الأدباء يميلون إلى صنع إيقاعات واضحة في كلامهم ، بصور مختلفة .

وهم عندما يكتبون يتفكرون قول بعض الباحثين : إن كل لغة تكون

من أجل النطق ، وإذا هي لم تنطق جيداً فإن العيب سيكون في أسلوب الكاتب ، الذي يمكن ألا تكون عنده حيوية كافية . ليسمح بالنطق الإيقاعي ، (١) .

ومن أجل هذا فإنهم يستعملون وسائل مختلفة وصورا عديدة لإبراز مظاهر الإيقاع في أعمالهم مع مراعاة أنهم يختلفون في درجة الاهتمام بذلك . فكلما كان المتكلم أو الأديب قد زاد ربط حديثه بقالب إيقاعي كلما صارت صورة المتكلم ملتزمة ، وكلما اقترب بذلك أيضا من صورة الكلام المصوغ أو المقولب شعريا ، (٢) .

وإذا كان هناك في الشعر قراب إيقاعية يصب فيها الكلام ويوضع بحيث تكون ملتزمة على طول الخط ولا يمكن للكلام أن يكون شعرا إذا تخلى عنها أو جاء على ضدها فهل يكون الأمر كذلك بالنسبة للكلام المرسل ؟

إن الكلام المرسل ليست له « خريطة إيقاعية » تلتزم فيه وتكون أساسا له إذ أنه غالبا ما ينساب دون أن يكون إيقاعيا . لكننا نصادف فيه — كثيرا — ميلا خاصا إلى تكوين وصنع فقرات إيقاعية قابلة للإدراك ، (٣) .

وتأتي هذه الفقرات على صور متعددة :

« فبعض المتكلمين يميل إلى وضع الكلمة التي تمثل أهم عضو في الكتلة المنطوقة من ناحية الفكرة في الآخر ، على حين يميل آخرون إلى وضعها

- Mrs. Em, Hederson, Cod Speaking, P., 70

2 - Von Essen, ... 5 - 195

(٣) المرجع السابق ص ١٩٤

في الأول . وبالمثل لو أراد أن يميز أو يفاضل بين كلمات هي أعضاء في جملة أو أعضاء في قطعة من جملة فإنه يؤثر هذا المميز بالموضع الأخير أو بالموضع الأول ..

« كذلك سنجد ترتيبات من تعاقب مرتب أو مقنن : تعاقب من رفع وخفض بصور شتى ، ولكن قلنا يحدث أن يجرى هذا التعاقب في تمام يسلك كل القطعة المنطوقة من أولها إلى آخرها ، ويكون واضحاً في هذه الحالة أن هذا التعاقب يخضع لتنظيم إيضاحي قد رسمه المتكلم أو المؤلف لنفسه سلفاً ، (١) .

« ولكن مفهوم الإيقاع يمكن أن يتصور — بشكل عام — على أنه تنظيم زمني وبهذا المعنى فإن الكلام المرسل بلا شك مقولب إيقاعياً ولقد قام Mohankon يبحث نافذة إلى النفس عن الإيقاع الزمني (أي الإيقاع الذي تتكون عناصره من الحكم الزمني) .

كل هذه الصور تسهم في صنع الإيقاع بالكلام المرسل ويهمننا منها هنا تعاقب الرفع والخفض وتبادلها في صورة محبة تسهل الإدراك الإيقاعي وتيسر التصور القالبي وذلك عن طريق النبر .

وإذا كنا قد عرفنا موقف النبر من إيقاع الشعر في العربية فإننا يجب أن نعرف موقفه هنا بالنسبة لإيقاع النثر . لكننا يجب أن نتذكر أن دور النبر في إيقاع الشعر قد حظى بألوان من الدراسة إن لم تكن كاملة فإنها تنير الطريق إلى حد ما أما دوره في إيقاع النثر فإننا لا نعلم من تعرض له بغير النثر اليسير . وذلك أمر طبيعي حيث إن دراسة « النبر » نفسها لم

(١) المرجع نفسه ص ١٩٤

قلق بعد العناية السكافية من جمهور الباحثين نظرا لصعوبتها ومشتقتها .

ويهمنا هنا أن نشير إلى ما يذهب إليه بعض المستشرقين من أن الإيقاع في العربية القديمة (الظاهر أنه يقصد الفصحى) كان « إيقاع كمية » شبيها بالإيقاع في اللغة السنسكريتية الفيدية (أى لغة القداش وهى الكتب المقدسة الهندية) وبالإيقاع في الشعر الغنائى عند اليونان ، ويعتمد الإيقاع في العربية القديمة على مقابلات بين مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة تحتوى أيضا على قافية فى أواخر الأبيات . . (١٩٨) (كانتينيو) .

أما الإيقاع فى الألسن الدارجة العربية الحديثة فإنه يقول عنه : « لقد اعتل إيقاع الكمية فيها اعتلا شديدا ، وذلك لذهاب عدد كبير من المقاطع القصيرة (الناتج عن سقوط كثير من الحركات القصيرة الواقعة فى مقاطع منفتحة) بل ولقد اضمحل إيقاع الكمية من لهجات المغرب العربى وذلك لاضمحلال المقاطع القصيرة اضمحلالا صار مدي جميع المقاطع معه مدي متائلا ، ويبحث الآن أصحاب هذه اللهجات على نوع آخر من الإيقاع كما وقع ذلك فى اللغات الرومانية إثر اضمحلال الإيقاع الكمي اللاتينى منها (٢) ، .

هذا هو كلام « كانتينيو » ومنه يتضح أنه لا يجعل للنبر أى دور فى الإيقاع فى العربية الفصحى ، وهذا ليس بغريب منه إذ أنه على ما يبدو يشارك جمهرة المستشرقين فى إنكار وجود النبر فى العربية الفصحى وسوف نعرض لهذه القضية فيما بعد .

« يذكر الدكتور تمام حسان أن المسافة بين أى حالتى نبر فى المجموعة

(١) كانتينيو : دروس فى علم أصوات العربية ص ١٩٨

(٢) المرجع السابق ص ١٩٨

الكلامية سواء كان كلاهما أوليا أو ثانويا أو مختلفا لا تعدى أربعة مقاطع ، والواقع أن هذه المسافة يتحكم فيها عامل الإيقاع فى الكلام العادى ولا يظن ظان أن النبر فى الكلام المتصل (أو فى المجموعة الكلامية على حسب ما نسميه هنا) يقع أوليا فثانويا فأوليا فثانويا على التعاقب فرما تجاوزت حالات من الأولى أو من الثانوى دون أن يتخللها النوع الآخر ولكن الملاحظ أن المسافات بين كل حالتى نبر تبدو كأنها متساوية تقريبا، وهذا ما نسميه الإيقاع ، وللقارىء إن شاء أن يتأمل كلامه ، ويحدد المسافات بين حالات النبر وسيجد هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح ، ولنا على كلام أستاذنا بعض الملاحظات نرجو ألا يجانبنا فيها الصواب :

١ — أن الدكتور لم يقدم لنا أى مثال لما ذكر ، ومما لا شك فيه أنه لم يأت بهذه القاعدة من فراغ وإنما بناء على ملاحظات واختبارات وقياسات على قطع من الكلام العربى المنطوق وأظن أنه لو قدم لنا مثالا من ذلك لكان قد منحننا توضيحا لهذه الفكرة الجديدة نسبيا فى بيئةنا العربية بالإضافة إلى أن تقديم هذا المثال لم يكن مطولا للكلام إلى أى حد من التطويل الممل .

٢ — يفهم من كلام الدكتور أن الإيقاع — بمعنى تساوى المسافات تقريبا بين كل حالتى نبر — شىء طبيعى فى الكلام العادى ويستطيع كل إنسان أن يحده ويحسه بتحديد المسافات بين حالات النبر ومعنى هذا أن اللغة العربية لغة إيقاعية تماما مثل اللغة الإنجليزية وأن الإيقاع ونظام النبر فيها متفقان بحيث يكون الكلام العادى موقعا دون تعمل أو تكلف وهذا أمر يحتاج إلى إثبات فيما أتصور . وبخاصة وأننا قد علمنا أن نصيب الكلام العادى من الإيقاع يكون ضئيلا .

٣ — يفهم من كلام الدكتور أن المهم في حدوث الإيقاع هو تساوى المسافات بين كل حالتى نبر سواء كانا ثانوين أو رئيسيين أو مختلفين ولكنه قيل ذلك فى ص ١٦١ . يقول : « فإذا وضعت قاعدة المسافة بين الأولى والثانوى بعدد من المقاطع ظهر الإيقاع اللغوى الخاص باللغة العربية » .

ويفهم من هذا — إذا صح نظمنا فيه — أن ظهور الإيقاع مرتبط بوضع قاعدة المسافة بين الأولى والثانوى . وهذا يناقض قوله السابق من أن الإيقاع هو تساوى المسافات بين كل حالتى نبر مطلقا إلا إذا كان يقصد أن هناك إيقاعا خاصا بالكلمات وإيقاعا خاصا بالكلام المتصل أو المجموعة الكلامية ولكل منهما طريقة فى صنعه وظهوره .

أما الدكتور عبد الرحمن أيوب فإنه يفهم من كلامه أن الإيقاع هو اطراد الطريقة التى يحدث بها الضغط والإيقاع هو الجانب السماعى للضغط فهذا الأخير أمر ماضى يحدث فى جسم المتكلم ويتمثل فى عدد من الحركات الفعلية التى تدفع الهواء على نحو معين أما الإيقاع فأمر وجدانى يدركه السامع (١) .

والحق أن موضوع الإيقاع فى اللغة العربية عموما شعرها ونثرها يحتاج إلى بحث عميق وطويل ولا يمكن قيام هذا البحث إلا بعد الانتهاء من دراسة « النبر » وغيره من العناصر التى تصنع الإيقاع . وإذا كان السابِقون من أسلافنا قد قاموا بجهد جبارة فى إظهار ألوان من الإيقاعات فى عروض العربية وفى نثرها مثل السجع وغيره فإن واجب الأخلاف أن يظهروا الألوان الأخرى من الإيقاع التى تتمتع بها اللغة العربية .
ولهذا حديث آخر نسأل الله أن يعين عليه .

عبد الله ربيع محمود

المراجع

أولاً : أهم المراجع العربية

- ١ - أصوات اللغة
د . عبد الرحمن أيوب . الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٦٨ م
- ٢ - الإيقاع الشخصى والإيقاع فى الشعر المفضل .
عبد السلام أحمد الشيخ . رسالة ماجستير بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة
- ٣ - البيان والتبيين .
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون بمكتبة الخانجي . الطبعة الرابعة . وطبعة أخرى ، تحقيق : محب الدين الخطيب ١٣٣٢
- ٤ - جمهرة اللغة :
ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصرى . دار صادر بيروت
- ٥ - علم أصوات العربية :
كافتنو . ترجمة : صالح القرماذى . طبعة تونس ١٩٦٦
- ٦ - عن النثر فى نطق العربية الفصحى بالعالم العربى المعاصر .
د . عبد الله ربيع محمود . رسالة دكتوراه بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة
- ٧ - القاموس المحيط :
محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزباده . مصطفى البابى الحلبي . الطبعة الثانية ١٩٥٢

٨ — كمال أدب الغناء :

الحسن بن أحمد بن علي السكاكبي . تحقيق غطاس عبد الملك خشبة الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥

٩ — لسان العرب .

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري . طبعة مصورة عن
طبعه بولاق

١٠ — اللغة :

فندريس . الطبعة الأولى .

١١ — مقاييس اللغة .

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون
الطبعة الثانية : مصطفى البابي الحلبي .

١٢ — من التزمين في نطق العربية الفصحى في مصر المعاصرة :

د. عبد العزيز أحمد علام . رسالة دكتوراه بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة

١٣ — مناهج البحث في اللغة :

د. تمام حسان الأنجلو المصرية ١٩٥٥

١٤ — موسيقى الشعر

د. إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢

١٥ — نظرية الأنواع الأدبية :

د. فنسنت . ترجمة د. حسن عون منشأة المعارف - الاسكندرية ١٩٥٨

١٦ — نقد الشعر :

قدامة بن جعفر .

ثانيا : المراجع الأجنبية

- 1 - Henderson : good Speaking, london 1948.
- 2 - Rousselot, : principes Dep Phonetique experimntat,
paris 1925
- 3 - Vassilyes : English phonetics, leningrad 1968
- 4 - miss cecilevereecken : striss Croups, P. 299
- 5 - R,m. Shffner: geneal phonetics 227 maaison the universtyof
Wisconsin press 1960
- 9 - Fry : Prosodic Phonena - manual of Phonetics
london 1970
- 7 - VonEssen : Allgmeine und Angewandte Phonetick
Perlin 1953.

ابن ابي بين علياء الحق

د. محمد السيد متولي البغدادي

مدرس اللغويات بالكلية

هذا البحث يتناول علما من أعلام النحو في عصره ، وتعرض الدراسة لمنهجه في النحو ، وتبيان مكانته العلمية بين النجاة ، وما يدل على هذه المكانة العلمية أن الذين جاءوا بعد أن انتفعوا به ، أشادوا بزيادته في هذا العلم ، واشتشهدوا بكثير من آرائه ، وجعلوها فيصلا في كثير من القضايا النحوية ومن ثم فالدراسة تتناول الآتي :

التعريف بابن إياز ، ومدى تأثيره بالنواحي الثقافية والسياسية خلال الفترة التي عاشها في القرن السابع الهجري ، وسوف أبين أنه رغم الحياة السياسية المتقلبية ، واشتغال الناس بالفتن والحروب وفساد الحكم ، كان هناك ازدهار للعلم وحركة التأليف وسأعطي مثالا لذلك ، وهو المدرسة المستنصرية أو (الجامعة المستنصرية) كما سماها المؤرخون ، كي تدل على مدى التقدم العلمي في هذا العصر ، ولما لها من علاقة كبيرة بابن إياز ، حيث عين شيخا لتدريس اللغة العربية بها .

ثم أتكلم عن العلماء الذين أخذ عنهم ، والذين برزوا في علوم عدة بالإضافة إلى العربية ، وثقيف فكرة ثقافة العصر الذي يعيشه إلى جانب اختصاصه النحوي ، وهي سيرة علماء تراثنا الخالد .

ثم تكلمت عن تلاميذه ، فكما أخذ عن علماء برزوا في علوم كثيرة ، كان له أيضا تلاميذ قرأوا عليه النحو والأدب ، وكانوا أعلاما في عصرهم . وذكرت جانباً مما خلفه لنا من مؤلفات تدل على فضله الجهم وعلى علمه الغزير ، وبينت أن هذه المؤلفات بعضها يذكر المسائل العلمية بما فيها من آراء مختلفة ، يقوم بمناقشتها مرجحاً أو مضعفاً مع إبداء رأيه في كثير منها .

وذلك كما في كتابه (القواعد في النحو وبعضها الآخر شروح وتعليقات على مؤلفات غيره ، تناولها بالبحث والشرح والتحليل) .

وذلك كما في كتابه (المحصول في شرح الفصول ، وأعطيت صورة

واضحاً عن منهج ابن إياز ، وانتمائه إلى إحدى المدرستين البصرية والكوفية . وبدأت ذلك بإعطاء صورة عن منهج وطابع كل مدرسة في تناولها للدراسات النحوية ، وأعطيت كثيراً من الأمثلة من خلال مؤلفاته لتوضح منهجه ، ثم تحدثت عن مصادر الاستشهاد عند المؤلف ، وبنيت موقف العلماء من الاستشهاد بهذه المصادر ، وأيضاً موقف المؤلف منها ، أبدأ وبالله التوفيق .

التعريف به

هو جمال الدين الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله ، كنيته أبو محمد ، ولم يذكر المؤرخون شيئاً عن محل وتاريخ ولادته .

قال السيوطي (١) في ترجمته : (الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله أبو محمد العلامة جمال الدين ، كذا ساق نفسه ابن رافع في تاريخ بغداد ، وقال : كان أواخر زمانه في النحو والتصريف وأجاز له الشيوخ ، وكان دمث الأخلاق ، مات ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وستمائة) ١ ، ه .

وقال بروكلمان (٢) : جمال الدين الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله أبو محمد البغدادي ، ولي مشيخة النحو في المستنصرية ، وتوفي سنة ٦٨١ هـ ١٢٨٢ م ، ١ هـ .

وقال رضا كحالة (٣) : حسين بن بدر بن إياز أبو محمد نحوي صوفي

(١) انظر بغية الوعاة (٥٣٢/١) .

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي (١٨٥/٥) .

(٣) انظر معجم المؤلفين (٣١٦/٣) .

٦٨١ هـ ، ١٢٨٢ ، من آثاره المحصول في شرح الفصول الخمسين في النحو ،
والمطارحة ، والإسعاف في الخلاف . ١ هـ .

وقال الفيروزا بادي (١) : الحسين بن أبان (٢) النحوي المفعوت بالجمال ،
إمام متأخر ، أخذ عن الأستاذ أبي عثمان سعد بن أحمد الحدامي البغدادى
البغدادى و و كان ذا حفظ حسن ، ثقة فيما يكتب ويقول ، مدرس النحو
بالمستنصرية ، مات سنة ٦٧٤ هـ ، ١ هـ .

مما تقدم يثبت لنا أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن بلده وتاريخ
ولادته ، ولكن يغلب على اللظن من نسبتهم إياه إلى بغداد ، أنه نشأ ببغداد
وكانت حياته كلها ، وأجمع الرواة على سنه وفاته ما عدا الفيروزبادي في
بلغته ، فهو يضع وفاته سنة ٦٧٤ هـ .

(١) انظر البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٦٨ .

(٢) وبه قال السيوطى في الجمع في حذف ما علم من المبتدأ والخبر ،
قال في الجمع (١٠٣/١) : (وإذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ
خبراً ، فأيهما أولى ؟

قال الواسطى : الأولى كون المحذوف المبتدأ ، لأن الخبر محط الفائدة .
وقال العبدى : الأولى كونه الخبر ، لأن التجوز في الجملة أسهل ،
نقل القولين ابن أبان (١ هـ .

وكلاهما تصحيف ، قال ناجى معروف في تاريخ علماء المستنصرية
(٦٥/١) : (وابن إياز شيخ النحو بالمستنصرية قد تصحف إلى : مراباز
أو ابن أبان) ١ هـ .

النواحي الثقافية والسياسية خلال الفترة التي عاشها :

عاش ابن إياز في العصر الأخير من الدولة العباسية ، وهو العصر السلجوقي بعد أن دالت بني بويه ، وضعفت شوكتهم ، وصاروا خيرا من الأخبار المروية ، وذلك في منتصف القرن الخامس الهجري وكانوا يسوسون البلاد في شيء من الصرامة والشراسة ، والخليفة العباسي الجالس على كرسي الخلافة يعاني منهم الكثير من العنف والبطش ، والمزيد من الهوان ، حتى آذن الله لعهدهم أن ينقضي ، ولسطانهم أن يزول ، وجاء التتار يحملون راية الدمار والتخريب ، ودخلوا بغداد في عام ٦٥٦ هـ يسفكون الدماء ، ويستبيحون الأعراض ، وقد أمر هولاكو بقتل المستعصم بالله آخر خليفة عباس .

ومع هذه الحياة السياسية المتقلبة ، كان هناك ازدهار للعلم وتوسع فيه ، وبرز علماء في كل فن ، وخاصة علوم اللغة العربية ، باعتبارها لغة القرآن والسنة النبوية ، وهي اللغة الرسمية للدولة .

قال جرجي زيدان (١) : (فالانقلابات السياسية المشار إليها أثرت في الأحوال الاجتماعية ، لاشتغال الناس بالفتن والحروب وفساد الحكم لكن قآثيرها في آداب اللغة لم تظهر ثماره إلا في العصر المغولي .

أما العصر العباسي الرابع الذي نحن بصددده ، فقد ظهرت فيه ثمار آداب اللغة العربية التي نمت وأورقت وازدهرت في العصر العباسي الثالث ، إذ تسابق الناس إلى الاشتغال بالعلم والآدب ، وتكاثر الأمراء المسلمون في هذا العصر ، واختلفت لغاتهم وعناصرهم ولكنه كانوا يتنافسون في تنشيط اللغة العربية ، لأنهما لغة الدين والعلم والسياسة ، فازدهرت

(١) انظر كتابه تاريخ الأدب العربي (١١/٣) .

فازدهرت و كثرت فيها المؤلفات (لكن على أسلوب يخالف أساليب
العصور الماضية) أهـ

ويقول ناجي معروف (١) : (يمكن أن نستج أن العرب بوجه عام
في العصور العباسية المتأخرة ، وفي العصور المظلمة انصرفوا إلى العلم ،
وضربوا فيه بسهم وافر ، وثر كوا ميادين السياسة والحروب وأمور الجيش
وإدارة الأمن لغيرهم من المسلمين) أهـ

في هذا الجو العلمي نشأ ابن إياز ، فكان لذلك أثر كبير في تكوين
شخصيته العلمية ، ولناخذ مثالا ، وهو (المدرسة المستنصرية) أو (الجامعة
المستنصرية) كما سماها المؤرخون ، لتدل على مدى التقدم العلمي في هذا
العصر ، ولما لها من علاقة كبيرة بابن إياز حيث عين أستاذاً وشيخاً لقسم
اللغة العربية وآدابها بالجامعة .

ونتيجة لما لهذه الجامعة من أثر في تكوين حياة ابن إياز العلمية أرى
لزاما على أن أعطي صورة مختصرة عن نشأتها وطرق التدريس بها .

الجامعة المستنصرية

أنشأها (٢) الخليفة العباس المستنصر بالله سنة ٦٢٥ هـ ، وذلك بعد
أن تولى منصب الخلافة بسنتين ، إذ بويع بالخلافة (٣) سنة ٦٢٣ هـ وذلك

(١) أنظر كتاب تاريخ علماء المستنصرية (١٣٧/٢) .

(٢) يراجع في نشأتها : الحوادث الجامعة (٥٣) وخلاصة الذهب
المسبوك (٢١٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧) .

(٣) أنظر تاريخ علماء المستنصرية (١٤٥/٢) .

بعد أن توفي والده أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله ، وكان موقعها على شط
دجلة ، مما يلي دار الخلافة ، واستمر العمل بها ست سنوات وتم افتتاحها
بإيد الخليفة المستنصر بالله عام ٦٣١ هـ .

ظل التدريس بها أربعة قرون منذ افتتاحها حتى ١٠٤٨ هـ . عدا فترتين
من الزمن : الأولى قصيرة ، وكانت في أثناء الاحتلال المغولي لبغداد عام
٦٥٦ هـ إذ عطلت المدارس والمساجد ، والثانية طويلة ، وتبدأ من احتلال
الجيش التركي لبغداد بقيادة تيمورلنك (١) .

المستوى العلمي في المستنصرية

كانت المستنصرية في مستوى علمي عال يضاهي المستويات العلمية في
جامعاتنا اليوم ، بل من الممكن أن أقول إنه يزيد عليها في كثير من المواد
النظرية ، ويتبين لنا هذا المستوى العلمي من غلة أمور هي :

١ — المستوى العلمي للمدرسين والمعيدین :

كان هؤلاء يتخبرون من بين كبار المدرسين والشيوخ في العراق
والشام ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية ، ممن حصلوا على إسناد عال ،
أو انتهت إليهم رئاسة العلم ، أو عرفوا بالبحث والاستقراء عن الحقائق
العلمية ، وبما لهم من مؤلفات . والتي مازالت تعد من المصادر المهمة للثقافة
العربية والفكر الإسلامي .

٢ — صفة الطلاب الذين كانوا يقبلون في هذه الجامعة :

إن هؤلاء الطلاب كانوا يتخبرون من الفقهاء النابهين ليكونوا

(١) أنظر المراجع السابق (٤٢/١ ، ٤٥ — ٤٢/٢ ، ٤٣) .

طلابا بالمستنصرية أى بعد أن تكون لهم شهرة علمية فى التاريخ أو التدريس (١) .

٣ - وسائل الإيضاح بها :

وما يدل على رفع المستوى العلمى لطلابها وجود مؤسستين بها :
الأولى مستشفى لدراسة الطب ، وإجراء التجارب الطبية ومعالجة المرضى .

الثانية دار كتب عامرة بأنواع المؤلفات (٢) .

وكان لكل قسم ناظر يختار من بين موظفى الدولة ، يساعده عدد من المستخدمين لتولى مصالح القسم الإدارية (٣) .

وكان الخليفة هو المشرف على الجامعة ، وكان تعيين المدرسين يتم يصدر توقييع من الخليفة ، وهذا يشبه الإدارة الملكية أو المرسوم الجمهورى اليوم ، ثم يخلع عليه الخليفة الخلعة الخاصة بالتدريس ، وقد يعطى بغلة من القصر ، وهى بمثابة سيارة خاصة .

وحينما يخرج المدرس إلى التدريس بالمستنصرية يرافقه الولاة والحجاب وصاحب البريد وصاحب الديوان ، وعدد من أرباب المناصب احتراماً له وإحتفاء به ، ثم يجلس على سدة التدريس ، ويلقى بحثه ، وعلى عمامة طرحة يلبسها من دار الخلافة . فإذا عزل من التدريس أخذت منه هذه الملابس (٤)

(١) المرجع السابق (٥٣/١) .

(٢) أفظر خلاصة الذهب المسبوك (٢٧٧) ، وتاريخ المستنصرية (٥٥/١)

(٣) المرجع السابق (٧١/١) .

(٤) المرجع السابق (١١٥/١)

ولم تقتصر الدراسة في هذه الجامعة على العلوم الدينية بل عينت بدراسة علوم القرآن ، والسنة النبوية ، والمذاهب الفقهية ، وعلوم العربية ، والرياضيات ، وعلم الطب ، وحفظ قرآن الصحة (١) .

وسوف أتحدث باختصار عن مدرسة واحدة ، هي مدرسة (٢) علوم اللغة العربية لها من علاقة بشيخنا ابن إياز .

اهتمت دار الخلافة الإسلامية باللغة العربية اهتماما كبيرا وذلك لأنها لغة القرآن والحديث ، ولغة الدولة الرسمية ، ولغة الثقافة العامة ، ولم يكن بالاستبصرية مبنى خاص لتدريس اللغة العربية وآدابها ، وذلك لأن الأقسام العلمية المختلفة كانت تعنى بالعربية باعتبارها الأساس القوي الذي ترتكز عليه علوم الشريعة الإسلامية ، ويستند إليه العلماء في فهم القرآن الكريم والتمكن من تفسيره والإحاطة بالأدب العربي شعرة ونثره ، وقد اختير لتدريس العلوم العربية نحوي يقوم بمهمة تدريس النحو ، وبيان غوامضه وابن إياز هو الذي اختير لهذه المهمة ، قال الصفدي (٣) : ولي مشيخة بالمستنصرية .

العلماء الذين أخذ عنهم

أخذ ابن إياز عن كثير من العلماء الذين اشتهروا في عصره ، وبرزوا في علوم كثيرة بالإضافة إلى العربية ، بغية تثقيف فكره ثقافة العصر الذي يعيشه إلى جانب اختصاصه القحوي ، حتى قال السيوطي في ترجمته : (وقال ابن رافع : كان أوحده زمانه في النحو والتعريف وقال أبو حيان : ابن إياز أبو تعاليل) أهـ

(١) المرجع السابق (٢٧/١)

(٢) أنظر الحوادث الجامعة (٤٢٦) ، تاريخ المستنصرية (٩/٢) .

(٣) أنظر الوافي بالوفيات (٦٢/١١)

وقال الفيروزي بادي : (وكان ذا حفظ حسن، ثقة فيما يكتب ويقول) :
ادوساذكر ترجمة مختصرة لشييوخه :

أولاً — سعد المغربي :

ذكره المصنف كثيراً في كتابه : القواعد، وشرح الفصول الخمسين،
وقد وصفه صراحة بأنه شيخه الذي قرأ عليه، وهو : سعد بن أحمد بن
أحمد بن عبد الله أبو عثمان الجذامي الأندلسي النحوي المالكي قال
السيوطي (١) في ترجمته : (روى عنه الشرف الدمياطي، وقال : رأيت
بغداد يقر النحو، وعن قرأ عليه ابن إياز. قلت : ونقل عنه تلميذه ابن
إياز في شرح الفصول في مواضع عديدة، وسماه سعد الدين، وذكر أنه
شرح الجزولية) ١ هـ.

وقال ناجي (٢) معروف : (وقد ورد ذكر ابن إياز في ترجمة الحسن
بن مطهر الحلبي لعلاء الدين علي بن إبراهيم بن زهرة العلوي الحلبي قال :
(ومن ذلك جميع مصنفات ابن الحاجب عن جمال الدين حسين بن
إياز النحوي عن شيخه سعد الدين المغربي البياني) ١ هـ.

ومن هنا يظهر لنا أن ابن الحاجب العالم النحوي المشهور كان تلميذاً
لأحد قلامدة ابن إياز .

ثانياً — ابن القبيطي :

هو الشيخ نجم الدين أبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي القبيطي
الحنبلي شيخ الحديث بالمستنصرية، ولد ببغداد سنة ٥٥٤ هـ، وسمع بها

(١) بقية الوعة (١/٥٧٧) .

(٢) تاريخ علماء المستنصرية (١٧١٢) .

الحديث وكان حافظاً للقرآن متديناً ، وأحد كبار المحدثين المشهورين ،
سمع عليه جماعة من العلماء منهم ابن الزجاج ، وابن إياز ، وكثير غيرهما ،
قال السيوطي (١) في ترجمة ابن إياز : (وسمع من ابن القيطي جزءاً ولم
يحدث به) ١ هـ ، وتوفي سنة ٦٤١ هـ .

ثالثاً — التاج الأرسوي :

هو صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر ، كان كثير الفضل ،
يلم بكثير من علوم كالعربية ونظام الشعر ، وعلم الإنشاء ، والياربج ، وعلم
الموسيقى ، ولم يكن في زمانه من يكتب المنسوب مثله ، وبه تقدم عند
ال خليفة المستنصر ، وكان يجيد فن الخط ، فأسندت إليه مهمته في مكتبة
المستنصرية في خلافة المستعصم ، وكان ملازماً له ومن ندمائه ، ومعلماً
لأولاده ، ولما غزا هولاكوا بغداد ، قربه إليه ، وأضعف ما كان له في
أيام المستعصم ، قال السيوطي (٢) في ترجمة ابن إياز : (قرأ على التاج
الأرسوي) .

وقال فاجي (٣) معروف : (قرأ على التاج الأرسوي مدرس الشراعية
ببغداد) ١ هـ ولد سنة ٦١٣ هـ وكانت وفاته سنة ٦٩٣ هـ .

رابعاً — ابن الصيقل الجزري :

هو مسعد بن نصر الله بن رجب بن أبي الفتح الجزري ، المشهور بابن
الصيقل والملقب شمس الدين ، نحوي ، لغوي فقيه مغت ، صنف المقامات

(١) بغية الوعاة (٥٣٢/١) ، ويراجع تاريخ المستنصرية (٣٦٩/١) .

(٢) بقية الوعاة (٥٣٢/١) .

(٣) تاريخ المستنصرية (٢٠/٢ ، ٢٦٥/١ — ٢٧٤) .

الزينية الحسين . والمعروفة بالحزبية ، تلا فيها قلو الحريري ، ومن شعره
فيه :

إني أقابل بحراً فاضاً لؤلؤه بنبعة من غدير فياض
أم كيف أرفل في ثوب به قصر
من الفصاحة رث غير فضفاض

قال ناجي (١) معروف : (وكان ابن إياز ممن سمع المقامات الزينية
الحسين وما في أولها من المقدمة والخطبة والديباجة ، وما في آخرها من
الاعتذار ، على مصنفها الوزير شمس الدين بن الصيقل الحزبي سنة ٦٧٦هـ
برواقه المستنصرية) ١هـ ، ولم أعثر على تاريخ ولادته ، ولكنه توفي
سنة ٧٠١هـ (٢) .

خامساً — ابن جعفر :

لم أعثر له على ترجمة ، ولكن ابن إياز ذكره في مؤلفاته على أنه
شيخه ، فذكره في كتابه القواعد في النحو ص (٢٨١) ، وذكره في
كتابيه المحصول شرح الفصول في الصفحات (٢٦) ، (٢٩) ، (٣٦) ، (٩٥) ،
باسم شيخنا رضي الدين إبراهيم بن جعفر ، فقال في المحصول (٩٥) : في
أسماء الفاعلين والمفعولين : (قال شيخنا رضي الدين إبراهيم بن جعفر
رحمه الله تعالى : لما كانت مشتقة من الأفعال ، والأفعال مشتقة من المصادر
صارت كأنها مشتقة من المصادر) ١هـ .

(١) المرجع السابق (٢٠/٢) .

(٢) انظر بغية الوعاة (٢٩٤/٢) ، البلغة في تاريخ أئمة اللغة (٢٦٠)

تاريخ علماء المستنصرية (١٥/٢ — ١٨) .

تلاميذه:

كما أخذ ابن إمام عن علماء برزوا في علوم كثيرة ، كان له أيضا تلاميذ
قرأوا عليه النحو والأدب ، وكانوا أعلاما في عصرهم ، وهم :

الأول : يعقوب الأنصاري الخزرجي :

وهو يعقوب بن يوسف الأنصاري ، الخزرجي أبو يوسف المالكي
النحوي ، قرأ على البدر بن مالك كتاب التسميل لأبيه ، وعلى ابن إياز ، وكان
أحد شيوخ العربية بالمستنصرية أولد ستة إحدى وأربعين وستمئة ، ولم
أعثر على تاريخ وفاته ، ومن شعره :

يا من يميزني لا تزدرني خلق

بل أسأل الناس عن خلقي وعن خلق

أما ترى الدر وسط البحر مسكنه

وقد كساه جلايبها من العلق (١)

الثاني : عز الدين الموصلی :

هو عبد العزيز بن جمعة الموصلی النحوي ، المشهور بابن القواس ، قرأ
النحو على ابن إياز بالمستنصرية . ورغب معيدا لمدرسة المالكية ، ثم شيخا
للعربية بالمستنصرية ، ومن مؤلفاته : شرح (الدرر الألفية) لابن معط ،
وشرح (الأنموذج) في النحو للزحشرى ، وشرح كافية ابن الحاجب
ولد بالموصل سنة ٥٦٢٨ ، وقدم بغداد ، واستواطنها ، وتوفي سنة ٥٦٢٦ (٢) .

(١) انظر بغية الوعاة (٣٥١/٢) ، وتاريخ علماء المستنصرية (١٤ / ٢)

(٢) انظر بغية الوعاة (٩٩ / ٢) ، تاريخ علماء المستنصرية (٢٥٥١ / ٢) ،

الثالث — تاج الدين ابن السبّاك :

هو علي بن سنجر بن عبد الله البغدادي ، الملقب تاج الدين بن قطب الدين المعروف بابن السبّاك ، وكان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً ، مرع في الفقه والعربية ، وله من الفصاحة والبلاغة أوفر نصيب ، حفظ القرآن وأجاد القراءات السبع ، وتعلم الأدب على ابن إياز ، حفظ المفصل للمخشري ، واللمع لابن جني ، وأصول ابن الحاجب .

قال السيوطي في ترجمة ابن إياز : (وقرأ عليه التاج بن السبّاك) أ هـ
وكان مدرسا للفقه الحنفي بالمستنصرية ، ومن شعره :

الأمر أعظم مما يزعم البشر لا عقل يدركه كلا ولا بصر
فانظر بعينيك أوقاغمض جفونك واح

ذر أن تقول عسى أن ينفع الحذر

وهو القائل :

هل أرى للفراق آخر عهد إن عهد الفراق عمر طويل
طال حتى كأننا ما اجتمعنا فكأن التقاءنا مستحيل

ولد سنة ٦٦٠ هـ ، وقيل ٦٦١ هـ ، وتوفي سنة ٧٥٠ هـ وقيل ٧٥٥ هـ (٢)

مؤلفاته

لقد خلف لنا ابن إياز مؤلفات حسنا تدل على فضله الجم وعلمه الغزير وهذه المؤلفات بعضها يذكر المسائل العلمية بما فيها من آراء مختلفة

(١) أنظر بقية الوعاة (٢/٣٥٠) وتاريخ علماء المستنصرية (٢/١٤٤).

(٢) تاريخ علماء المستنصرية (١/١٣٤-١٣٨)

يقوم بمناقشتها مرجحاً ومضعفاً مع إبداء رأيه في كثير منها ، وذلك كما في كتابة (القواعد في النحو) وبعضها الآخر شروح وتعليقات على مؤلفاته غيره ، يناولها بالبحث والشرح والتحليل ، وذلك كما في كتابه المحصول في شرح الفصول .

ولإليك كلبة موجزة عن بعض هذه المؤلفات .

أولاً : المحصول في شرح الفصول :

وهو كتاب شرح فيه الفصول الخمسين لابن معطى النحوى ، قال السيوطى (١) : (وله شرح فصول ابن معطط) ، وقال رضا كحالة (٢) : (ومن آثاره المحصول في شرح الفصول الخمسين) وقال الفيروزى بادمى (٣) : (له مصنعات منها شرح الفصول ، وقلماً يوجد به نسخة صحيحة) . وقال حاجى خليفة (٤) : (الفصول الخمسين فى النحو ليجى بن عبد المعطى النحوى ، المتوفى سنة ٦٢٨ هـ وشرحها جمال الدين حسين بن ندر بن إياز بن عبد الله النحوى : المتوفى سنة ٦٨١ هـ وسماه المحصول) ١ هـ . وهو مخطوط بدار الكتب ، جزءان فى مجلد واحد ، بخط سريحا بن عبد الله ، فرع من كتابتهما يوم السبت الحادى والعشرين من شهر المحرم سنة ٦٧٨ هـ كما جاء فى آخر ورقة .

(١) أنظو بقية الوعاة (١) [٥٣٢] .

(٢) أنظر معجم المؤلفين (٣) [٣١٦] .

(٣) أنظر البلغة فى تاريخ أئمة اللغة (٦٨) .

(٤) أنظر كشف الظنون (٢) [١٩٥] .

ثانياً : مشرح تصريف ابن مالك :

وهو كتاب شرح فيه كتاب التصريف لابن مالك: قال السيوطي (١) :
(وله شرح الضروري لابن مالك) . وقال بروكلمان (٢) : (وله شرح إيجاز
التصريف لابن مالك) . وقال الفيروز آبادي (٣) : (وله شرح ضروري
التصريف لابن مالك) ، وقال حاجي (٤) خليفة : (تصريف ابن مالك ،
محمد بن عبد الله النحوي ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، اثنين وسبعين وستائة ،
وشرحه حسين ابن إياز النحوي المتوفى سنة ٦٨١ هـ أحدي وثمانين
وستائة) ا هـ .

ألفه ابن إياز قبل الحصول ، حيث قال في الحصول (١٩٧) :
(وأما قواه عن كيف ، وقد ذكرت أشكاله في شرح تصريف ابن مالك) اهـ
ومنه نسخة واحدة مخطوطة بخط يونس بن عبد العزيز المارداني ، فرغ
من كتابتها يوم الأربعاء التاسع عشر ربيع الأول سنة عشر وسبعمائة ، كما
جاء في آخر صفحة .

(١) أنظر بغية الوعاة (٥٣٢/١) .

(٢) أنظر تاريخ الأدب العربي (١٨٩/٥) .

(٣) أنظر البلغة في تاريخ أئمة اللغة (٦٨) .

(٤) كشف الظنون (٢٨٨/١) .

ثالثاً : التعليق على المتبوع :

لم أعر على هذا الكتاب ، ولكنه يبدو من عنوانه أن كتاب المتبوع
لغيره ، وله شروع وتعليق عليه ، وقد ذكره المؤلف في المحصول شرح
الفصول ورقة (٥٦) في العمل الموجة بناء الاسم قال : (وقد بينت هذا
في مأخذ المتبوع) اهـ .

وقال حاحي خليفة (١) : (المأخذ المتبوع لجلال الدين حسين بن إياز
النحوي) اهـ ، ولكن ابن إياز ذكره عدة مرات في بعض كتبه باسم
التعليق على المتبوع .

رابعاً : الإسعاف في تئمة الإنصاف :

ذكر بعض المؤرخين هذا الكتاب لابن إياز بعنوان (الإسعاف
في الخلاف) كما في معجم المؤلفين (٣١٦/٣) وبغية الوعاة (٥٣٢/١)
وكشف الظنون (٩٦/١) ، ولكن ابن إياز ذكره في كتابه شرح
تصريف ابن مالك (٦٢) باسم كتاب الأسعاف في تئمة الإنصاف ،
قال : (فصل ، تبدل الألف بعد فتحة متصلة من الواو والياء المتحركة
في الأصل ، وإن لم يسكن ما بعدها أو يعمل ، وقد استقصيت الكلام
على هذا في هذا في كتاب الإسعاف في تئمة الإنصاف) اهـ ، لم أعر على
هذا الكتاب .

(١) المرجع السابق (٢٦٨/٢) .

خامساً : المسائل الخلافية :

ذكره الفيروزا (١) باري ضمن مؤلفاته، قال : (وله كتاب في المسائل الخلافية) ١ هـ .

وقال حاجي خليفة (٢) : (مسائل الخلاف لجمال الدين حسين بن إياز النحوي المتوفى سنة ٦٨١ هـ) ١ هـ .

ألفه ابن إياز قبل شرح التصريف ، حيث قال في شرح التصريف (٢٤) : (ويزاد علامة للتأنيث في نحو قائمة وقاعدة ، فهذه التاء هي علم التأنيث والهاء بدل منها في الوقف ، وذلك أن التاء هي الثابتة في الوصل التي تجرى فيه الأشياء على أصولها ، والهاء هي الثابتة في الوقف الذي تخرج فيه الأشياء عن أصولها والكوفي يذهب إلى أن الهاء الأصل ، والتاء بدل منها ، وقد ذكرته في المسائل الخلافية) ولم أعر على هذا الكتاب .

سادساً : آداب الملوك :

لم أقف على شيء يتعلق بهذا الكتاب ، غير أن ناجي (٣) معروف قد ذكره له .

(١) أنظر البلغة في تاريخ أئمة اللغة (٦٨) .

(٢) أنظر كشف الظنون (٤٢٥/٢) .

(٣) أنظر تاريخ علماء المستفدية (٢٠/٢)

منهج ابن إياز

لكي نحدد منهج ابن إياز ، وأتبعناه إلى إحدى المدرستين ، لابد لنا أن نعطي صورة عن منهج وطابع كل مدرسة في تناولها للدراسات النحوية .

فالمنهج البصري يقوم على الإستقراء العام لنصوص اللغة الفصيحة من يديها الخاصة بعد التأكد من سلامتها من شوائب العجمة والإختلاط ، واشترطوا في الشواهد المستعمل منها القياس أو تكون جارية على السنة العرب الفصحاء ، وأن تكون كثيرة ، بحيث تمثل اللهجة الفصحى ، وبحيث يمكن أن يستنتج منها القاعدة المطردة ، وما عدا ذلك من المسائل إما أن يؤولوه حتى يوافق مذهبهم ، وإما ألا يعتدوا به فلا يقيسوا عليه ، بل يحكموا عليه بالشذوذ (١) .

لذلك نجدهم اشترطوا في السماع لكي يكون محلاً للقياس وإخراج القاعدة الإعتماد على : الكثير الشائع ، وأن يخرج من حد القلة إلى الكثرة ، قال السيوطي (٢) في تعريف السماع : (هو الكلام العربي الفصيح ، المنقول بالنقل الصحيح ، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة ، وعلى هذا يخرج ما جاء من كلام العرب المولدين وغيرهم ، وجاء شاذاً في كلامهم) اهـ

ويقول ابن الأنباري (٣) ، وهو بصري المنهج : (الفحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو) اهـ .

(١) أنظر المدارس النحوية (١٥٩ ، ١٦٠) .

(٢) أنظر الإقتراح (٨٤) .

(٣) أنظر المرجع السابق (٩٥) .

أما الكوفيون (١) فقد بنوا منهجهم على الاعتداد بالشواهد الفردية، وإن لم يرد غيرها في كلام العرب، ويقيسون عليها، فلو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف الأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه، فطابع مدرستهم هو طابع الاتساع في رواية الشعر، وعبارات اللغة عن جميع العرب بدويهم وحضريهم، وأيضاً الاتساع في القياس وضبط القواعد النحوية، فاعتدوا بالأشعار والأقوال الشاذة مما خرج على قواعد البصريين، وقاسوا عليها، وهذا مما جعل بعض البصريين، يفخر على الكوفيين بقوله: (نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع، وأقم تأخذونها عن أكلة الشواريز، وباعة الكواميخ) (٢) ١ هـ.

وهذا هو السبب في أن نحو المدرسة البصرية ظل مسيطراً على المدارس النحوية التالية، وعلى جميع الأجيال العربية التي جاءت من بعدهم لأن قواعدهم هي القواعد المطردة مع الفصحى، ولذلك يقول (٣) السيوطي: (اتفقنا على أن البصريين أصح قياساً، لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع، ولا يقيسون على الشاذ، والكوفيون أوسع رواية، قال ابن جني: الكوفيون علامون بأشعار العرب مطلعون عليها، وقال

(١) انظر المدارس النحوية (١٥٩، ١٦٠)، وأبو علي الفارسي (١٤٤٠).

(٢) انظر الاقتراح (٢٠٢).

المعنى — حرشة الضباب: صائد والضباب، أكلة اليرابيع: اليدو الخلد، والشواريز: جمع سراز وهو اللبن المصغى، والكواميخ: جمع كاخ، وهو نوع من الإدام، والمقصود عرب المدن.

(٣) المراجع السابق (٢٠١، ٢٠٢)

الاندلسي في شرح المفصل : الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول ، جعلوه أصلا ، وبوبوا عليه ، بخلاف البصريين (١ هـ) .

ومن يقرأ كتب ابن إياز ، أو بعضها ، يتبين أن منهجه صورة لمنهج البصريين قياسه وسماعه ، بل التزم به حيث نفذ كل ما ألزم البصريون أنفسهم به ، ولا يقيس على الشاذ والنادر ، ويستعمل التأويل والتخريج ، بقية إخضاع القاعدة لمنهجه الذي التزمه .

وهذه بعض الأمثلة من خلال كتابه (القواعد في النحو ، ليظهر لنا بوضوح منهجه ، والذي قلنا : إنه صورة لمنهج البصريين في قياسه وسماعه وتأويلاته .

في مسألة بناء الفعل الماضي على الفتح قال : (وفتح ' لقصد أن تكون حركته أقرب الحركات إلى السكون ، وذلك الفتح ؛ ألا تراهم قلبوا الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها وارا نحو جوني ، لقلب الساكنة في نحو جونه ، وكذلك إذا انكسر ما قبلها نحو بشر ، لقلبها في بير ، وقال بعضهم : تحذف واو الضمير وتبقى الضمة دلالة عليها ، قال الشاعر :

ولو أن الأطباء كان حولي وكان مع الأطباء الأساة
وتحذف الضمة للوقوف كقوله :

لو أن قومي حين أدعوهم حمل (١)
على الجبال الصم لا رفض الجبل

(١) الأصل : حملوا ، ثم حذفت الواو ، وبقيت الضمة ، فصار حمل ، ثم حذفت الضمة في ايرقف وسكن .

قلو بنى على الضم لا لتبس بهذه اللغة ، والكسرة أختها ، فنهت كنهها ،
فتعينت الفتحة) .

ثم قال ابن إياز ردا على هذا الرأي : (وهو مزيف عندى لوجهين :

أحدهما أن القرائن المذكورة معه تدل على ذلك ،

والثانى أن هذه لغة فادرة جدا ، فلا يتفق الكل على خوف
الالتباس بها) .

نرى ابن إياز أبطل هذا الرأي لاعتمادة على لغة فادرة وقليلة .

وفى مسألة إبطال عمل (ما) الحجازية :

قال ابن إياز : (ويبطل عملها بأربعة أشياء : الأول انتعاض النقي
بالا ، كقولك : ما زيد إلا قائم ، ولا يجوز قائما ، وحكى ابن خروف
أن الإعمال لغة قليلة) .

فقد رفض ابن إياز إعمالها بحكاية ابن خروف ، وذلك لأنها قليلة
ولم تعتمد على الكثرة التى هى أساس المتعج البصرى .

وفى مسألة منع الاسم من الصرف للعلبية والوزن :

قال ابن إياز : (والآخر الغالب ، وهو أن يكون الاسم على وزن
يغلب وجوده فى الأفعال ، وتشركه فيه الأسماء ، وذلك نحو يدمع ،
ومثال يفعل ، وهذا فى الأفعال أكثر منه فى الأسماء) .

ثم يرد على ابن الحاجب بقوله : (وقول ابن الحاجب : إنه يؤدى إلى
جملة ضعيف ، لأن نقل أئمة اللغة يقبل ولا يرد ، وإذا نقلوا عدم البناء كما
قالوا : ليس فى الكلام فعلل ، ولا فى الصحيح فيعل ، يكسر العين ، وقبل
ذلك ، فكذلك يقبل فى ادعاء الكثر) .

في هذه المسألة نجد ابن إياز يقصد من قوله : نقل أئمة اللغة ، القياس
المتعمد على العقل الكثير ، وهو ما يتمش مع المذهب البصري .

ومن أمثلة استبعاده الشاذ من القياس ، قوله في تعدد الفرق بين لم ولما :
(وثالثها جواز الوقف على لما دون لم ، كقولك . جئتكم ولما ، تريد ولما
أكرمك ، ولا يجوز مثل ذلك في لم إلا شاذاً ، كقول الشاعر :

يارب شيخ من لسكين ذي غم
أجلح لم يشمط وقد كاد ولم (١)

ومثله قوله في الاستثناء المفرغ : (ولا يجوز ما قام إلا زيدا ،
بالنصب لأن الفعل لم يأخذ فاعله ، وقد شد مجيئه كقول الشاعر :

يخاليني عمي ثمانين ناقة ومالي يا غفراء إلا ثمانيا

ومن أمثلة استعماله التأويل في الشواهد التي لا تنطبق عليها القواعد
البصرية بغية إخضاعها لتلك القواعد .

في مسألة دخول حرف الجر على الأسم بعد الفعل المتعدي ، وفيل
استيعانة المقعول ، قال ابن إياز : (ولا يجوز ضربت لزيد ، إلا على
تقدير زيادته ، كقوله :

ولمكت ما بين العراق ويشرب ملكا أجار لمسلم ومعاذ

(١) البيت من الرجز لم أعثر على قائله ، موجود في الخزانة (٥٢٨/٣)
الضرائر (١٠٢) ، اللسان (شمظ) .

اللغة : (يشمط) الشمط بياض شعر الرأس يخالط سواده ، (لسكين)
قبيلة من ربيعة ، (أجلح) في تهذيب اللغة (أجلح الشيخ أي ضعف وفترت
عظامه وأعضاؤه) .

أى أجار مسلماً ، ومنه قوله سبحانه وتعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أى أيدىكم .

وفى البيت :

ليبك يزيد ضارع لخصومه ومختبط بما تطيح الطوامح

قال : (وضارع وهو الذابل الخاشع مرتفع بفعل محذوف ، فسرره الفعل الماضى والمعنى يبكيه ضارع ، ونقل أن الناشئ ردهذه الرواية تحاملاً على الأشياخ الثقات ، وجهلاً بما فى هذه اللغة من الاتساع الذى يعرفه ذو الباع الوساع ، أما علم ساعده الله تعالى أنه قد جاء مثل ذلك فى كتاب الله عز اسمه ، وهو قراءة من قرأ (ويسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) أى (يسبحه رجال صفتهم ما ذكر) نرى بوضوح أن التأويل شمل الشعر والنثر ، وتخطاهما إلى آيات القرآن الكريم بغية إخضاع الكلام العربى كله إلى قواعده ، ومن تحامله على منكرى التأويل يتبين لنا مدى تمسكه به .

ولابد لى وأنا أقرر منهج ابن إياز من أن أعترف بأن كثيراً من تأويلاته وتخريجاته لم تكن من مبتكرات آرائه ، وإنما تبناها لرجانها ، أو متأثراً بأصحابها .

ومن شدة تمسكه بالكثرة فى القياس جعلها مرجحاً له فى دوران الأمر بين أمرين ، كما فى مسألة : قام القوم لاسيما زيد ، يدور الأمر بين كون ما زائدة ، والاسم بعدها يكون مجروراً ، وبين كونها موصولة بمعنى الذى ، والاسم بعدها يكون مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، قال ابن إياز : (فإن قيل : كلا الوجهين لا يعرى من تجوز إما بزيادة ما ،

(٥ — مجلة دمنهور ع ٢)

ولما يحذف المبتدأ ، فما المرجح ؟ أجبت زيادة ما كثيرة ، ويطرد زيادتها في مواضع كوقوعها بعد إذا وأين ومتى وبعد حرف الشرط إذا كان فعله مؤكداً ، وليس حذف المبتدأ من الصلة كذلك . وقد صرح أبو الفتح بأن الزيادة في كلامهم أكثر من الحذف ، ولذلك كان القول بزيادة الهاء في أمية أولى من القول بأصالتها .

ومن خلال ما ذكرت من أمثلة يتجلى لنا بوضوح استعماله للقياس المعتمد على الكثرة الموثقة من السماع ، وطرحه للشاذ والنادر بعد أن يستعصى عليه التأويل ، وكل ذلك مقومات المنهج البصري .

مصادر الاستشهاد عند ابن إياز

تقصر مصادر الاستشهاد في الآتي :

- ١ — القرآن الكريم وقراءاته .
- ٢ — الحديث النبوي .
- ٣ — فصيح كلام العرب من شعر ونثر .

أولا — القرآن الكريم :

كل ماورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به سواء أكان متواتراً ، أم آحاداً ، أم شاذاً ، قال السيوطي (١) : (وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً ، بل ولو خالفت عنه محتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه ، وإن لم يحز القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ، ولا يقاس عليه نحو استحوذ ويأني ، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة) ٥١ .

وابن إياز في كتاباته اهتم اهتماماً بالغاً بالاستشهاد بالقرآن ، وكان حريصاً على تطبيق القاعدة على القرآن ، وبيان ما يستطيعه من وجه العظيمة في الآية ، فإن عظيمة كلام العرب وأمرار خلوده لم يكن له أصل إلا القرآن ، ففي كتابه (القواعد في النحو) نرى الاستشهاد بالنص القرآني في كل فصل من فصول الكتاب يكاد يكون في كل مسألة منه . وبلغ من اهتمامه به أنه كان يتخذ القرآن مقياساً للكثرة ، فما ورد به فهو الكثير

(١) انظر الاقتراح (٤٨) .

الذى يقاس عليه ، وما لم يرد فهو الشاذ أو الردى الذى يجب طرحه ، قال
في مسألة كون فعل الشرط مضارعاً والجواب ماضياً : (وهي ردئية لم تأت
في الكتاب العزيز ، بل في الشعر كقوله :

فإن تقطعوا منا مناط قلادة قطعنا به منكم مناط قلاند (١)
وقال آخر :

من يكدننى بسىء كنت منه كالشجا بين حلقه والوريد (٢)

ثانياً — كلام الرسول ﷺ :

اختلف العلماء في الاستدلال بحديث النبي ﷺ إلى ما يأتي :

١ — مذهب الجمهور من البصريين والكوفيين منع من الاحتجاج
بالحديث ، قال السيوطي (١) (قال أبو حيان : إن الواصفين الأولين لعلم
النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء ، وعيسى

(١) البيت في المحصول شرح الفصول للمؤلف (١٤٠) ، وتوجيه
اللمع (١٢١) .

اللغة : (مناط قلادة) خيوطها ، والشاعر يفخر بقبيلته ، ويقول :
تقابل الإساءة بالضعف .

(٢) البيت في حاشية الصبان (١٧/٤) ، حاشية الخضرى (١٢٤/٢) ،
والمحصول للمؤلف (١٤٠) ، جمهرة القرشى (٢٦٣) .

اللغة : (يكدننى) من السكيد يخدعنى ويمكر بى ، (الشجا) ما يعترض
في الخلق ، والشاعر يعدد محاسن ابن أخته ، فيقول : كنت لى بحيث إن
من أراد أن يخدعنى ويمكر بى ، فإنك تقف فى طريقه .

(٣) انظر الاقتراح (٥٢) .

ابن عمر ، والخليل ، وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائي والغراء وعلى ابن مبارك وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يحتجوا بالحديث ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين (١) هـ .

وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى .

وثانيهما : أنه قد وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع (١) .

٢ — ذهب بعض المتأخرين كابن مالك ، والرضي إلى جواز الاحتجاج بالحديث واحتجوا بأن النقل بالمعنى إنما كان في الصدر الأول قبل تدوينه في الكتب وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق (٢) .

٣ — ذهب بعض المتأخرين أيضاً إلى الاحتجاج بالأحاديث التي اعتنى بنقل ألفاظها . ومن أصحاب هذا الرأي الشاطبي ، وتبعه السيوطي (٣) حيث قال : (وأما كلامه ﷺ ، فيستدل منه بما ثبت أنه تكلم على اللفظ المروى ، وذلك نادر جداً ، وإنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضاً .

وكان ابن إياز من أصحاب المذهب الأول ، ولم يستشهد في كتبه وبخاصة كتاب القواعد إلا بأحاديث قليلة بغرض الاستئناس والتبرك ، أو لتدعيم قاعدة .

(١) انظر الخزانة (٩/١) تحقيق هارون ، والاقتراح (٥٢) ، والمدارس النحوية (١٩) .

(٢) انظر الخزانة (٩/١) .

(٣) انظر الاقتراح (٥٢) ، الخزانة (١٢/١) .

ومما يدل على أنه من أصحاب المذهب الأول قوله في مسألة اقتراف خبر كاديان : (والثاني كادولها اسم وخبر غير أن خبرها فعل غير مقترن بأن وذلك لأن معناها الاشراف على الفعل ، وأن تفيد بعدة ، ولذلك شذت منها كقوله :

قد كاد من طول البلي أن يمحصا (١)

وفي الحديث (كاد الفقر أن يكون كفرا) .

يلاحظ أن ابن إياذ وصف الحديث بالشذوذ . وما ذلك إلا دليل واضح على أنه من أصحاب الخط الأول ، القائل بمنع الاحتجاج بالحديث ، وإلا فإن النبي ﷺ أفصح من نطق بالضاد ، فكيف يوصف حديث صدر عنه بالشذوذ ولذلك قال الأنباري (٢) : (فأما الحديث (كاد الفقر أن يكون لإفرا) فإن صح ، فزيادة أن من كلام الراوي ، لا من كلامه عليه السلام لأنه ﷺ أفصح من نطق بالضاد) اهـ

ثالثاً — فصيح كلام العرب (الشعر والنثر)

أولاً : — الشعر : اهتم ابن إياز اهتماماً متزايداً بالشعر ، فنراه في كتاب (القواعد) يستعمل نوعين من الشواهد :

(١) البيت من الرجز المشطور لرؤية بن العجاج ، وانظر : شرح المفصل (٧ / ١٢١) ، الانصاف (٢ / ٥٦٦) ، الجمل للزجاج (٢١٠) ، الهمع (١ / ٣٥) .

اللغة : (البلي) القدم ، (يمصح) يذهب ، وصف الشاعر متراً لا بالقدم وعفو الأثر .

(٢) انظر الانصاف (٢ / ٥٦٧)

١ — شواهد احتجاج: وهي الشواهد التي ساقها يستهدف منها احتجاجا على تطبيق قاعدة عليها، أو على تطبيقها على قاعدة، وهذه الشواهد قد تقيد فيها بالألتحدى عصور الاحتجاج، وهي الواردة عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم.

٢ — شواهد استثناس، وهذه شواهد ساقها لغرض الاستثناس بها في إخضاعها لتجربة انطباقها على القاعدة أو عدم انطباقها كشعر المتنبي وأبي فراس، وقد بين ذلك في مسألة: إذا تعلق الظرف أو الجار والمجرور بمحذوف عمل في المفعول له، قال: (والمفعول له، كقول أبي الطيب: في الخلد أن عزم الخليط رحيلا

مطر يزيد به الخدود محولا (١).

فطر مبتدأ، وفي الخلد خبره، وأن ومعمولها مصدر هو مفعول له، والمفنى: في الخلد مطر لعزم الخليط على الرحيل، وهذا تمثيل لاشاهد

والعلماء قسموا الشعراء إلى طبقات أربع:

الأولى: الشعراء الجاهليون، كأمريء القيس والأعشى:

الثانية: المخضرمون، وهم الذين أدر كوا الجاهلية والإسلام كالحبيب وحسان:

(١) الببب من الكامل للمتنبي وانظر ديوانه (٣، ٣٤٩).

اللغة: الخليط) هو الذي يخالطك، وأراد به هنا الحبيب، وهو واحد وجمع، ويجمع أيضا على خلطاء وخلط. يقول الشاعر: في الخلد لأجل رحيل الحبيب مطر يزيد الدموع، إلا أنه لا يثبت بل يحل، ومحول الخدود شحوبها وذهاب نضرتها.

الثالثة : المتقدمون ، ويقال لهم : الإسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجبرير والفرزدق .

الرابعة : المولدون ، ويقال لهم : المحدثون ، وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد ، وأبي نواس والمتنبى .

فالطبقات الثلاث الأولى . يستشهد بشعورهم إجماعا ، وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقا ، وقيل : يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، واختاره الزنجشیری والرضی الاستقرابازی (١)

قال السيوطی (٢) : (أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين ، والمحدثين في اللغة العربية ، وفي الكشف ما يقتضي ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول حبيب بن أوس .

ثم قال : وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لتوثقهم بروايته واتقانه (١ هـ

ولا يؤخذ على ابن إياز بأنه استشهد بشعر المولدين كالمتنبى وأبي نواس فقد أوضح لنا أنه تمثل لا شاهد .

(١) انظر الخزانة (١ ، ٥ ، ٦)

(٢) انظر الاقتراح (٧٠)

ثانياً — النثر :

لم يعتمد ابن إياز على النثر كثيراً ، فقد استشهد بقليل من الأمثال المأثورة عن فصحاء العرب ، ولا تتعدى في كتابه القواعد أكثر من سبعة أمثال : ومنها :

— في مسألة الأفعال الملاحقة بصار في العمل ومنها قعد : قال : (وقالوا : شحذ مشغرتة حتى قعدت كأنها حربة) .

— في مسألة خبر كاد وأخواتها لا يأتي أسماً إلا نادراً ، قال : (وفي مثل هسي أبوسا) .

وللحديث بقية مع هذا العالم الجميل لبعض مؤلفاته دراسة وتحليلاً في العدد القادم من المجلة إن شاء الله .

والله ولي التوفيق ٩

مصادر البحث

- ١ - أبو علي الفارسي من أعيان الشيعة - تأليف عبد الفتاح شلبي - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة .
- ٢ - الاقتراح في علم أصول النحو - للسيوطي - تحقيق أحمد محمد قاسم - طبعة السعادة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م - الطبعة الأولى .
- ٣ - الإنصاف في مسائل الخلاف - لكمال الدين أبي البركات الأنباري - تحقيق محي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية بالقاهرة .
- ٤ - بغية الوعاة - للسيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .
- ٥ - البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروز اباقي ، تحقيق محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .
- ٦ - تاريخ آداب اللغة العربية لرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، الطبعة الثانية - ١٩٧٨ م .
- ٧ - تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ، ورمضان عبد التواب أدار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ ، الجزء الرابع والخامس .
- ٨ - تاريخ علماء المستنصرية لناجي معروف : مطبعة العاني ببغداد الطبعة الثانية ، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م .
- ٩ - توجيه اللمع ، لابن الحجاز ، مخطوطة مكتبة الأزهر .
- ١٠ - الجمل للزجاجي ، تحقيق ابن أبي شنب (أستاذ بكلية الآداب

بالجزائر الطبعة الثانية، ١٣٧٦؛ ١٩٥٧ م مطبعة كلنيك - باويس .

١١ - جمهرة أشعار العرب للقرشي ، دار صادر بيروت للطباعة والنشر
١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م

١٢ - حاشية الحضري على شرح ابن عقيل ، المكتبة التجارية بمصر
١٣٣ هـ - حاشية الصبان على شرح الأشموني ، دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي .

١٤ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، لابن
الخطوطي البغدادي ، طبع المكتبة العربية ببغداد ١٣٥١ هـ .

١٥ - حزانة الأدب ، لعبد القاهر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م

١٦ - خلاصة الذهب المسبوك ، لعبد الرحمن الإرييلي ، مكتبة المتنبي ببغداد

١٧ - ديوان المتنبي ، شرح عبد الوحمن البرقوني ، الناشر دار الكتاب
العربي بيروت لبنان - أربعة أجزاء .

١٨ - شرح نصريف ابن مالك ، لابن إياز - مخطوطة

١٩ - شرح المفصل ، لابن يعيش ، عالم الكتب بيروت ، مكتبة
المتنبي القاهرة

٢٠ - الضرائر للآلوسي ، مكتبة دار البيان ، بغداد .

٢١ - القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى
الحلي ، ١٣٧١ هـ ، ١٩٥٢ م

٢٢ - كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ،
الطبعة الأولى - مطبعة العالم - ١٣١٠ هـ :

٢٣ لسان العرب لابن منظور .

٢٤ - المحصول في شرح الفصول لابن معطى قالبف ابن إياز، مخطوطة دار الكتب .

٢٥ - المدارس النحوية - لشوقي ضيف - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة ..

٢٦ معجم المؤلفين - لعمر رضا كحالة ، المكتبة العربية بدمشق - مكتبة الترقى بدمشق - ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

٢٧ - جمع الهوامع ، للسيوطي ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان :

د . محمد السيد متولى البغدادى

مدرس اللغويات بالكلية

الشاعر: **أحمد محمد رشيد**
حَيَاتِهِ وَصُورُهُ مِنْ إِبْدَاعِهِ الْفَنَى

بقلم الدكتور: محمد علي سيد أحمد داور

بأيء ذى بده أحمد ربى سبحانه وتعالى صاحب المنة والإحسان ، فقد
منّ علينا بنعم كثيرة أولها نعمة الإيجاد وأردفها بتوالى الإمداد ، ومن
أسمى النعم التى أمد بها المرء بعد خلقه نعمة العقل التى بها هدى الإنسان
إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وأصلى وأسلم على خير البشرية محمد صلّى الله
عليه وآله ويعتد .

فقد خلق الله الإنسان فى هذه الحياة لعبادته ، وهذه العبادة تسكن فى
أداء رسالات متعددة بمجموعها تتحقق له الاستقامة فى الحياة فتؤتى
أكلها وتكثر ثمارها ، ومن أجل هذه الرسالات الدعوة إلى الله رب العالمين
بعد السير على منهجه ، وبذل المرء ما يستطيع من الجهد فى البحث عما يفيد
الإنسانية فى كل مجال من مجالات العلوم المختلفة ، والأدب أحد هذه
العلوم ، وهذا الفن الإنسانى الجميل يستوجب ممن يبحثون فيه أن يفحصوا
عن خفيه ويبحثوا عن مكنونه الجيد الذى حالت الظروف دون ظهوره
أو نشره أو عملت على قتله حيناً ، هذه المعوقات التى كثيراً ما قتلت
صفحات ربما حققت لقارئها إفادة وإمتاعاً ، بل ربما كشفت عن مشكله
خطيرة أو رأى مستغنى ، أو ساعدت فى القضاء على بعض ما يقف فى
طريق فئة معينة من معوقات ، وهذا ما يدخل فى الواجب الذى يقع على
كوأهل من يبحثون فى هذا الفن ، وفى تصورى إن كشف الفكر والفن
والأدب أفضل بكثير من كشف الذهب والتنقيب عنه .

وينقسم الكشف عن خفى هذا الفن إلى أقسام ويتفرع إلى فروع :
فمنه البحث عن الأدب فى عصوره السابقة أو فى عصوره الحاضرة ، وقد
يتفرغ ذلك إلى البحث فى الشعر أو النثر بألوانه المتعددة .

والموضوع الذى آثرت أن أقف معه فى هذا البحث : هو شاعر ذو
موهبة شعرية فذة مكنته من الوقوف على تجاربه بمهارة عالية ورؤية
نافذة وبصر بجوانب الأمور ، وقدرة على التأمل فيها ، كما يمتلك زمام

الأداة الموحية ، ومع كل هذا فهو ذو قدرة على التعبير عن تجربته في سهولة تمتع على كثير من شعراء الجيل . وشاعر يطل على القارئ بهدوءه الظليل ويفرض علينا أحلام اليقظة التي تجيش في أذهان الكثرة من ذوي الإحساس الرفيع والحس المرهف ، يعبر عن ذلك وغيره في صور معبرة وفكر مستثير يشيعان في القارئ عددا لا يحصى مما يعيش في ذاته من فكر واحساس ، ولقد عالج الشاعر في تجاربه الفنية موضوعات شتى معالجة بديعة لم تر بهذا الأسلوب والشكل من قبل ، وهو بذلك شاعر له فكره ورأيه في مجال الشعر وهي آراء - في قصوري - يعتز بها مجال الدراسات الأدبية ومع هذه السمات الإبداعية الشاعر فلم يتوفر له من الأسباب ما يحقق لشعره الذیوع والانتشار ، بل ظل شعره حبيس صدره وقرصانه ، اللهم إلا بعض القصائد التي قبلت في المهرجانات الشعرية أوفى كلية الآداب جامعة الاسكندرية أوفى مبنى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، ولقد كان في مقدوره أن يرى النور ويسابق الكثرة مما نقرأه الآن ، ومن قبل من الشعر المعاصر لو أن الشاعر سلك مسلكاً آخر كهؤلاء الذين يتحدثون من شعر المناسبات مطيعة للظهور ، ! فكم من فرصة وافته ولكنهم رفض كل هذه السبل ، وكان مثله في ذلك مثل العربي الأدبي الذي يفقد قدوة في العزة والإباء والشمم ، يعيش وقوته الحياء والكبرياء ، وإنتى إذ أقدم هذا الشاعر إلى أعزائي القراء والأدباء إنما أقدم صفحة مشرقة من تجاربه الشعرية التي تكشف عن مقدرته الفكرية والشعورية عل ذلك يساعد على نشر بعض أدبه حتى تنضم الأولؤه الكبيرة إلى مثيلاتها في عقد الزمان الخالد ظل إشعاعه وسيظل إلى ما شاء الله ، وبذلك ومثله تظهر الصورة كاملة متكاملة معطاء ، وشاعر البحيرة لم تنشر له سوى قصيدة واحدة في كتاب مهرجان الشعر الخامس عام ١٩٦٣ م بالاسكندرية ، وهي من الشعر الوطني أنشأها الشاعر عام ١٩٥٩ م وعنوانها من أجل

شعب، (١) يقول فيها :

من أجل شعب مرهق بالذل والعسف الشديد
من أجل شعب عاش دهرأ مستذلا كالعييد
من أجل شعب دامى الاقدام من ثقل القيود
من أجل شعب هذه الاقطاع في أرض الجدود

... ..

من أجل هذا كله من أجل تحرير العبيد
دوى بأرجاء الزمان فمز أعماق الوجود
صوت من الشرق الفتى يزفه فجر جديد
أنا قد صحت ولن ترانى للكرى أبدا أعود
لا . لن أسلم مطلقا جفنى لأحضان الخنود

* * *

وقد آثرت أن أقدم للقارئ هذا البحث في جزئين — وأمل أن أوفق بعد في عمل يكشف الشاعر وتناجه ويقدمه لقراء الأدب وعشاقه ونقادهم — أما الجزء الأول فهو حوار مع الشاعر يغطي كثيرا من جوانب حياته — بما يناسب المقام — تعريفاً ورأياً ، بمعنى أنه حوار يكشف عن كثير من جوانبه الأدبية وآرائه الفنية ونظراته إلى الشعر كفن له دوره في الحياة .

ويقدم الجزء الثانى عرضا مناسبا لبعض التجارب البديعة من شعر

(١) القصيدة من مجزومة السكامل وعدد أبياتها ٥٥ بيتا وهى مخطوطة بخط الشاعر ومصوره لدى

الشاعر والكشف عما فيها من جوانب فنية تنبئ عن قدرة إبداعية في هذا المجال .

الأخ الأستاذ الشاعر أحمد محمد درويش . . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد :

أشرف بهذا اللقاء ، وأملى كبير في أن يكون محققا لما آمله منه ، وإنه إذا كان من واجب الباحثين في الأدب إظهار كنوزه ليطلع عليها القراء ، ويدرسها الباحثون ، ويتمتع بها الذواقة ، من أجل ذلك يجدر بي أن ألتقي بك في أكثر من لقاء ، فعمدي بك أنك تمتلك الفكر الفني والشعور المرهف والرؤيا النافذة والأداة الطيبة ، ولا أطيل عليك فالكلام كثير لو تركنا لا نفسنا العنان ، واسمح لي أن تبدأ الحوار .

— ما هويتك الكاملة ؟

الاسم : أحمد محمد درويش

المولد زمانا ومكانا : ولدت في أواخر الثلاثينات في لقانہ إحدى قرى محافظة البحيرة .

أما عن نشأتي : فقد تفتحت عيناى على هدوء الريف وصفائه وسحره وبهائه ، وعل الخضره الممتدة عبر الأفق والطبيعة الساحرة مما أثر في منهجى الشعرى منذ النشأة فأجدنى أقول :

لله درك منبع الخيرات ياريف يامهدى ولحن حياتى

آى من الاشراق فيك وكيف لي

تصوير آى الله بالكلمات

ولقد تناولت الريف كثيرا في شعري .

أما عن الكلية : فقد نخرجت في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف
عام ١٩٦١ م .

بعض الاعلام الذين تلقيت العلم على أيديهم ولهم عندك نصيب من
الذكر حتى الآن .

من الاعلام الذين أعتر بهم والذين تلقيت العلم على أيديهم : الدكتور
عبد الرحمن عثمان ، وكنت أحب فيه إنصافه لذوى المواهب الشابة المغمورين
أمثال الشاعر البائس عبد الحميد الديب .

الأعمال التي قمت بها داخل الوطن وخارجه :

من الأعمال التي قمت بها داخل الوطن : القيام بأداء رسالة مقدسة ، رسالة
التعليم ، واشتراكى في مهرجانات شعرية كثيرة بين الاسكندرية والقاهرة ،
ومنهما مهرجان الشعر الخامس عام ١٩٦٣ بالاسكندرية .

أما خارج الوطن : فقد أعرت للتدريس بعدن . وهناك شاركت زملائى
في مقاومة التيارات غير الإسلامية التي كانت تهدد البلاد في ذلك الحين .

الشعر فى رأيك : —

هو أرقى لغة وأسمها فى عالم التخاطب ، وهو المعراج الذى يسمى بالإنسان
إلى العالم الجميل العامر بالإحساس والشعور والوجدان والحب والجمال .

الشاعر فى مفهومك ؟

الشاعر إنسان يعذب بإحساسه ، ويؤرق بنخايطه وأفكاره ، المشارك
فى آلام الإنسان وآماله المترجم عن آمال أمته وأمانها .

يقول بعض النقاد : إن الشعر هو ما أشعرك وجعلك تحس جوانب النفس الانسانية ... للشاعر أحمد درويش إضافة على هذا المفهوم أوله رأى آخر من خلال تجربته الشعرية ؟ .

الشعر الصادق ما كان ترجمة لانفعالي صادق واحساس مرهف وعواطف نبيلة مما يجعل الشاعر يحيط بكل جوانب النفس الانسانية ويحس جميع ما يعتريها في حالتها وسعادتها وشقتها مشاركا لها وتخففا عنها .

والشاعر يؤكّد بذلك دور الشعر الاجتماعي في معترك الحياة الأليم .
ما الدوافع الحقيقية لقول الشعر ؟ وما مدى انطباق ذلك عليك في قولك للشعر ؟ .

أرى الموهبة مضافا إليها توفر التجويز الشعرية بما فيها من فكر ووجدان وصور تعبيرية مضافا إلى ما تقدم — أيضا — رهاقة الحس ، وهذه دوافع حقيقية لقول الشعر وذلك من خلال تجربتي معه ، ولقد كان يحلولى ترديد هذه الأبيات :

وفي بحر دمعى سرى زورق	يحذف فى ظلمات الكدر
تهب عليه رياح الهموم	ومرج الردى صاحب مستعر
وضل فلم يدر أين يسير	ولم يدر أين سينهى السفر
وملاحه عبقري الشقاء	قديم الأمل نابغى السهر

هل يتذكر الشاعر : أحمد درويش أول قصيدة قالها ليحدثنا حول العوامل التي فجرتها ؟ .

أذكر أن أول قصيدة قلتها هي ، دموع شاعر وكانت نتاج ظروف قاسية ملحة المت بى عام ١٩٥٤ م ، كما أذكر أنى ألفت هذه القصيدة بكلية

الآداب جامعة الاسكندرية في نفس العام ... وكثيرا ما كنت أردد أبياتها
بينى وبين نفسى حيث وجدت بها سلواى .

يقولون إن لكل عاطفة وزن معين يؤدبها ويتناسب معها (١) .

ولهذا يحسن الوزن فى غرض دون آخر كالوافر الذى يحسن فى الحماسة
والفخر (٢) .

والحبيب الذى يصلح للشعر فى حالات الانفعالات النفسية المصحوبة
باضطراب من شأنه ان يكون وقت وقوع حادث أو ما شابه ذلك
فأرايك فى ذلك ؟ .

أؤيد هذا رأى . . وأميل إليه .. فكلالوزنين ملائم لموضوعه وألمح
ذلك وأضحى فى شعر القدامى والمحدثين .

ما رأى الشاعر أحمد درويش فى الشعر الحر ؟ .

للوزن الشعرى موسيقاه الجميلة ، وماذا على هؤلاء الشعراء لو وضعوا
معاييرهم وأخيائهم فى قوالب موسيقية توفر للقارئ الامتاع بذلك الفن
الجميل شكلا ومضمونا .

هل يمكن أن تذكر لنا المؤثرات الحياتية التى يمكن أنه نعممها على
الشعراء فى كل زمان ؟ وما مدى انطباق ذلك عليك ؟ .

• البيئة وما تضم من عوامل ومظاهر ، والسياسة وما تعكسه من صور
قد تثير غضاضة أو تبعث رضا .

(١) موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس ١٧٦ ، ١٧٧

(٢) السابق ١٧٨

• الحالة الاجتماعية وما يترتب عليها من حياة طيبة غذاؤها الإخلاص وشرابها الود والصفاء أو عكس ذلك .

• النشأة التي ينشأها الشاعر ، فالشاعر الذي يعيش في ظلال الترف والنعيم يختلف عن ذاك الذي يعاني فقراً وبؤساً إلى غير ذلك من الوسط المؤثر ، ويظهر هذا بوضوح في أشعار المعاصرين .

الشاعر أحمد درويش : شارك في مهرجانات شعرية حضرها معك أدباء كان من الممكن أن يكون لك ذكر مثلهم إن لم يفق إن أنت أذعت شعرك ، هؤلاء الأدباء لهم من الشهرة ما طبق الآفاق ، وقد اختيرت بعض القصائد التي أذعتها للتدريس لما فيها من حس وطني وقومي ، فهل يمكن أن تحدثنا عن ذلك .

صحيح أنني شاركت في عدد كثير من المهرجانات الشعرية التي حضرها معي عدد كثير من الشعراء البعض ساعدته الظروف ، والبعض حالفه الحظ فكان لهم صيت ذائع وشهرة واسعة وكلا الأمرين لم يتوفر لي ، ولكن قنعت بإحساس شديد ينبؤني بأني أضمر شاعراً بداخلي .

أشعارك كثيرة كما أسمع ، ولكنني لم أقف على عدد القصائد فهل لي أن أجد عندكم جواباً ؟ .

بعد استبعاد شعر المناسبات أرى أن ما لدى من القصائد يربو على السبعين قصيدة ، ومعظمها من القصائد الطوال في مختلف الأغراض .

حتى الآن — مع أن لك فتاجاً شعرياً يشغل مساحة كبيرة ، كما يمتاز بمضامينه الفكرية والشعورية القيمة — لم يضم شعرك في ديوان أو أكثر ويطبع حتى يحتل مكانه في التراث وتكون الصورة للأدب المصري متكاملة في فكر كل أبناء الوطن ، هذا ونحن نقرأ في المجلات والصحف

صوراً من ألمع قتاج الشعراء وفي شعرك ما هو أشرق وامتع ؟
أرجو أن يتم ذلك قريباً .

ما مدى ظهور الحس الدينى والاجتماعى عند شاعر البحيرة ومصر
الأستاذ أحمد درويش ؟ .

لقد كان للحس الدينى والاجتماعى أثرهما الواضح فيما قلت من شعر
ظهر ذلك فى عدد كثير من القصائد الدينية والاجتماعية ، ومنها على سبيل
المثال قصيدة « يافور » ، فى ذكرى مولد الرسول ﷺ ، وفيها يقول (١) :

يا فـور متدا قد يقول لسانى وضياك فتان السنا ربانى
يا فـور والدنيا ظلام حالك والشرك يحدود جوة البهتان
صحراء تضرب فى ضرير الليل لا تدرى مدى لنهاية الخيران
ضلت سفينتها بلبيل آثم يا شوقها للنور والشطآن

ومن الشعر الاجتماعى قصيدة « هذا الذى سموه حبا » ، وفيها يقول (٢) :

الليل عطرى الهوى نشوان أسكره الريح
وهناك ... فى حضن الريح ... فى ظن الخيلة
وبربوة سلك الغرام إلى مفاتها سبيـله
حيث الهوى ... والسحر ... والآمال . والدنيا الجميلة
حب نما ... وزها وأرخی فوق مغناها سدولة
والحب ما أسماه لمن وثقته عرى الفضيلة
والحب قدس داهر لمن لم تدنسه الرزيلة

(١) القصيدة مخطوطة بحظ الشاعر وعددها ثلاثة وستون بيتاً من
بحر الكامل

(٢) القصيدة مصورة لدى وعدد أبياتها سبعون بيتاً من مجزوء الكامل

— للشاعر دوره الاجتماعى فلو فقدته قدرأ كبيراً من قيمته إن لم يفقدها كلها . فما رأيك فى هذا القول ؟

— هذا صحيح ؛ فالشاعر الصادق جزء لا يتجزأ من مجتمعه وقضايا ذلك المجتمع ، وبذلك لا يكون الشاعر قد أدى رسالته وقام بدوره حتى يلتحم بتلك القضايا يؤدى فيها رسالته ويقوم بدوره .

— هل للشاعر أحمد درويش رؤيا محددة فى أسباب كساد الجانب الأدبى إن وافقتنى على هذا التعبير ؟

— من أسباب كساد الجانب الأدبى : عدم التشجيع من جانب وسائل الإعلام التى لاتجعل للجانب الأدبى نصيباً من جانب ، وعدم وجود المجلات الأدبية الخالصة كمجلة الأدب التى كان يرأس تحريرها الأستاذ أمين الخولى ، ومجلة الآداب التى كان يديرها الدكتور « سهيل إدريس » ، ومجلة الرسالة التى كانت تتناول القضايا الأدبية لصاحبها الأديب أحمد حسن الزيات .

— ما الذى يمكن عمله فى تصور الشاعر أحمد درويش أو القيام به حتى تبث فى الأدب دماء الحياة قوية كما كانت وخاصة بعد إنشاء كلية اللغة العربية بدمهور ؟

— عليها أن تقيم الندوات الشعرية والمجالس الأدبية التى تبحث فيها قضايا الأدب والشعر ، وأن تقدم الحوافز للملابها الموهوبين ، وإصدار مجلة باسم الكلية تضم نتائج هؤلاء الموهوبين والدارسين والباحثين حفاظاً على التراث الأدبى .

وللشاعر أحمد محمد درويش رؤيا فريدة فى معالجة موضوعات تجاربه

الشعرية ، فهو يقدمها في إطار فكري ينم عن المقدرة والقوة ، ويواكب فكره بشعور فياض ، ويفرزها إفرازاً يلبسها ثوباً جديداً ، وفي صبغة حوارية تحمل في ثناياها الصور الموحية التي تقدم إليك الموضوع في إشرافه وسهولة ، ويكمل ذلك بالصدق مع الذات وبذلك يستطيع امتلاك الإنسياب والتغاذل إلى أعماق المرء ، وإليك عزيزي القاريء بعضاً من تجاربه لنكشف لك عن شيء مما فيها من فن وإبداع ، فهو في عيد الأم لا يقدم للأم وصفاً يصف فيه عناءها وما تحملت من أجل أبنائها ، وإنما يبحث في هدوء عن أغنى خصائصها التي تميزت بها حتى أصبحت لصيقة باسمها ، وهو لا يدخل على مراده مرة واحدة ، وإنما يحلق بنا في آفاق اجتماعية ليعالج خلال رحلته قضايا اجتماعية تمس أمن الأسرة والمجتمع والإنسان ، وهو من خلال هذه المعالجة يوفر للأم التي أعطينا كثيراً ما يضمن لها حياة تغم حتى بعض الراحة ، ويقدم الشاعر ذلك في حوار جذاب تجمعه خطوط قصصية تنتمي إلى فكرة أساسية عضوية .

فالحنان ، هذا المعنى الإنساني يجلس ذات أمسية في عزلة يجتر آلامه ويرصد ما كان من غدر له في سالف الدهر مرة ، وما هو ممتد في كل زمن مرة أخرى ، وقد حرقت أحشاؤه وضائق ذرعاً بما كان وما يكون وظل معذباً ، ولانذهب إلى القصيدة لنرى كيف بدأ معه الشاعر حواراً ، يقول (١) :

لمحت الحنان على رابية وحيداً بالآلامه المضنية
تساءلت : ماللحنان المعنى ؟ وماذا به هذه الأمسية
فقال : وما لي لا أصطلي بحمر يحرق أحشائية

ويقرأ المرء ذات الشاعر أحمد درويش في أشعاره وفي كل قصائده

(١) القصيدة تبلغ ٢٢ بيتاً من بحر المتقارب .

فهو يعيش وزاده الحنان ، ولقد أحاطت به أثناء حياته التي كان يتلقى فيها العلم جيوش جرارة من الهموم والآلام ، فكان لا يجد المنقذ منها أو المخفف عنه سوى هذا الحنان الذي يرشفه من دوحته الأميرة ، يرتجيه لأوجاعه ، فهو قد عهد طياً لكل داء . يقول :

فقلت : وما شر ذاك العذاب وأنت المرجى لأوجاعيه
عهدتك طياً لكل النفوس تفوق لدينا أبا الأدوية

ولكن ! يعود الحنان فيعلن عن حيرته الكبرى وتشرده المرير ، فهو يفتش عن مسكن ويبحث جاهداً عن مأوى ، يراها الشاعر في السكون كله كائنة ومن اليسير العثور عليها ، ويدور بينهما هذا الحوار الذي يبدو الحنان قائلاً :

فقال أفتش عن مسكن ومهد تقربه عينيه
فقلت لك السكون ذا كله تخير أيا صاحبي فاحيه

هكذا فهم الشاعر بينما يعلن له الحنان عن كنه مسكنه ، فهو لا يأوى لغير الأفئدة والقلوب ، إلا أن القلوب قد تعاورت عليها الأمراض ، ويظل الشاعر في سيره يتنهد القلوب ليقدّم لمخاوره منها أنماطاً يسكنها ، غير أنه يكشف للشاعر انزوائه عنها تقرأ بعض ذلك في قوله :

إلى قلب زوج على زوجها تريحه الحنان ولو ثانية
فقال : سكنت به ساعة فضقت بها زوجة قاسية

ويفتح الشاعر صفحة ليسجل فيها نقده وما يلسمه في الحياة الزوجية ، ويألها من قسوة تظهر عندما يخيب ظن الزوج في زوجته ، تلك التي ظهرت بوجه ظن من خلاله إمكان مساعدتها له في إقامة أميرة طيبة عمرها الناون ، كان ذلك من قبل ، ولكن ديهات مع الكثرة منهن .

ولاشك أن الرؤية والرؤيا كانا لهما تأثيرهما على الشاعر في هذا الجانب،
ويمقت الشاعر هذا الزواج الذي لا يقوم على علاقات طيبة تهدف إلى
بناء صرح شامخ من الأمر التي تتمتع بالخلال الطيبة وتؤدي رسالتها على
الوجه الأمثل، بل كل هدف المرأة منه النظر المركز والتمتع بالجوانب
الحسية والمادية، ومن هنا يسرع فيعمل ضيقة بقلب الزوجة قائلاً:

إذا أظهرتني له إنما لعارض أمر وليس له

ولتسمح لي عزيزي القارئ أن أعلن لك عن قدرة الشاعر على التعبير
الدقيق وتمكنه من أدوات فنه في قوله .

لعارض أمر وليس له

هذا التعبير الذي يذهب فيه المرء كل مذهب حتى يستوفي كل العوارض،
كما أن في التعبير ما يعكس تمجيد الشاعر للقيم، وذلك وتعمل من أجله
الطباع السليمة، ويهين له الفكر الإنساني، ولا يعني هذا عدم وجود القدوة
فهي نادرة الوجود، وإلا فإن النساء المثليات الفضليات شهيرات شرفن
صفحات التاريخ وأشرق بهن التاريخ .

وبعد أن يظهر بهذه الصورة حقوق الزوجة التي كان عليها أن تكون
سكناً لزوجها ينتقل إلى الزوج ليلجئ منه بعضاً من الأعمال والمواقف التي
تؤرق الحسان، وتجعله يلطم نفسه وينتمي ناحية أخرى جزئياً كئيماً،
يقدم لنا الشاعر هذه اللوحة الفكرية الشعورية التصورية في قوله :

فقلت : تخير فؤاد أب عطوف يبدد آلامه
على زوجة شاركته الحياة وقضت ليلاتها عافية

ويعكس الشاعر ما استخلصه من واقع أسرته الهادئة المسكينة التي
يمتد تعاون الأفراد فيها منذ أن كان أبوه حياً يظل أولاده بوارف عطفه

وتمتد ظلال حنانه على كل أفراد أسرته بما في ذلك زوجته التي هي أهل لهذا التمجيد والحنان حيث وقفت مع زوجها مشاركة في بناء صرح قوى شامخ أسسه العزة والإباء والمداومة على العمل ، وثمار العطاء المتجدد الذي يقدمه السابق منهم لللاحق ، ولا يزال تعاونهم متمسدا حتى اليوم .

ولكنه بعد أن يسبح على سطح غديره إذ به يرسل الفكر إلى أعماق الآخرين فيجدها تتخبط في ظلمات تؤرق بل تقتل كثرة من المجتمع ، ولهذا حل به الحنان وقتا ، وما أسرع تركه له ، ولكن لماذا ؟ تسمع الإجابة في قوله :

فقال سكنت به ساعة نخلت الآمانى وآماليه
فما راعنى غير قلب خلا إذا ما تزوج من ثافيه

فلا يدوم حاله ولا يستقر وصاله ، بل ينقطع الوداد وتناسى ما كان بينهما من وصال .

ويلم الحنان حاله حزينا مؤرقا ليبعث له عن مأوى يجد فيه مبتغاه ، وتطالعا في هذا المسكان وغيره من القصيدة ثقافة الشاعر الإسلامية في تجاربه الشعرية على نحو ما سنراها بعد في حوار مع الحنان الذى هو عقد الشاعر قارئاً لسطور التاريخ الإسلامى ومطلعا على كثير من القصص الدينى فى القرآن الكريم ، ونقرأ له :

فقلت تخير فؤاد أخ يحن على إخوه مثليه

وتظهر عقيد الشاعر وإيمانه بأن الحنان الأخوى والعلاقات الأخوية جديره باصطحاب الحنان ليسكن هذه الأقدسة الحافية ، والشاعر قدوة فى ذلك ، غير أن ما دعاه الشاعر بالحنان لا يطمئن إلى مكان فيه أدنى غضاضة ،

ويلوح التاريخ للحنان بتلك الصفحة القاسية ، والمذكورة في سورة
المائدة (١) ، يقول :

فقال لقصة قابيل عنف يمزق روحى وأحشائية

ويظل يبحث عن هدفه ويشتد ظمؤه وشوقه إلى تلك الغاية ويجوب
من أجلها السهول والأودية، ويستمر في بحثة عنها في كل القلوب ويستقصي
في بحثة عنها أكبر المخاوقات وأصغرها أو أهونها في نظر البعض ولا يترك
حتى الغاب وما فيه ، وانقرأ له قوله :

وقال ظمئت إلى غاية وجبت لها السهل والأودية
وفتشت عنها طوال الزمان وكل الدائن والبارية
ونقبت عنها بكل القلوب ولم تترك النمل أو هاميه
وفي الغاب عدت بقلب جريح فيسألوعنى قسوة ضارية

وينقب ! ويطول البحث ويحرقه الظمأ ، وجفأة يهتدى إلى ضالته
المنشودة ، فينادى والفرحة تغمره والسعادة تظلمه ، تقرأ ذلك في قوله :

وبعد قليل تنادى الحنان وفي صوته نشوة عالية
وقال رشدت إلى موطنى ساقطنه كل أياميه
فواد يجدد ما جدت له الأم في صورة زاهيه

وما أجمل قوله في الختام :

حنانك يا أمى لا يفتردى وكيف وفيه سنا ربيه

ومع ما في هذه القصيدة من صور بدیعة فدیقة التعبير في القصيدة تكشف عما فيها من :

• طريقة الحوار التي تضيف على القصيدة جوا تشيع فيه الحيوية ، وهذه الطريقة تشكل ظاهرة في شعر الشاعر أحمد درويش ، وتترامى عبارات الحوار في كلمات تتكاد تجتمع في « تساءلت ، فقال ، فقلت » تنادى .

• مقدرة الشاعر على التعبير عن الفكر في سهولة بالفاظ لها القدرة على العطاء والإيحاء، ومن ذلك تعبيره عن مقدرة الحنان على تطبيب النفوس ونشر ظلال السعادة على الكون ، كما أنه أساس في الطب النفسي ، فلمح ذلك في قوله :

عهدتك طبيا لكل النفوس تفوق لدينا أبا الأدوية

وفي قوله على لسان الحنان لما سأله أن يسكن قلب زوجته ، في هذا السؤال يتراعى لنا ما يوحى بالتمرد الذي يخترق قلب الشاعر بسبب نظراته الاستقرائية في حياة الزوجية وما يعترىها من كدر يقطع عرى الوداد ، وفي قوله :

وهروات يا صاحبي مسرعا

نقرأ إيجاءات الهرولة وما تحتمها من ضياع الاستقرار وقسوة القلق والاضطراب ، ولعل من أسباب ذلك ما صنعتته النظرة إلى المادية ، وتغير المعايير في نظر الكثرة ، ويأتي الشطر الثاني مؤكدا لما في القلق وما يتعلق به .

... .. كئيبا غريبا على الرابسة

ويظهر إيمان الشاعر العميق بأهمية القيم التي تربي في أحضانها ، وبين

عموديهما ، وهما هو ذا يعترف بها ، ونقرأ هذه المعاني في كثير من أبيات القصيدة ، ومن ذلك قوله :

على زوجة شاركتها الحياة وقضت لياليها عانيه
وفي قوله :

فقلت تخير فؤاد أخ يحن على إخوة مثليه

رإليك عبارة « فلعلت حالي » التي توحى بالغربة وضياح الأمن والطمأنينه ، ويقرر الشاعر أن الأم هي ماوى الحنان بيد أنها لم تكن كسابقتها في سالف الزمان ، يقول :

سأسكنه رغم عنف الزمان ورغم أعاصيره العاقية

ففي البيت إشارة إلى العلاقات الأمرية المفككة ، والشلل الذي منيت به أمر كثيرة في عصر يغزو فيه المرء السكون كله ، وهذه تجربة من تجارب الشاعر أحمد درويش الذاتية ، فقد تلقى تعليمه في وقت ينذر فيه أولو المروءات .

وتنشوع التجربة الشعرية عند الشاعر أحمد درويش ، وتظهر خلالها مدى مقدرته القوية في امتلاكه لغاصية فنه ، كما تظهر براعته في معالجتها ، فهو أحياناً يجمع أشعتان أساسية من الخيوط التي تكون تجربته وتعلق بها وتظهرها جليلة كما تزيدها ثراء وتصبح في صورة قد يظن قارئها أن الشاعر يتكلم عن واحد من هذه الخيوط أو أكثر ، ولكن سرعان ما تقوم القارىء إلى ما يريد الشاعر ليرى اللوحة واضحة ، وبتعبير آخر يتحدث الشاعر في كثير من تجاربه عن النتائج المتعلقة بموضوع التجربة ، ثم ينتقل من ذلك إلى مركز الانطلاق الرئيسى ، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل نراه يدخل على موضوع تجربته دخولا لطيفاً يأمر القارىء ، وتجذب أكثر أمراً بدخولك القصيدة واقتربك من مركز التجربة والوقوف

بجلاء على فكريها وموضوعها ، وهذا ما نلاحظه عنده كثيراً حتى في تقديمه لبعض القصائد ، وهذه القصيدة التي أبا بصدد الحديث عنها الآن يقدم لها الشاعر بقوله :

« هناك وسط الغياهب والظلمات المستبدة بالشعوب الآثمة الطاغية وسط الحنين المتواصل والشوق العارم واللاهفة الظمآنة لبزوغ فجر مشرق بسام ولد الفجر المقدس » (١) .

ويجلس الشاعر وحيداً على شاطئ الزمن ثم يرسل من فكريه رسولا ليبر الليالي ويقرأ فيها سفر ضحايا الأمم ، وبين الأمي والالم يتهاوس القلب والدمع ويعزفان استنكاراً ودمعاً سخيفاً وحزناً على قاهان البشر التي ظلت ضحايا للظلام وسبايا الحجر ، يسجدون للظلمات ويركعون للشور ، ويضربون بمجدافهم في ليل بهيم يقودهم الاستبداد إلى مهابط الجهل ، فتوى هي الأخرى لتتخبط في مهاوى العدم ، يقول في مطلعها :

وحيداً جلست بشط الزمن	أقلب سفر ضحايا الأمم
وأرسل بالفكر عبر الليالي	فيتتاب فكري الأمي والالم
وأسال قلبي ودمعي يجيب	أهلاً رأيت قطيع البشر
يعيش كدود حوته الصخور	ضحايا ضلال أسارى حجر

. . .

يهم على وجهه حائراً	ويضرب مجدافه في الظلم
فن مهمه حائراً مستبداً	إلى مثله ساجداً للهنم
إلى مهبط الجهل يروى به	ويستأنف السير في مداهم

ويقف الشاعر طويلاً مع هذه الفعلة الفكرية ، والمتمثلة في وأد

(١) القصيدة بمقدمتها عندي بخط صاحبها .

البسات ، ولكن الشاعر لا يسردها سرداً ولا يحكيها حكاية كتب التاريخ ،
ولكنه يقدمها للقارئ في صورة عميقة تليق لعشاق الشعر وقرائه ، إنه
يقدمها في صورة حوار بلسان الوئيدة تليقيه على أبيها في صور استفهامات
ينساب منها الاستنكار ، وتتقاطر منها الحسرة والألم ، يقول :

فهذي عروس كغصن نضير تساق إلى الموت وسط النهار
تنادي أباه : أبي هل جنيت لأدفن في التراب بين القفار
وكان عليه أن يكون بالفطرة رحيماً ، أو بالخريزة — على الأقل —
كالحيوانات الوحشية التي تعطف بغريزتها على صغارها ، ومن أجل هذا
تخاطبه الفتاة قائلة :

أبي أين قلبك أين حجرك أمازلت تهفو لغى الفلاه
أتتبع دين الهوى والتجنى ومن ذا يدين بدين الطغاه

وعلى لسان المؤودة يصور الشاعر رد القسوة كلها والطغيان والشرعة
العمياء ، رد الأب العاتي :

فيصرخ فيها أبوها العتي وفي صوته رقة قاسية
أبوك يدين بدين الجودود ودين جدودك في عافيه

فبئس ذلك الدين وبئست هذه السنة ، ويألها من شريعة عمياء ، تقرأ
على لسان ما كان يدعى في سالف الزمان بالأب : تقرأ قوله :

ووأد البسات هنايا بنتي تحتمه سنة البادية
وكيف التحول عن شرعتي وشرعي عمي وأجداديه
دعيني أوارى عليك التراب وأرجع والنفس لي راضية

ويحدث كل ذلك من الأب دون معاناة منه حتى لأدنى درجات

الإحساس بالذنب ، واسكنه نحر كل الفخر معتر كل الاعتزاز ، ويردد
أحسان النصر ويطلب من ذويه تردها معه :

ويرجع والفخر ملء الرداء يردد الحانه المخزيه
وأدت ابنتي يا بن عمي فجلجل بنصر ابن عمك في الراية

ويتابع فكر الشاعر عبر الليالي ليتم له عرض صور من سفر ضحايا
الأم ، ويخبره السفر في هذه المرة بضحايا الحروب التي أجبتها ظلمات الجهل ،
يقول :

ويشعل حرباً تهز الدنا وحيته أنه من قبيله
يراها تخلف مهد الشكالي ودمع اليتامى فيشفي غليله

وينطلق من هذه الصفحة ليقراً صفحة أخرى من ضحايا الموبقات
الأخرى ، إنها الخمر والميسر والذيلة التي لا تخلف غير أطفال بؤساء .

ودنيا تموج بفحش الضلال وكأس تعج بخمر الرذيلة
وطفل يصيح ... ! أريد الحنان فأين أبي : أين أين سبيله
وأم يمزق أحشاءها حنين ابنها فتد ذليله
أبوك بني قريب قريب أمامي ولكن فقدت دليله

وها هي ذى الشرور والمفاسد التي يأنف المسلم من ذكرها تردها
المرأة في الجاهلية مستفكرة ما يحدث والامى يتقاطر منها ، وهذا
دليل على أن المرء لو ترك لفطرته لاختر الإسلام ، واقرأ معي قولها
تقول :

أهذا ؟ أذاك ؟ لقد حار لي فأني بني لكل قتيله
فلا تلمني يا بني فأني ضمنت ومالي في ذاك حيلة

ويأتى دور الإرادة الإلهية ، ويقترب الأمر من ميقاته الزمنى فينتصر
الحق فى النهاية .

ويبدو نور الفجر الذى مرق ليل الأسمى ، ويتدفق نبع الهدى فينصف
المظلومين ، ويرشد الحائرين ، ويحمى حمى العفة ، ويتردى الأشقياء فى
فى هاوية الجحيم ، ولتأخذ فى قراءة النتيجة المترتبة التى تظهر مقدرة الشاعر
الفنية فهو يدخلها عليك دخول الماء السلسبيل قلب الظمان أجهده طلب
الإرتواء ، يقول :

ومن بين ليل الأسمى والضلال إذا هم بفجر الأمان بدا
ومن قلب صخر وقلب جبال تدفق سلسال نبع الهدى

. . .

من الغيب جاء يرد الطغاة
ويروى الظماء ويهدى الحيارى
ويرفع لاقمم العاليات
ضحايا الخضيض وينجى العذارى

. . .

ينادى من الغيب إني هنا فحديق بقلبك عبر السماء
أطل عليك خلال الليالى فيفزعنى موكب الأشقياء

ويتجلى لك عزيزى القارى . أن الشاعر يتنفس الصعداء حمداً وشكراً
على هذا التخلص من التخبیط والتردى فى مهاوى البلاء والاصطلاء بنيران
الفحشاء والفساد إذ نراه يكرر ذكر هذه المفاسد فى بيت بعد ذكره لها
فى تسعة عشر بيتاً ، وكأن كابوساً قد جثم على صدره فلما جاء الهدى

وتفجر النور انزاح ما كان قد جثم عليه من ثقل الهم فراح يترك نفسه لشهيق
فقي طويل ليزيح عنه سحب الهم وليخفف آثار لوعة الماضي ويدخل
في بداية عهد جديد ، يقول :

ضلال وبغى وحن وكاس وحرب تجر ذبول الفناء

ثم يستأنف ذا كراً ما هو مأمول ومر تقب بيزوغ هذا الفجر الجديد
الذي به قد خفقت رايات الرحمة على الكون وامتد على الإنسانية ثوب
السلام ، واهتز لهذا المولد العظيم ما لم يهتز من قبل . بل كان ذلك إيذاناً
بتصدع أركان الظلم وتهدم الجبروت ، يقول :

سأبسط ثوب السلام عليك	رأنشر في الكون حلو الضياء
ويرنو الحيارى لداعى السماء	فيلقون فجر الهوى يولد
تواكب رحمة الإله	ويسطع من بينه أحد
فتسرى بهم رعشة المظلمين	لفجر الضياء لفجر الغد
ولايوان كسرى على ما به	يصدع من روعة المولد

وفي ثنايا الأفكار تظهر بوضوح الروح العلمية ، حيث يهتم الشاعر
بذكر النتائج وخاصة في مثل هذه التجارب التي تهم البشرية كلها لأن في
نجاحها تخلص للبشرية من براثن الهلاك وتأخذ بيدها إلى مرافق القوة
وتضعها في المصاف الأولى وفي مقدمة المواكب المستنيرة بالأسلام
المستظلة برحمت الإله ، ويحضرني في هذا الموقف الجامع للضدين اللذين هما
الشرك وما فيه والنور وما يحويه يحضرني قول الشاعر :

ضدان لما استحسننا اجتماعا والضد يظهر حسنه الضد

وبهذه الصورة استطاع بما يملك من مقدرة فنية وثروة تعبيرية أن
يواكب الامتداد الشعوري بثوب تعبيرى ملائم يجمع بين القوة والسولة

والإيحاء ، والإمتاع ؛ فالقاموس الشعري في هذه القصيدة يضم كثيرا من التعبيرات ذوات الدلالة الاجتماعية التي هي أساس في تجربته من « وأد ، وظلم ، وحرب ، وقتل ، ونخر ، وحن ، وكاس ، وانظر على سبيل المثال لا الحصر كيف صور الشاعر البشر - وهم يهيمنون في الظلمات قبل انبلاج النور - بالقطيع مرة وبدود حوته الصخور مرة أخرى ود أسارى حجر ، مرة ثالثة ، كما يصور القطيع تائها في مهاوى المهلكة بقوله :

ويضرب مجدافه في الظلم

ثم تصويره للأب العاني في عودته بعد « أد لبنته بهذه الصورة النفسية حيث يقول وهو عائد من عاره « والنفس لي راضيه » وهذه الصور تعكس الجانب الاجتماعي ، ولتعد سويا إلى بعض العبارات والألفاظ لنقف على بعض من إيحاءاتها ومكانها في التجربة ، فعبارة « كدود حوته الصخور » تعكس المهانة والذلة والاستعباد وضيااع القدر والهمجية ، وكلمة « دود » توحى بالضيااع والاحتقار إلى غير ذلك مما يقرؤه المتأمل في جوانب اللفظ فلفظة « أنى » كلمة لها مدلولها الواضح إلا أنها هنا توحى بالحنان والعطف والحماية والرافة والصلة القوية ، وكلها تتنافى مطلقا مع ما يقوم به الأب من « أد وغيره » ، وكلمة « أدفن » تعكس غاية القسوة والجفاء وموت الجانب الإنساني وفقدان الضمير ، وكلما زدت تأملا في هذه الألفاظ زدت جنيا ووقفا على إيحاءات أخرى ، وأما لفظة « دعيني » فنقرأ فيها الصراع النفسى الذى يحتاج قلب هذا الجحود ، كما تحس بمبلغ ما وصل إليه من الجهل والغلظة والسفاهة في التعبير بكلمة « فجلجل » .

وفي القصيدة بعض من العبارات التي لها إيحاءات إيمانية ، فعبارة « أطل عليك » في قوله :

أطل عليك خلال الليالى

توحى بانكشاف المخلوقات لله تعالى انكشافا كاملا ، كما توحى

بالقدرة الخارقة والارادة العظيمة والهيمنة الكاملة والتدبير المحكم ، فكل شيء عنده بمقدار .

وأما الشطر الثاني في البيت السابق .

. وأنشد في الكون حلو الضياء

فيوحى فيما يوحى به بعموم الرسالة وانسانيتها وأن في اتباعها تحقيقاً
لحياة حلوة هائلة ، كما تقرأ جمال الاعتدال الذي هو مطلوب في كل شيء .

وبما يلاحظ تنوع القافية في هذه القصيدة ويكثر هذا في شعر الشاعر
عما يجعل هذا التنوع يمثل ظاهرة واضحة في شعرة ، ولعل السبب في ذلك
هو دفع الرتبة وسيراً وراء ما جادت به القريحة .

.

وللشاعر تجربة شعرية أخرى في نفس الموضوع السابق بعنوان
« يا نور ، ولكنها على امتداد أشمل وفي ثوب ممتد إذ يبلغ عدد أبياتها
واحداً وستين بيتاً من بحر الكامل ، وحيث لا يتسع المقام — في
تصوري — للتحدث عن قصيدتين في تجربة واحدة بإسهاب أسوق إليك
بعض أبياتها لترى مبلغ اتضاح الرؤيا عند الشاعر وقدرته على امتلاكه
لمكونات فنه الشعرى . يقول فيها :

يا نور ماذا قد يقول لسانى

وضياك فتان السنا ربانى

يا نور يا مر الوجود وسحره

والممكن الأسمى عن العرفان

يا نور يا من قد هدى بشعاعه

ركب الحياة وموكب الأزمان

يا نور إني في حاك لعاجز

عن وصف من جلالك الروحاني

أنا قد عجزت وليس عيباً أن يرى

عجزى أمام مجسم نوراني

وأنا الضعيف فكل أمرى أننى من طينة في صورة الإنسان

ومكانى الأرض التى أحيا بها ومكانك الأسمى رفيع الشأن

قرلى وكيف ؟ وكيف أرقى للعلا

وأطوف حول منابع الرحمن

هبات أن أرقى لمنبع نوره شتان بين مكانه ومكانى

ثم يذكر ما كان قبل ميلاد النور من جهل واستبداد وظلم فيقول :

وبريئه لما تزل تحت الثرى مزهولة مما جرى وتعانى

ماذا بها؟ وهى التى لما تزل طفلية الأحلام والتبيان

راحت ضحية من تبدى قلبه أقسى من الجلود والصوان

وبعد ذكره أنماطاً من البغى والطغيان والفساد يشفع ذلك بذكر

لهفة السكون وظمئه وتطلعه الشديد إلى الخلاص . يقول :

والسكون أسمى فى حنين دائم تبدو عليه دلائل الهمهان

ثم يذكر عن عجزه البين عن مدح خير الأمة محمد ﷺ ، فشعره

لا يؤدى جانباً من وصف عظمة الرسول عليه السلام ، غير أن شعره

يشرف بذكر الرسول ﷺ ، ومن ذلك قوله :

فلو أن شعري من جهان فاصع أو من يقيم الدر والعقيان

أو من نجوم زاخرات تزدهى سحرية الأضواء واللمعان

أو أننى كنت الفصاحة والنهى والهمة العليا فى التبيان

ما كان شعري بالمؤدى جانباً يا بن العلا ياملهم الفنان

وهذه القصيدة قد ذكرني بقصيدة الشاعر «هاشم الرفاعي» التي عنوانها «رسالة في ليلة التنفيذ» (١) وهي التي يقول فيها :

أبتاه ماذا قد يحظ بنائي والحبل والجلاد منتظران !

هذا الكتاب إليك من زخانة

مقرورة صخرية الجدران

لم تبق إلا ليلة أحيا بها وأحس أن ظلامها أكفاني

ولا شك أن الشاعر قد قرأها وعاشها فهي صورة للظلم الغاشم آتخذ ولا ريب أن الشاعر عايش هذه الفترة وما فيها من جهل وظلم واستبداد فكان من المعجبين بالمرحوم «هاشم الرفاعي» وبتصويره وبفكره ولعل هذا الإعجاب هو الذي ساقه إلى معارضتها وذلنا .

. . .

وننتقل إلى تجربة ثالثة نقرأ فيها هذه المرة ذات الشاعر ونعيش مع أدب الاعترفات الذاتية التي تعكس معاناته وبعض ما تكبده من آلام وأحزان وما تحمله من هموم حين كان يتلقى العلم في معهد الاسكتلندية الديني الثانوي عام ١٩٥٤ م فقد كان الشاعر حينئذ يمثل الطائفة التي كانت تعيش بشق الأنفس ، لأنه كان من الطبقات الكادحة ، ولم يكن يرضيه أن يجمع مالا تتقاطر بسببه الكرامة أو يتصدع به بفتيان الوطنية عنده ، وإنما عاش يعمل ويعاني الآلام تعبث به موجات القسوة وتسلبه كل وجه لغيرها ، ولا يجد له متنفساً غير الكلمة الصادقة ، وهذه التجربة لا تكشف عن ذات الشاعر فقط ولكنها تعبر أيضاً عن حياة الكثرة

(١) ديوان هاشم الزماعي ٢٤٣ تحقيق : محمد كامل حته

من الشعب السكادح الذي عاش حياة البؤس والحرمان والألم ومتمت نفسه
الدمع السخين .

وتبدأ نسج خيوط القصيدة في نفس الشاعر منذ بدأت الآلام تسكن
جوانحه ، لكنها تفجرت على إثر حادثة عادية - آنثذ - ولكن ظروف
الشاعر والعوامل التي أحاطت به جعلت هذه الحادثة ألحمة الواقع على النفس

وملخص هذه الحادثة - أن الشاعر وهو طالب في معهد الاسكندرية
كما سبق أن ذكرت ، كان يعطى درساً في اللغة العربية لابن أحد أثرياء
ذلك العهد ، وقد اعتاد الرجل أن يعطى المدرس مبلغ جنيهين مقدماً ، وكان
وقع هذا المبلغ عند الشاعر عظيماً ، فقد كانت له قيمة شرائية كبيرة
عما جعله يبخّر كثيراً من الآم الحاجة كل شهر ، وقد تعود شاعرنا وضع
ذلك في حسابه أول كل شهر ، ولكنه يذهب هذه المرة وكما تعود كان قد
رتب أمره وأدخل في حسابه هذا المبلغ ، ويجلس الشاعر مع تلميذه وعيناه
تسترق النظرة نحو حركة تكون إينانا بالدفع ويشرح له درسه ويمر
الوقت سريعاً ويرتقب المدرس أجره ، ولكن الأمر كان على عكس
ما جرت به العادة ، إذ بات ينحت ذاقه وتمر اللحظة تلو الأخرى وكان
كل لحظة آلة نسج سريعة تنسج أكفان الأمل الذي عشعش بين جوانب
الشاعر وقت ذهابه ، وتقطع خيوط الرجاء ويحتضر الأمل وتبخر أمنية
الشاعر لتحل محلها الحسرة والبؤس وهكذا تزدرد حيطان الكدر آماله عندما
يقن أن والد الطالب الذي كان يدين بالمسيحية ينادم صحبته وقد لعبت
بهم الخمر فأفقدتهم مسحة الأدمية فخرج الشاعر و كله ألم وحسرة ، أناس
يحصلون على ما يقيمون به أودهم ويحفظون به حياتهم بشق الأنفس
وآخرون يضربون في النعماء تلازمهم التخمة وتتجمع الآلام والأحزان
والهموم التي نسجت وصنعتها عاديات الزمن لتخرجها هذه الواقعة في
صورة كاملة تحت عنوان « دموع شاعر » .

واسمح لي عزيزي القارئ إذا قرأت معي تقديمه للقصيدة إذ يقول :
 « هذه قصيدة بأئسة سطرتها وأنا بانس في ليلة من ليالي شقائي وحرمانى
 وكان مدادها دمعى السخين ممزوجاً بدم القلب الجريح الذى كان يسيل
 منه فى تلك الليلة : من فرط حرقته وأليم عذابه ،

وينطلق الشاعر فى بدء قصيدته بهذا الأسلوب الأنشائي الذى يعلن عن
 الألم ويسفر عن الحسرة ولا يملك معه المرء إلا أن يقف متعاطفاً مع هذا
 الحائر البائس الذى عاداه الدهر فظل يصطلي بنار الشقاء ولا تتجاوب معه
 مخففة آلامه إلا دموعه الصادقة ، وتحت كل دموع سر دفين يضم آلاماً
 وأحزاناً وهزساً وشقاء ليس على نفسه فقط ولكن على هؤلاء الذين
 انتظموا فى سلك الحيرة و كبلوا بالشقاء القاتل الذى انعكس على الشاعر
 فأصبح يرى كل شيء قائماً ...

بهذا الأسلوب يفتح الشاعر هذه السحب المحرقة ، وينظم إقاموس
 الحيرة والسهد والاضطلاء بنار الشقاء بقوله :

سلوا عبرتي ففى مشوى الخبز
 ودمعى صدوق إذا ما انهمر
 سلوها تجبكم عن المصطفى
 بنار الشقاء ومضى الفكر

وذاتية الشاعر أحمد درويش لاتعنى الفردية الضيقة وإنما هى معيار
 للحقيقة يستطيع صاحب البصر أن يقرأ من خلالها حياة الآخرين

ولهذا :

ستنبئك أن وراء الدموع نفوساً حيارى بجور القدر

فالنفوس محجوبة وراء هذه الدموع ، ويعيش غريق هذه الحجب المظلمة ، ويطلق الشاعر فكره وراء بصره الثاقب ليلتقط صوراً لكثرة من يعيشون في هذه البؤرة العمياء التي لم يسمح القدر لأحد من هؤلاء المساكين بالخروج من إطارها هؤلاء الذين يعيشون على هامش الحياة ، هذا الذي أقلقه حتى أخرجه الألم عن طوعه فراح يصف القدر بالجور ، والدمر بالفجور مما يتحفظ الشاعر منه الآن ولنسمعه يصف هذه الحياة في قوله :

وأن حياتي سهاد مقيم وبؤس ممض ودهر فجر
فإن عبر الدمع عن لوعتي
فصدق فما الدمع إلا أثر

وينتقل من هذا الوصف العام إلى حكاية قصته السابقة التي فجرت هذا السيل من الآلام ، وفي ثنايا الأبيات تهب عليه الأفكار الفلسفية التي تراود نفوس الكثير من البشر من رباح الفناء والضياح ، وكثير مما يؤلم النفس الإنسانية ، يقول :

ففي ليلة من ليالي دموعي	تناهت لديها معاني الخطر
تحيط بها عاديات الليالي	وتزخر فيها بحور الكدر
وقد حوت البؤس في جعبتها	وبين دجاها الرهيب استعر
وسوط العذاب يغني بها	نشيد الفناء الأليم الأثر
ويرقص دهر بها ساخرا	كما يستخر الفارس المنتصر
زويت

وهكذا تطول الجملة بمتعلقاتها كثيرا عند الشاعر حتى تفصل إلى هذا الحجم ، وهذا الطول يعني عند الشاعر عمق التجربة وقوة الشحنة وما تحمله من امتداد الهم والحزن الذي ناسبه إمتداد الثوب التعبيري لافراغ ما في

النفوس من شحنة العذاب وإعلانا للحسرة التي منى بها إذ نراه يرى صور الكدر والبؤس والعذاب والفناء والآلم وسخرية الدهر ، وهذه الصور تؤرخ لقطاع زمني عاش فيه عامة الشعب في بؤس وألم ، فالشاعر يترجم المشاهد اليومية وينقلها إلى مجال الفن ، ولا يستطيع القيام بذلك إلا من أوتي موهبة أدبية رفيعة .

وها هو ذا ينتقل إلى الطبيعة ليرى فيها مسلاة له ورياً من هذا الظمأ ، وليتجاوب معها ، ولكنه يتف حزيناً أمام زهرة يرى فيها صورة نفسه ، كما يخلع من إحساسه عليها في صور بعيدة عن المباشرة ، هذه الزهرة التي تعاني الهموم والآلام والذبول ، تلك الزهرة التي أصبحت هدفاً لسهام الزمن النافذة ، وبروح الفردية الراقية ينصهر الشاعر في بوتقة الجماعة ، ويعيش مع هذه الزهرة التي حفتها المأسكات فيتحذ منها رمزاً له ولكل من هو على شاكلة من ذبلت حياتهم دون أن يشعروا رائحة النعيم كما روى الشاعر .

... كما رويت زهرة على وجنتها رواء الصخر
رماها الزمان ولما تذق لطيف النسيم ونجوى القمر
ولم ترتشف من رحيق الندى ولم ترتو من شفاء الغدير
وتشارك الزهرة الشقاء ، فلم تر طعاماً للذة ، ويربطها بالشاعر هذا الخط الحسى الدقيق ، فقد هبت عليها رياح الفناء .

ولم تر فجراً بهي السنا يداعب فجر صباها النضير
رماها الزمان بقلب الدجى وفي مسكن مستبد وعمر
تسائل في حسرة نفسها ألا ليت دهري ماذا الخبر

ويفيض الاستنكار من الشاعر فيحمله الزهرة التي تستفهم مستنكرة في قولها .

أيزوى شباني الطرى الإهاب بدون أوان ولم استشر
وتطل علينا في هذه القصيدة روح التأثر بالخيام في رباعيته
في قوله (١):

لبست ثوب العيش لم استشر وحررت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضوا لثوب عني ولم أدرك لماذا جئت أين المفر ؟

وتذكرني زهرة الشاعر بزهرة إيليا أبو ماضي ، غير أن زهرة
الشاعر تمعذب وتلفظ أنفاسها مرة واحدة ، أما زهرة « أبو ماضي » فقد
جثمت عليها قيارات الشلل لها :

... .. جناها ولوع بالزهور لعوب (٢)

رآها يحل الفجر عقد جفونها ويلقى عليها تهره فيذوب

فالزمان لم يرمها بالفناء ولم يرقص الدهر بها ساخراً ، ولكنها تمعت
بلطف النسيم ونجوى القمر ، وارتوت من الغدران ، إلا أن مصيبتها
هذه المرة كانت على يد ظالم وجهته الأنانية الحقاء وقادة الجهل فصنع بها
ما صنع ولهذا .

ثوت بين جدران كقلب مضيمها تلمس فيها منفذا فتخيب

ويعكس الشاعر سخطه على هذا المصير الذي يظهر في قول الزهرة
التي شخصها الشاعر حين تقول :

فيا ليتني لم أكن زهرة إذا كان هذا مصير الزهر

(١) رباعيات الخيام ترجمة أحمد رامى ط ٤ مطبعة غريب

(٢) الجداول ١٦، ١٧ ط ٢ — ١٩٦٠ م

ونلاحظ في القصيدة بعض السمات الأسلوبية التي تشكل عنده ظاهره واضحة ومنها :

استخدام بدء واحد لاكثر من بيت ، ويظهر ذلك كثيرا في شعره ، ومن الأمثلة على ذلك من هذه القصيدة «رماها الزمان ، و «رماها الزمان» ولعل هذه الظاهرة تدل على كثافة التجربة وقوة التدفق والاستقصاء والعمق ، ومحاولة التنفيس عما في النفس بقدر يتناسب مع كثرة الهموم وطولها وشدة وقع الآلام . . !

كما يكثُر عنده الاستفهام الذي يعلن فيه الشاعر عن التحسر على ما بعد الاستفهام كما ينبى عن شدة الالهفة للخلاص من هذه القلاقر والاضطرابات اختيار الشاعر للكلمات التي توحي لإيحاء قويا وتتناسب مع قوة التجربة ، وانظر معنى قوله :

وأن حياتى سهاد مقيم وبؤس ممض ودهر فجر

فشكل لفظة في الشطر الثانى من البيت السابق تمثل طاقة قوية تناسب وقع الألم على النفس ويظهر هذا بوضوح فى جل الأبيات .

ورغم هذه الآلام فالشاعر يمتلك من القوة ما يمكنه من السير فى مهب الآلام مخترقا سحب الأحزان توجهه إرادته وعزمته هاتقان اللتان يحذف بهما فى معان الخطر بين رياح الهموم وموج الردى ، يقول :

وفى بحر دمعى سرى زورقى يحذف فى معان الخطر

تهب عليه رياح الهموم وموج الردى صاحب مستعر

ويفضى الشاعر بما يخلق الفكر ويراود الكثير من البؤساء الذين يعانون ما يعانون ، فهذا الشقاء والبؤس وكل جيوش الهم لا أمل له فى الخلاص منها ، ولكن الرجاء دائما يداعب حتى الإنسان الذى يظن أن

الحياة سوف لا تحلو له أيضاً، حتى إذا أدلهم الأمر أدخله ذلك في متاهات
الاستفهام التي لا تفسر إلا عن الحيرة والألم والقلق حتى يصير غنياً في
الشقاء ، ويقول :

وحار فلم يدر أين المصير ولم يدر أين سيذهب السفير
وملاحه عبقري الشقاء نديم الأسمى نابغي السهم
طوته الليالي بأهوالها وأودع في قلبها المكفر

يحيط به العذاب من كل جانب ومن كل لون يقول :

وبين يدي كئوس العذاب وتلهب ظهري سياط القدر
وبعد كل هذا فقد جرح الأسمى قلبه فاستقر الجرح في فؤاده ولم يعد
يسمح لخيالات الأمانى بمزاحمتة ، فحين تراود الأمانى نفسها في الدخول إلى
قلبه لتنسج لها مكاناً يغلي جرحه ويشتد فيجزع الشاعر كئوساً من
العذاب ، يقول :

وجرح بقلبي أليم أليم وإن هدهدته الأمانى نغر
ويضرب الألم قيوده حول الشاعر فلا يستطيع الانفكاك عما يصنع
فيه ، يقول :

وإن أن جسمي من لوعة يبدل سوطاً شنيع الضرر
وإن هبت الروح تشكوا الضنى أعلت بيأس فلم تقدر
وإن رحت للدهر أشكو له يجرعني الدهر كأساً أهر
ويوصد دوني أبوابه ويتركني في مهب الفكر

وعلى الرغم من ذلك كاه يمشي الشاعر حاملاً قيثارته التي بضرب على
أوتارها أنغاماً حزينة يزينها بلحن الشقاء لنقرأ فيها شخصية الشاعر ،
يقول :

و حين أرى اليأس في خاطر وفي ناظري مرتم مستقر
أسير بليلي ليل الحيارى و ليل الحيارى طويل عكر
أغنى ولكن بمغنى حزين فلاحني شقاء وبؤس ومر
و آوى إلى سلاوتي وهي شعري وشعري صديق وفي أبر
وشعري كئيب له لوعة تذيب القلوب إذا ما ذكر
فما هو شعر ولكنه دموع الحيارى تشق الحجر
وفي هذه القصيدة نرى الشاعر

— ينطلق إلى الطبيعة يتجاوب معها ، فهي مسلاقه وفيها ما يزيل قره
و حره ... كما يستعير ما يتصل منها بتجربته ويعكس ذاته ، فهو يأخذ
منها — مثلاً — الدجى ، الزهرة ، النسيم ، القمر ، الرحيق ، النسيدي ،
الغدير ، السنا ، الفجر ، الرياح ، المرج ، الليالى ولا شك أن لنشأة الشاعر
بالريف أثر في ذلك .

يخدم الشاعر الألفاظ والعبارات في رسم الصور التي تعد أساسية في
بيان التجربة النفسية ، استخداماً جيداً ، ومن ذلك على سبيل المثال هذه
الأسطر :

« ليلة حوت البؤس في جعبتيها » .

« يرقص دهر بها ساخراً » .

« ذويت كما ذوت زهرة » .

وتذق لحيف النسيم » .

ومن الكلمات أيضاً ، نجوى القمر ، و « نديم الأمل » ، و « سياط القدر »

وعبارة « وإن هدهدته الأمانى نغر » ،

— استخدام الشاعر في ألفاظه قاموساً من الأحزان جمع فيه هذه

الكلمات والشقاء والخيرة ، والدموع ، والنداب ، والألم ، والسهر ،
والبؤس ، والقدر الجائر ، والدهر واللوعة ، والعاديات ، والليالي ،
والكدر ، والدجى ، والهموم ، والرياح ، والردى ، والحسرة ، والذبول ،
والفناء ،

إنها قصيدة ضاربة بسهم وافر في محيط الأحزان ، ولعل هذا الذى
جعل المرحوم الدكتور أحمد الشرباصى يعلق عليها عندما ألقاها الشاعر
في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٩٦٠م

بقوله « إنها تجمع قاموساً من الأحزان والآلام ، هذا التعليق الذى
أثار كوامن نفس الشاعر وجعله يرد على المرحوم الدكتور أحمد الشرباصى
بقصيدة « فلسفة الحرمان » التى يقرر فيها : أنه لا يعشق الألم لذاته ولا يميل
إلى الحزن لذات الحزن ولكن من أجل معرفة قيمة السعادة ولذة التمتع بها
إذا حصل عليها وتحققت له ، وأن كل ما يقابله المرء في حياته من صعاب
لا تمر دون فائدة ، فالآلام والأحزان والظلمة وغير ذلك من عقبات تجعله
دائماً في لفة عارمة لبسمة ضوء تجدد له آماله وتملأ عليه حياته أحلاماً
وضاءة .

وإن المعاناة في سبيل الوصول إلى القمة ستجعلك تدرك فضل ما صادفت
من صعاب ، ولو كانت الحياة نعيماً متصلاً ما شعر الإنسان بطعم الحياة ، ولتبد
إحساسه عند ذاك النعيم ؛ فلو لا الليل وظلماته وشعورنا بكآبته وبلاذته
وأهواله لما أمتعنا نور القمر الساحر الجميل ، ولو لا الظلمة أيضاً لما كان
للفجر في قفوسنا ذلك الأثر العميق ، ويظل الشاعر موضحاً فلسفة الحرمان
التي يقول فيها (١) :

(١) القصيدة ٤٨ بيتاً من بر المتقارب وهى مخطوطة لدى

أحسن أخى روعة للنعم	إذا ما تدثر ثوب الألم
ويسى فؤادى ترداده	ويسمو بروحى فوق القمم
ولم يسجنى فى ثياب النعم	كأنى لديه بليد أصم
.. فلا تحسبن الحياة جحيماً	إذا خضت أشواكها والسقم
تأمل هناك ... تراك شغوفاً	لدفقة نور خلال الظلم
وأو أن ليلك كان ضياء	لخلت السعادة فى المداهم
... وأدرك فى الليل صر النبع	وصر الطموح إلى القمة
... ولولا الليالى وظلماتها	لما كان يسبك نور القمر

فَنِّ البَارِزِ وَالْبَقْلِيدِ وَالْجَدِيدِ

مقدمة :

ترددت في فواحي مجتمعنا العربي صرخات مغرضة ، وصيحات عاتية تحتضر أدبائنا وتنتقص لغتنا وتغض من شأنها وتزعم أن تراننا من الفن ناقص يعوزه الكمال أو جامد يحتاج إلى بارع الفكر ورائع الخيال . يل لقد رأينا مناظرات تعقد ومناقشات تدور يراد منها أن تلقى في روع الناس أن الأدب العربي لا يكون أدبيا ولا يخلق شاعرا جزل القول رصين البيان فأحببت أن أبته إلى ضلال هؤلاء وإلى خطر ما يندفعون فيه من باطل المزعم فصرت لهم المثل الحي بالبارودي ونبوغه في شعره وزعامته في فنه وتأثيره القوي فيمن جاء بعده ليدرك الذين التبت عليهم الحقائق بالالوهام واشتبهت عليهم الواقع بالاحلام . ليدر كوا أن الادب العربي فياض بأسمى ما نجود به القرائح وأروع ما يطامع إليه الخيال من يديع الصور وجمال التصور .

وإذا كانت قد مرت به فترات ضعف ولحظات جمود وعصفت بجماله فتخلف عن أداء رسالته . فذلك لأن أبناءه قد أزوروا عنه وانصرفوا عن استجلاء محاسنه وتذوق بدائعه .

لقد نهل البارودي من معين الأدب العربي وارتضع من أفاريقه ما وافق ذوقه . فآلت إليه زعامة الشعر العربي في العصر الحديث .

تمهيد

قبل الحديث عن البارودى يحاول أن أنبه الأذهان إلى المرحلة التي تدعى فيها البناء العربى بضعف الأمة العربية وخضوعها للإعاجم الذين لا يقدرّون هذا التراث الجليل ، ولا يعرفون لسان أهله ولا هم لهم إلا ابتزاز الأموال من الشعوب المظلومة دون مقابل من علم أو صحة أو غنى فتفشى الجهل وساد الظلم واستعجم الشعراء وحنوا لحنا فاشيا ، وكانوا أبعد الناس عن الأساليب القوية ، والمعاني الواضحة ، والشعور السليم ، وخاتمتهم الاداء المعبرة ، وأصبح همهم النظم الذى لا روح فيه ولا معنى له ، والذى يساق فى عبارة ركيكة عثة وفى حشد زاخر من المحسنات لستر عواريه (١) .

وقد كان الشعر يلفظ أنفاسه عيا ومرضيا على يد السيد على الدرويش (١٢١١هـ - ١٢٧٠هـ) المولود بالقاهرة وقد نشأ بها وأثرم بالادب ، وحفظ كثيرا من الشعر وأصاب شهرة كبيرة فى زمانه ، وتقطف أبياتا له من قصيدة يمدح بها تقيب الاشراف السيد البكرى :

يا أيها المولى الذى شهد العلاء يرقى بقدرك
والبدر فى أوج السما لا يرتقى أبدا لجذك
دم فى مرور يزدهى وبه تنال شريف قصدك

وأما السيد محمود صفوت الساعاتى فأتى حين أسوق الحديث عنه أجد له قصيدة شئت عن مستوى شعره ، وجاءت عين قصائده ، ومن حر

(١) أفدت من البحث القيم الذى كتبته استاذنا صادق خطاب عن البارودى خط بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة .

كلامه تسمعا فتخال روح البارودي في الفخر ، أو تخال أسلوب
البارودي وهي قصيدة يمدح بها أمير مكة تقطف لك أبياتا منها .

انحط قدر الحادثات وهمتي من دونها المريح والجوزاء
هيات نهضم جانبي وعزائمي مثل البوائر دأبها الامضاء
صيرا على كيد الزمان فانما يبدو الصباح وتنجلي الظلمات
أنا والمعالى عاشقان وطالما وعد الحبيب نخاته الرقباء

وقفه قصيرة بين المرحلتين بين الماضي والمستقبل لنلقى اشراقة مطمئنة
على الاولى وتنهيا لاستقبال الاخرى فقد يعز علينا ألا نجد شيئا فيما مضى
نكون به مصر شاعرة لقد تلمسنا الشعر قبيل العصر ، فلم نجد شيئا فيما
مضى تكون به مصر شاعرة وتلمسناه في صدر العصر فلم نجد إلا صورة
منعكسة لا تحمل شعورا ولا تنطوي على حسن .

لنودع إذن تلك المرحلة إلى حيث لا رجعة لها وإلى حيث لا نأسف
عليها ، ولنودع معها ثلاث ظواهر لازمة لها . التقليد النازل ، والصنعة
الكزة ، والبديع الممول ، ثم لمستقبل معها التقليد الصالح والصنعة العربية
الحررة والإبداع لا البديع .

نتحدث عنها في هبة غالبية مفتحة أمام الشعر الحديث واستعدادها نفوذه
القديم واسترد بها تاجه الذي كان قد نزع عنه في عصور الانحلال .

لم تكن هذه الهبة من يد امساعيل ولكنها جاءت عن عصره ولم تكن
أثر النهضة ولكنها كانت عاملا حيا على رفعتها واحيائها وتدعيم بنائها .
نحدثك عن هذه الهبة في شخص العبقرى الفذ زعيم النهضة الشعرية محمود
سامي البارودي .

سيرته : —

نشأ البارودي في بيت مجد مؤثر ، وهو ابن حسن بك حسني من أمراء المدفعية ودققة في عهد محمد علي ، وجدده لأبيه عبد الله الجر كسي . والبارودي نفسه إلى أيتاي البارود بمديرية البحيرة وكان أحد أجداده ملتزما لها وينتهي نسبه إلى الملك الأشرف سرباي الأتابكي من المماليك الذين حكموا مصر فيما مضى .

ولد البارودي بسرأي باب الخلق لثلاث بقين من رجب سنة ١٢٢٥٥ هـ وفي عام ١٢٦٢ هـ توفي والده بتأحية دققة وكان عمره وقتذاك سبع سنين وهذا الحادث الأليم كان له وقع في نفس الشاعر وظهر أثره في سن العشرين حيث يقول :

لا فارس اليوم يحمي الصرح بالوادي
طاح الردي بشهاب الحرب والنادي
مضى وخلفني في سن سابعه
لا يهرب الخصم إبراقى وارعادي
فان أك عشت فردا بين أحزاني
فها أنا اليوم فرد بين أندادي

وهذا الشعر المحكم النسيج في سن مبكرة يحملنا على التساؤل عن سر هذه القوة العارمة التي تجلت قبل الاوان في عصر مجذب من القرائح الفياضة التي تهدر بالشعر الجيد . أمي في تربيته القومية أم هي في طبيعته واستعداده ؟

التكوين الأدبي :

تلقى البارودي درسه في البيت أولاً والمدرسة الحربية ثانياً وهذا النوع من التعليم ما كان ليهيء هذه الزعامة الشعرية وقلنا في فصله سابقة أن شعر العصر الذي ولد فيه البارودي كان فيه كثير من الاحتفال بالبديع وعجز عن التحليق في سماه الخيال ، فلم يكن العصر مما يساعد على وجود مثل العبقري الفذ وقد ساعد على ذلك .

أولاً : الطبيعة الشعرية التي وهبها من الله سبحانه وتعالى ، فهو لم ينظم الشعر لأفقه تعلم العروض ، كان لازماً عليه كما كان ينظم غيره من الشعراء السابقين ، وإنما تعلق به عن هوى وسيلقة « ولا بد لابن الأيك أن يترنما » ، سألت أوزانته على لسانه فتهدى إلى ما عنده من ملكة شعرية ، وقدره لغوية وهو يقول : « أن خطرات الشعر صحتني في أيامي كلها ولم تفارقني إلا في أقلها » .

ويتحدث عن هذه الخطرات أحمد أمين فيسميها أوقات التجلي .

ثانياً : الدراسة الأدبية التي أمعن فيها وتفرغ لها وعدم سلوك الطريق التي كان يسلكها غيره من الاقتصار على دراسة النحو والصرف كما حدث بذلك المرصفي في الوسيلة الأدبية « محمود سامي البارودي لم يقرأ كتاباً في فن من فنون العربية غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلاً إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع لبعض من له دراية وهو يقرأ دواوين الشعراء ، أو يقرأ وهو يحضرته حتى تصوره في برهة يسيرة هيأت القرايب العربية فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ثم استقل بفراءه دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة ، واستثبت جميع معانيها ناقدًا شريفها من خسيسها » .

وقد نعد في حديث المرصفي عن تلميذه شيئاً من المبالغة ، ولسكننا
لا نتسكّر أن تلميذه عصامي ، وهبه قرأ النحو والعروض والبيان فماذا
يفيده ؟ أن شعراء عصره يعرفون ذلك فماذا أفادوه ؟ ليست الشاعرية
وقفاً على قواعد النحو والصرف ومعرفة العروض والقافية واصطلاحات
البلاغيين وإنما هي وقف على طبع موهوب يستمد من بيمته عوامل
شاعريته فإذا لم يجد فيها الغذاء الكافي تجاوزها إلى غيرها وكذلك فعل
البارودي فلما لم يجد مدداً من حياته ولا مسعداً من عصره أبى طبعه
الملح وقريحته إلا أن ينزع إلى حياة أخرى يتسلقها الخيال ويتقاضاها
الإمداد أخيراً بذلك المرصفي حين حدثنا عن دواوين الشعراء التي تعشقها
وكلف بحفظها ثم باستثبات معانيها وفقد شريفها من سفافها .

كانت إذا قرأه كتب الأدب والتاريخ وحفظ الشعر الجيد الممتقي هي
عماد ثقافته الأدبية على أن البارودي قد أطلع على آداب أخرى غير الآداب
الغربية فقد تعلم الفارسية والتركية في أثناء توظيفه بوزارة الخارجية
في الإستانة يضاف إلى هذا ما روى من أنه تعلم الإنجليزية وهو في منفاه ،
وترجم بعض آثارها ، وهذه اللغات المتعددة لها أثر ولا ريب في معانيه
وأخيلته وتصويره للحوادث .

هذا وقد حفل عصر البارودي بأحداث عظام فمن نهضة شاملة وخلق
لأمة من مدينة إلى ثورات وقتن وحروب ومعارك ، ونفي وتشريد ، وقد
سافر البارودي إلى الإستانة مراراً وشهد حرب - كريت - بروسيا
- ورأى علماً لم يعرفه من قبل ومناظر جديدة فتأثر بكل هذا وأنفعلت
نفسه له وصاحب هذه الأحداث بشاعريته فانطلق يردد خواطره وأحاسيسه
فيكون هذا الشعر الخالد .

ثالثاً : الوراثة الشعرية قريبة كانت أم بعيدة وقد سجلها الشاعر
في شعره :

أنا في الشعر عريق
لم أرثه عن كلاله
كان إبراهيم خالي
فيه مشهور المقالة
ومما جدى على
يطلب النجم فقاله

لأنظن أن خال البارودي كان شاعراً ممتازاً عن أهل عصره ، ولكن
لعل البارودي وجد فيه مشجعاً على قول الشعر كما وجد في جده المعالي التي
يفخر بها .

وقد يكون الباعث له كلفة من أسستاذ أو قصيدة حفظها واستطاب
توقيعها وأنشادها أو مناسبة سمع فيها ما أذكى طبعه .

ولكننا على ما نجهل من حقيقة هذا الباعث نستطيع أن نعلم أن الدافع
بالشعر لم يكن غريباً عن طالب المدرسة الحربية في ذلك الزمن كما يبدو
عليه الغرابة في الأمم الأوروبية إذ كانت الفروسية قرينة للشعراء في غرف
الخاصة والعامة .

وما أصدق المتنبي إذ يقول :

فإذا هما أجتَمعا لنفـس حرة
بلغت من العلياء كل مكان

فأراد البارودي أن يجمع بين الفضيلتين أو ليس الشعر قد خلد قبله
أسم عنقزة، وأبي فراس من أشهر الأسماء بين الفرسان الشعراء .

أجل غنى البارودي بالشعر كما يغنى الطائر من غير صنعة ولا تسكف
وحركت الأغراض فؤاده في فجر حياته فأطربنا بنغماته الحلوة حتى جاء
آخر العمر وقد أظلمت الدنيا في عينيه بعد فقد الشباب وفقد الأهل والديار
وضرب الأمل على جميع أوتار حياته .

شعر البارودي

أننى حين أعرض شعر البارودي لاستبين مزاياه لا أتناوله من قاحية أغراضه من نخر ومدح ورثاء ووصف لأن تلك الدراسة لا تظهر فيها شخصية البارودي ومزاجه بل مظاهر التفوق في كل شاعر عظيم هو أن تستطيع التعرف عليه من خلال شعره .

وعلى هذا النحو أخذ البارودي يرسل أنغامه النارية المتهبة يعبر بها في صدق عن مكنونه نفسه تارة بفخر وتارة يشكو الهوى وتباريح الغرام وعينه على الطبيعة من حوله وقلبه معلق بمجالس الإنس واللمو ، وفي ثنايا ذلك ينشر من حين إلى حين بعض الحكم (١) .

ومرغان ما أخذ في وصف الحروب ونراه يقتحم بشعره معركة أمته السياسية ، شاعراً بأبجاده التاريخية .

وكان ذلك تحولا بعيد المدى في أشعاره إذ أخذ يث فيها شكوى مريرة من بعض معاصريه الذين اختلط بهم ، بمن كانوا يعيشون على مداينة الحاكم وعلى الوقعة الخسيسة وأبت الحوادث إلا أن تزيد هذه الشكوى مرارة على مرارة ثم كانت كارثة المنفى وانتزاعه من أحضان وطنه وأحضان زوجته الشابة وبناته الصغيرات ، فأعول بالحنين الذي قتحرق به أحشائه .

ومن ثم وجدنا البارودي يقول :

أنا ابن قولى وحسبى فى الفخار به

وإن غدوت كريم العم والخال

(١) البارودي — رائد الشعر الحديث — د . شوقي ضيف ص ١٠٢

ولى من الشعر آيات مفصلة
تلوح فى وجنة الأيام كالخال
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته
ويبتلى بسناها كل قوال
فانظر لقولى تجد نفسى مصورة
فى صفحتيه فقولى خط تمثالى
أن ابن آدم لولا عقله شبح
مركب من عظام ذات أوصال

ولما كان شعر البارودى مرتبطاً أشد الارتباط بحياته وأحداث
عصره ، تلك الحياة التى كانت مليئة بالأحداث الجسام فإنى أسوق الكلام
عن شعره لا بحسب أغراضه بل وفق صدور ذلك الشعر عنه خلال
حياته .

وبوسعنا أن نميز أربع فترات فى حياة البارودى .

الأولى : البارودى من مولده حتى الثورة العراقية .

الثانية : البارودى فى أثناء الثورة العراقية .

الثالثة : البارودى فى منفاه .

الرابعة : البارودى بعد عودة من المنفى .

فى الفترة الأولى يطالعنا أول نص أدبى متميز لذلك الشاعر فى فجر
شبابه ذلك النص هو رثاؤه لوالده وسبق لثا حديث عنه ، وفى سنة ١٨٦٥م
كانت جزيرة كريت قد شقت عصا الطاعة على الدولة العثمانية فأسهمت
مصر إذ ذاك فى إخضاع تلك الثورة بقرقة من الجيش كان من أفرادها
البارودى وهذا أول شعر له خارج مصر وقد قال فى ذلك قصيدة رائعة
وصف فيها الحرب جاء فيها :

أخذ الكرى بمعاقد الإجفان
وهنا السرى بأعنة الفرسان
والليل منشور الذوائب ضارب
فوق المتالع والربى بجران

وهنا تصادف خاصية من أبرز خصائص شعر البارودى ألا وهى التغنى
بحب مصر والفخر بها فيمضى البارودى واصفاً ما تعافيه نفسه من حنين
إلى مسقط رأسه فيقول :

والنفس لاهية وأن هى صادفت
خلفاً بأول صاحب ومكان

فى هذه القصيدة نجد البارودى فى وصف الحرب وحنينه إلى الوطن
فأبدع فى الوصف ، وعبر فأجاد فى التعبير كأنه لم يكن ابن عصره وفى سنة
١٨٧٧ ذهب مع الجيش الذى أرسله إلى مصر لمساعدة الدولة العثمانية حينما
أعلنت روسيا عليها الحرب ومما قاله البارودى فى تلك الحروب :

إذا نحن سرنا صرح الشر باسمه
وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

وهكذا يخلق البارودى فى سماء الوصف حتى لتحس بالمعركة الحربية
الإحساس المشترك الفعلى فيها ، ولا تعجب إذا عُدنا جديداً عند البارودى
وأن كان قديماً منذ أن كان الشعر العربى وما من شاعر إلا وله فى الوصف
أبيات ولكن الجديد فى وصف البارودى أنه أفرد له قصائد بعينها ولم يأت
به عرضاً فى ثنايا القصائد كان يصف لجرد الوصف ولأن شاعريته وحواسه
المرهقة وتفوقه للجمال كانت تدفعه إلى قول الشعر وإلى وصف مشاهداته
لا كما هى فى الطبيعة ولكن يخرجها ملونة بشخصيته وشعوره
وأفكاره .

وإذا أردت أن تعرف متى يخلق البارودي في الوصف فأقرأ أوصافه في الأشخاص إنه لا يقل عن أمهر مصور بل أين منه المصور ؟ وهو لا يستطيع أن يبرز على لوحته دخائل النفوس وأسرار القلوب والحركات والإشارات .

وفي هذه الفترة تأثر البارودي بشعر الفحول في عصور ازدهار اللغة والأدب وعارضهم فما قصر عنهم وأثبت أنه كان رائداً لعصر أدبي جديد لقد جارى البارودي من سبقه من فحول الشعراء ، عارض الغابرة الذبياني من أصحاب المعلقات في العصر الجاهلي في قصيدته التي يصف فيها زوجة النعمان والتي مطلعها :

أمن آل مية راح أو معتد
عجلائن ذا زاد وغير مزود

فأنشد البارودي على نفس الوزن والروي قصيدة سلك فيها مسالك الشعراء الجاهليين في مباشرة الحروب وركوب الخيل وشرب الخمر ومغازلة النساء جاء فيها :

ظن الظنون فبات غير موصد
حيران يكلاً مستنير الفرق

وجارى أبا فراس الحمداني في قصيدته التي مطلعها :
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهي عليك ولا أمر

فقال البارودي في نفس الوزن والروي :
طربت وعاودتني المخيلة والسكر
وأصبحت لا يلوى بشيئتي الزجر

في هذه القصيدة أفصح البارودي عن حبه المكثون وشوقه الدفين
ثم كأن به يود أن يطنب فيما يتعلق بما فعله الحب به وفيما خلفه هجر الحبيب
ولكن طبعه العسكري غلب عليه حتى لا يضعف نفسه في سبيل حبه فانتقل
من الحديث عنه إلى الفخر بنفسه وقومه فقال في نفس القصيدة :

وإني امرؤ لولا العوائق أذعنت
أسلطانة البدو المغيرة والحضر

من الفخر الغر الذين سيوفهم
لها في حواشي كل داجية فجر
إذا استل منهم سيد غرب سيفه
تفرعت الأفلاك والتفت الدهر

ومهما كان من الأمر فأتى أعتقد أن البارودي كانت في نفسه مغالبة
بين عاطفتي الحب والإباء فتغلب الإباء وجمع به ولقد كان الإباء عاملا كبيرا
في حياته وفي شعره دفعه في الحياة إلى سلوك الطريق الوعر المملوء شوكا
ليقطع العز من خلاله ويبلغ به أبعد غاية ثم إلى التجلد والصبر عند الشدائد
ودفعه في شعره إلى الفخر وترك المديح لأنه رجل ذو مطامح طموح إلى
العلياء وكأنما نطق السكاظمي بلسانه حين يقول :

ماسلونا آرام نجد ولكن شغلنا العلا عن الآرام

وإذا أمعنا النظر في مصادر هذا الإباء وجدناها ممثلة أولا في أصل
البارودي وحسبه ، ثانيا الفكرة العربية التي ورثها الشاعر عن العرب الذين
درس شعرهم وأصبح يحارهم .

ثالثا كبرياء حامل السيف . سيما أن البارودي كان جنديا كبيرا .

والقد جرى أيضا الشريف الرضي في قصيدته التي مطلعها :

لغير العلا منى القلا والتجنب
ولولا العلا ما كنت فى الحرب أرغب

فقال البارودى قصيدته التى مطلعها :

سوائى بتحنان الأغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهو ويلهب

والتى جاء فيها تلك الحكمة الغالية :

ومن فكن العلياء همة نفسه فكل الذين يلقاه فيها محبب
إذ أنا لم أعط المحارم حقها فلا عزى خال ولا ضنى أب

ومن خير معارضاته قصيدته الطويلة بل ملحته التى سماها : (كشف
الغمة فى مدح الأمة ومطلعها :

يارائد البرق يمم دارة العلم واحد الغمام إلى حى بذى سلم

فقد عارض بها البوصير فى مديح الرسول ﷺ .

هذه صورة من معارضة البارودى للقدامى بيد أن المعارضة على هذا
هى أعمق من البداوة أو هى محاكاة مطبوعة ليس فيها من التقليد إلا الرغبة
فيه وكأنما البارودى هنا مثل قدير لبس دور الشاعر البدوى فوفاه لغة
وشعورا وزيا وحركة تخلقه خلقا جديداً وجعل له تمثالا من نفسه وحياته
وأصبح مبتكرا فى الدور الذى أخذه كما يتسكر الممثل فى انتقال أدواره
وابطاله فهو فنان خالق فى أتباعه كما يكون الفنان خالقا فى ابتداعه .

ترنم البارودى فى ربيع حياته بهاته الممارضة أيام أن كانت الدنيا
مقبلة عليه وكان هو متمتعا برغبتين العيس ولكن سرعان ما تغير الأحوال
ذلك لأنه فى آخر حكم اسماعيل باشا هبت على مصر بعض الأنواء ترنحت
لها سفينة الحياة فيها ثم كانت عاصفة هو جاء أيام توفيق بسبب فساد الحكم

فضلت السفينة الطريق وقد أنشد البارودي قصيدة رائعة يصور فيها فساد الحكم في عهد اسماعيل ويحرض الناس على طلب العدل جاء فيها :

قامت به من رجال سوء طائفة

أو هي على النفس من بؤس على شكل

وتعد هذه أول قصيدة قيلت في السياسة في العصر الحديث وعلى منوالها نسج من جاء بعد البارودي وهي صرخة عاتية في وجه الظلم وحث على العمل من أجل انقاذ الوطن .

وليدان بترك صفاء العيش والاقبال على حياة قلق ونضال وبذلك تبدأ الفترة الثانية من حياة البارودي .

ثانياً : البارودي في الثورة العراقية :

وقف البارودي على أطلال الشباب يودع الطور الأول من حياته ليبدأ عصرًا في الأفكار والقصيد . سنجد حديث السياسة في غير خدع ولا مواربة بل سنجد روحاً شفاقة مليئة بالحزم واسعمه يهنيء الخديوي توفيق :

أمران ما اجتماعاً لقائد أمة إلا جنى بهما ثمار السؤدد
جمع يكون الأمر فيما بينهم شوري وجند للعدو بمرصـد

وقد جمع البارودي في بيته الثائر روح الثورة العراقية والكرهل كان البارودي في بيته ثائراً بالمعنى الذي يفهمه الناس للعصيان والتمرد ؟ وهل ساهم البارودي في ثورة العراقيين رغبة منه في أعمال العنف ؟

لا بل كان البارودي زعيم المعتدلين يعمل في جو هادئ فلما حدثت

الثورة ذهب الى مزارعه يملأ قلبه الامل كان يريد انقلابا يستريح به لاثورة
تضطرب لها البلاد من أقصاها إلى أدناها وفي هذا يقول :

كنا نرد انقلابا نستريح له حتى إذا تم سادتنا مصائره

هذه القصيدة تصور لنا حالة مصر في تلك الفترة أتم تصوير وفيها
ينصح البارودي بتجنب ويلات الحرب وإن كان يعلم أنه لا أمل في ذلك لأن
انجلترا وفرنسا عدونا الإنسانية تريدان ذلك وهما اللتان دفعتا مصر دفعا
إلى تلك الحرب دفاعا عن النفس . صدقت نبوءة البارودي ووصل أسطول
البحري إلى شواطئ الاسكندرية ولما جدد الجند انسحبت فرنسا وانفردت
انجلترا في عدوانها على مصر في ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وانتهى ذلك العدوان
باحتمال مصر بعد أن دافع عنها أبناؤها دفاع الأبطال .

كان الشهر السيامي من الأغراض القديمة التي خلع عليها البارودي لباس
الجدة وظهرت فيها شخصيته واضحة تفصح عن النفس الأبية المتمردة على
الظلم والطغيان المحبة للعدالة والشورى والمساواة بين الناس .

ذلك الشعر الذي دفعه إلى مركز الصدارة بين أبناء شعبه وجعل منه
زعيمًا محبوبا الذي ألقى به في غياهب السجن ورمى به بعيدا عن وطنه
وياليت كف عن مثل هذا الشعر وهو يتجرع غصص الحزن والتشريد
والمرض بل زفر زفرات حارة كادت تحرق المعتدين بشواظها الملتهبه
ولذلك طالت غيبته عن دياره وخاف أول الأمر من عودته حتى لا يعيدها
مشيوبة الضرام .

ثالثا : البارودى فى المتن :

فى الثامن والعشرين من ديسمبر أقلت سفن المحتلين من شواطئ مصر
تحمّل البارودى وزملاءه إلى منفاهم فى سيلان فوصلت ميناءها كولومبو
فى ١٠ يناير سنة ١٨٨٣ وقد وصف البارودى رحيله عن وطنه بقصيدة
تفيض لوعة وأسى جاء منها :

محالين ما أبقت عيون المهامنى
فشبت ولم أقض اللبانه من سنى
عناء وبأس واشتياق وغربة
ألا شد ما ألقاه فى الدهر من غن
فإن آك فارقت الديار فلى بها
فؤاد أضلته عيون المهامنى

وفى المتن أخذ شاعرا يرسل القصائد الحسان التى أحييت عصور الأدب
المشرقة وبما قاله فى منفاه عندما بلغه نبأ موت زوجته سنة ١٨٨٥م :

لا لوعتى تدع الفؤاد ولا يدي تقوى على رد الحبيب الغادى
يادهر فـمى فجعتنى بحليلة كانت خلاصة عدتى وعتادى

ولما بلغه أن بعض ذوى المطامع الدنيئة يتعاونون مع الغاصب ندد بهم
فى قصيده جاء فيها :

وما أنا بالمغلوب دون مرامه واسكنه قد يخذل المرء جهده
أبى الدهر إلا أن يسود وضيعه
ويملك أعناق المطالب وغده

وفى عام ١٨٩٠ غادر زملاءه ورحل إلى مدينة كندى بنفس الجزيرة

ميلان : وكانت المدينة على جانب كبير من الجمال الطبيعي فأثر جمالها في
نفس البارودي وهيج في قلبه حنينه إلى أحبائه من أبناء وطنه فأشد قصائده
الخالدة منها :

ردوا على الصيا من عصرى الخالى

وهل يعود سواد اللمة البالى

لم يدر من بات مسرورا بلذته أنى بنار الأسمى من هجره صالى

يا غاضبين علينا هل إلى عدة بالوصل يوما أناغى فيه اقبالى

غبتم فأظلم يومى بعد فرقتكم وساء صنيع الالبالى بعد إجمالى

الواقع أنه برغم ما سقت لك من نماذج سماها صاحبنا إلى ذروة المجدين
من الشعراء المتقدمين فإن شعر الشكوى والحزن هو أقرب قصيد شاعرنا
إلى القلب وأحبه إلى النفس وقد نظم البارودي كله وهو بعيد عن مصر
وأكثر فيه من ذكرها والحنين إليها والاشادة بذكرها وأى ألم أشد من
ألم صاحبنا في بيت نأخذه من القصيدة التى ودع بها مصر :

أهيت بصبرى أن يعود فعزنى

وناديت حلمى أن يشوب فلم يغن

والواقع أن التبرم والتوجع هو الشعور الذى كان يسود روح صاحبنا
في منفاه وفي هذه الفترة أكثر الشاعر من ذكر أيام الشباب وأيام النضرة
وتحدث عن ذكريات هامة وكانت هذه الذكريات تملأ عضل الرجل وقلبه
حتى أنه كان يصيح :

أعد يا دهر أيام الشباب وأين من الصبي درك الطلاب

على أن صاحبنا لم يتبرم بالحياة ، ولم ينقم على الاحياء وقبرمه شيء
آخر غير تبرم شاعر كآبى العلاء . وإن كان البارودي أيضا قد عاش أياما

طويلة رهن المحبسين محبس المنفى ومحبس العمى بعد أن كف بصره إلا أنه
كان مؤمنا فيعود به إيمانه إلى الصبر وتقبل الواقع وحكمه والأمل يملأ
قلبه في تبدل الأحوال .

ولن نجد في حزن البارودي عنفا فقد يتحدث عن الدمع الذي سيلازمه
بينما سواه يدك الجبال ويكشف ويخسف القمر وكأنها قد شاركت حزنه .
وأغلب شعر المنفى في الشكوى والحزن إلى الوطن .

البارودي بعد المنفى :

قصي البارودي في منفاه سبعة عشر عاما ساءت فيها صحته ووهنت
قواه ثم سمح له بالعودة إلى وطنه سنة ١٩٠٠ فلما أطل عليه بعد الغياب
الطويل قال :

أبا بل رأى العين أم هذه مصر
فإني أرى فيها عيوننا هي السمر

نواعس أيقظن الهوى بواحظ
تدين لها بالفتكة البيض والسمر

وعندما مر بقصر الجزيرة تذكر أيام إسماعيل فأنشد :

هل بالحمى عن مرور الملك من يزغ
هيات قد ذهب المتبوع والتبع

وبعد فقد أذنت شمس حياة الشاعر بالمغيب ، فانتقل إلى جوار ربه
في ديسمبر سنة ١٩٠١ فيسكنه مصر عن بكرة أبيها ولئن كان البارودي

قد مات فإن ذكره ستظل حبة عطرة على مدى الأيام وبذلك ختمت
صحيفة زعيم النهضة الشعرية في العصر الحديث وهو الذي أنار الطريق لمن
أتى بعده من الشعراء كأحمد شوقي وحافظ ومطران وغيرهم يشعرون :

رقيق كما غنت حمامة أيبك وجزل كما شق الهواء عقاب

د / عبد المنعم محمد يوسف

* * *

مقياس ابن طباطبا في الحكم على التشبيه وأثره في الدراسات البلاغية

للدكتور الشحات محمد عبد الرحمن أبوسنيت

تقديم :

تعتبر دراسة « ابن طباطبا » للتشبيه أهم الموضوعات البلاغية التي تفاولها بالبحث والتحليل في كتابه « عيار الشعر » ، بل تعد أهم دراسة وصلتنا في هذا الموضوع ، منذ أن بدأ العلماء الحديث عنه حتى ابن طباطبا .

و دراسة « ابن طباطبا » للتشبيه تشمل جانبين :

جانب نظري : تناول فيه طريقة العرب في للتشبيه ، والمادة التي يستخدمونها في تشبيهاتهم .

وجانب فني : تناول فيه ضروب التشبيه ، وأدوات التشبيه ، ومقياس الحكم عليه وخصائص التشبيه عند العرب .

وغرضنا في هذا البحث ينصب على دراسة مقياس ابن طباطبا في الحكم على التشبيه ، من حيث الحسن والقبح ، باعتباره من اللمحات الجديدة في دراسته للتشبيه .

(*) أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، العلوي
الأصفهاني المتوفى سنة ٥٣٢٢ هـ .

مقياس الحسن :

يمكننا أن نقول : إن حسن التشبيه في نظر ابن طباطبا يرجع إلى توفر عنصر الصدق فيه ، ويتأتى صدق التشبيه بوجود معان مشتركة ، وصفات متماثلة بين طرفي التشبيه .

فللتشابه جهات كثيرة ، منها : الصورة والهيئة ، والمعنى ، والحركة ، واللون ، وغيرها ، وكلها زاد عدد الصفات المشتركة بين المشبه والمشبّه به قويت المشابهة بينهما وتأكد صدق التشبيه فكان تشبيها حسنا ، وكلما قل عدد الصفات المشتركة بين المشبه والمشبّه به ضعف التشبيه ونقصت درجة حسنه .

وفي هذا يقول ابن طباطبا : « والتشبيهات على ضروب مختلفة ، فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة وبطء وسرعة ، ومنها تشبيهه به لونا ، ومنها تشبيهه به صوتا ، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوى التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وحسن الشعر به ، للشواهد الكثيرة المؤيدة له .

فإن طباطبا في هذا النص يرجع حسن التشبيه إلى قوته وصدقه بكثرة المعاني المشتركة بين طرفيه ، لأنها شواهد تؤيد دعوى المشابهة .

ولذا نراه يؤكّد على التزام الصدق في التشبيه في مواضع متعددة من كتابه ، فيقول : « فعلى الشاعر اجتناب ما يشينه من سفاسف الكلام ، وسخيف اللفظ ، والمعاني المستبردة ، والتشبيهات الكاذبة ، والإشارات المجهولة . . . ويتعمد الصدق والوفق في تشبيهاته وحكاياته . . . » ومتى

تضمن الشعر صفات صادقة ، وتشبيهات موافقة ، وأمثالا مطابقة ، تصاب
حقائقها ، ارتاحت إليه النفس ، وقبله الفهم (٤) .

وتأكيد ابن طباطبا في هذه النصوص على التزام الصدق في التشبيه ،
يؤيد ما قلناه من أن حسن التشبيه عنده يعود إلى صدقه .

مثال للتشبيه الصادق :

ويوضع ابن طباطبا نظريته بمثال للتشبيه الصادق ، فيقول :

فن التشبيه الصادق قول امرئ القيس .

نظرت إليها والنجوم كأنها

مصاييح رهبان تشب لقفال

فشبه النجوم بمصاييح رهبان ، لفرط ضيائها ، وتعهد الرهبان لمصاييحهم ،
وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح ، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل ، وتتضاءل
للصبح ، كتضاؤل المصاييح له ، وقال تشب لقفال لأن أحياء العرب كالبادية
إذا قفلت إلى مواضعها التي تأوى إليها ، من مصيف إلى مشق ، ومن مشق
إلى مربع ، أو قدت نيرانا على قدر كثرة منازلها وقلمتها ، ليهتدوا بها ،
فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها في مكان بعد
مكان على حسب منازل القفال بالنيران الموقدة لهم (٥) .

فهذا المثال الذي حملته تحليلا دقيقا تشبيه صادق ، لوجود عدد من
المعاني المشتركة بين طرفيه ، حيث تشابهها في الهيئة والصورة والضوء والهداية ،
وهذا مما قوى التشبيه ، وضاعف من حسنه .

أحسن التشبيهات :

وإذا كثرت الفصات المشتركة بين طرفي التشبيه وقوى الشبه بينهما ،
صح العكس بين المشبه والمشبه به ، بوضع كل منهما مكان الآخر ، فيجعل
تارة مشبهها ، وأخرى مشبهها به من غير أن يؤثر ذلك في صحة التشبيه ،
ونكون بهذا قد وقفنا على أحسن التشبيهات في رأى ابن طباطبا .

ففي هذا يقول : « فإذا تأملت أشعار العرب ، وفقشت جميع تشبيهاتها ،
وجدتها على ضروب مختلفة ، تتدرج أنواعها ، فبعضها أحسن من بعض ،
وبعضها ألطف من بعض ، فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض ، بل
يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبه مثله مشبهها به صورة
ومعنى (٦) .

فأحسن التشبيهات عند « ابن طباطبا » ما صح عكس طرفيه لقوة الشبه
بينهما ، فيقال : نجوم كالمصابيح ، ومصابيح كالنجوم ، ووجه كالبدن ، وبدن
كأوجه ... وهكذا .

وصحة العكس بين طرفي التشبيه نتيجة مترتبة على صدق التشبيه ، حيث
لا يصح العكس بين الطرفين إلا إذا كان كل منهما شديد الشبه بالآخر ،
لتعدد الصفات المشتركة بينهما .

اختلاف الجنس لا يتعارض مع صدق التشبيه :

وإذا كان ابن طباطبا قد أكد على صدق التشبيه ، وجعل أحسن
التشبيهات ما صح عكس طرفيه لقوة الشبه بينهما ، فإنه لا يريد بذلك اتحاد
الجنس ، وتماثل الحقائق ، فإن ذلك يؤدي إلى تشبيه الشيء بنفسه ، وإنما
يقصد إلى أن يتشابه الطرفان تشابها قويا في المعنى الذي يقع فيه التشبيه من
غير نظر إلى الحقائق والأجناس .

والأمثلة التي ضربها للتشبيهات الحسنة تؤيد ما قلناه .

فتشبيه القلوب الرطبة واليابسة بالعناب والحشف البالى فى قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى - وكرها العناب والحشف البالى

تشبيه صادق مع البعد الشاسع بين حقيقة طرفيه .
وتشبيه طرف قرن الظبي بالقلم الذى أصابه المداد فى قول عدى بن الرقاع :

تزجى أغن كأن إبره روقه
قلم أصاب من الدواة مدادها

من أجود التشبيهات ، وشتان بين حقيقة كل من طرفيه .
وتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل فى قول جنادة بن جزى :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل

تشبيه حسن ، جمع الصورة واللون والحركة والهيئة ، وحقيقة كل من طرفيه مختلفة . وهكذا كافة ما استشهد به من تشبيهات (٧) .

وإذا كان البعد بين حقيقة الطرفين لا يتنافى مع صدق التشبيه ، فإنه أيضا لا يؤثر فى صحة العكس بينهما ، لأن صحة العكس مترتبة على صدق التشبيه كما بينا .

وعلى هذا فتأكد ابن طباطبا ، على صدق التشبيه لا يعنى اتحاد الحقائق ، كما أن اختلاف الحقائق لا يتعارض مع صدق التشبيه ، ولا يؤثر فى صحة العكس بين طرفيه ، فالعبرة فى صحة التشبيه بوجود المعنى المشترك الذى يجمع بين طرفيه .

سبب قببح التشبيه :

كما سبق رأينا أن ابن طباطبا يعتبر التشبيه الصادق هو التشبيه الحسن ، وبناء عليه يكون التشبيه الذى فقد عنصر الصدق تشبيها معيبا .

ولم يصرح ابن طباطبا بذلك ، ولكن التشبيهات التى حكم بقبحها تنطق بما قلنا . فهى إما فيها غلو أخرجها عن حد المبالغة المقبولة ، كما فى قول خفاف بن نديبة :

أبقى لها التعداء من عتداها ومتونها كخيوط الكستان
قال ابن طباطبا : العتدات : القوائم ، أراد أن قوائمها دقت حتى عادت كأنها الخيوط ، وأراد ضلوعها ، فقال : متونها (٨) .

فهذا التشبيه معيب لخروجه عن الحد المعتاد فى الوصف ، فكان تشبيها غير صادق ، ولذلك قال أبو هلال بعد بيانه : وهذا بعيد جدا (٩) .

وهى إما خارجة عن الصدق لعدم وجود مشابهة بين الطرفين ، كما فى قوله النابغة الجعدي :

كأن حجاج مقلتها قلب من السمقين أخلق مستقاها
قال ابن طباطبا : والحجاج لا يغور ، لأنه العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب (١٠) .

فالتشبيه معيب لأن الشاعر شبه الحجاج بالقلب ، وهذا خطأ ، لأن الحجاج لا يغور ، وإنما تغور العين (١١) .

وكما فى قول ساعده بن جؤية :

كساها رطيب العيش فاعتدلت لها
قداح كأعناق الأطباء الفوارق

قال ابن طباطبا : شبه السهام بأعناق الظباء ، ولو وصفها بالدقة كان أولى . (١٢) .

فالتشبيه معيب لخروجه عن الصدق ، إذ ليس بين طرفيه شبه . (١٣) .
فمن النظر في التشبيهات السابقة ، والتأمل في حكم ابن طباطبا عليها ،
يثبت ما قلناه من أنه يحكم على التشبيه بأنه معيب إذا فقد عنصر الصدق .

أثر نظرة ابن طباطبا في الدراسات البلاغية :

كان لنظرة ابن طباطبا في الحكم على التشبيه بالحسن إذا كان صادقا
وصح العكس بين طرفيه أثر كبير في دراسات البلاغيين من بعده ، إذ أخذ
كثير منهم هذه الفكرة كما سنرى فيما يلي :

قدامة ابن جعفر :

يرى قدامة أن حسن التشبيه يرجع إلى كثرة المعاني المشتركة بين
طرفيه ، فيقول : « أحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في
الصفات أكثر من انفرادهما فيها ، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد » ، (١٤) .
وبهذا يلتقي مع ابن طباطبا في نظراته :

الإمام عبد القاهر :

تأثر بفكرة العكس التي أثارها ابن طباطبا ، ودرس على أساسها نوعا
من التشبيه سماه جعل الفرع أصلا والأصل فرعاً ، وفي هذا يقول : إذا
استقرت التشبيهات الصريحة وجدت — هذا النوع — بكثرة فيها ، وذلك
أنهم يشبهون الشيء فيها بالشيء في حال ثم يعطفون على الثاني فيشبهونه
بالأول فترى الشيء مشبهاً مرة ومشبهاً به أخرى ، فمن أظهر ذلك أنك
تقول في النجوم كأنها مصابيح ثم تقول في حالة أخرى في المصابيح كأنها
نجوم ، ومثله في الظهور والكثرة تشبيه الخلد بالورد والورد بالخلد ، وتشبيه

الروض المنور بالوشى المنعم، ونحو ذلك ثم تشبيه النقش والوشى في الحلل
بأنوار الرياض، وتشبيه العيون بالزجس ثم تشبيه الزجس بالعيون ...
(١٥).

ويرى الإمام أن هذا الضرب يحىء في التشبيه مجيئاً حسناً وينقاد
القياس فيه اتقياداً لا تعسف فيه، وتصادفه لا يطاوعك في التمثيل تلك
المطاوعة، ولا يحجرى في عنان مرادك ذلك الجرى.

ومن ثم يجعل الإمام صحة عكس التشبيه من العلامات التي تميز التشبيه
الصريح عن تشبيه التمثيل، إذ لا تجيء طريقة العكس في التمثيل على حدها
في التشبيه الصريح، وأنها إذا ساءكت فيه كان مبيغاً على ضرب من التأويل
والتخيل يخرج عن الظاهر خروجاً ويبعد عنه بعداً شديداً (١٦).

رشيد الدين العمري :

ردد فكرة العكس التي بدأها ابن طباطبا، فقال : أجمل التشبيهات
وأكثرها قبولا لدى الطباع هي تلك التي إذا انعكست وشبه فيها المشبه
به بالمشبه فإن الكلام يستقيم مع صحة المعنى وسلامته، وصواب التشبيه
وصحته، مثل تشبيه الطرة بالليل البهيم، فإنهم إذا شهورا الليل البهيم بالطرة
كان التشبيه جميلاً مقبولاً. (١٧)

ابن الأثير :

قأثر بفكرة العكس، وذكر أن من التشبيه ضرباً يسمى الطرد والعكس،
فقال : اعلم أن من التشبيه ضرباً يسمى الطرد والعكس، وهو أن يجعل
المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به، ويسميه بعضهم غلبة الفروع على الأصول،
ولا تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض به المبالغة، ومما جاء من ذلك قول
ذى الرمة :

ورعل كأرادف العذارى قلعته إذا ألبسته المظالمات الحنادس

ألا ترى إلى ذي الرمة كيف جعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً،
وذاك أن العادة والعرف في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكشبان الأنقاء
وهو مطرد في بابيه فعكس ذو الرمة القصة في ذلك فشبه كشبان الأنقاء
بأعجاز النساء، وإنما فعل ذلك مبالغة... (١٨).

ثم امتدح ابن الأثير هذا الضرب من التشبيه فقال: وهو موضع من
علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ (١٩)

العلوى:

وتناول يحيى بن حمزة العلوى التشبيه المنعكس بالشرح، وبين موقعه
في الكلام فقال: «وله موقع عظيم في إفادة البلاغة...» (٢٠)
كما بن أنه لا يستعمل في كل التشبيهات وإنما الشرط في استعماله
ألا يرد إلا فيما كان متعارفاً حتى تظهر فيه صورة الانعكاس (٢١)

السكاكى ومدرسته:

وأشار السكاكى إلى هذا التشبيه مبيناً أن الغرض منه يعود إلى المشبه به،
وهو إيهام كونه أتم من المشبه في وجدة الشبه، ومثل له بأمثلة
كثيرة. (٢٢).

وسار الخطيب القزوينى على هذا المنوال، وسماه التشبيه المقلوب
(٢٣). وظل العلماء يدرسون هذا اللون من التشبيه إلى يومنا هذا.

ومن هذا العرض الذى قدمناه يتبين لنا الأثر الكبير لفكرة ابن
طباطبا في عكس التشبيه، ومدى اهتمام العلماء بها.

وإلى اللقاء مع فكرة أخرى من أفكاره البلاغية في العدد القادم
بإذن الله.

المراجع

- ١ — ينظر ابن طباطبا ومباحثه البلاغية والنقدية : ٩٢—٩٣
- ٢ — عيار الشعر : ١٧ . ابن طباطبا .
- ٣ — السابق : ٦٥٤
- ٤ — السابق : ١٢١
- ٥ — السابق : ٢٣
- ٦ — السابق : ١١
- ٧ — تنظر الأمثلة المذكورة وغيرها في عيار الشعر : ١٨—٢٠
- ٨ — السابق : ٨٩
- ٩ — الصناعتين ١٩٦ . أبو هلال .
- ١٠ — عيار الشعر : ٩٠
- ١١ — الصناعتين : ١٩٧
- ١٢ — عيار الشعر . ٩١
- ١٣ — الصناعتين : ١١٧
- ١٤ — ففد الشعر : ٦٥
- ١٥ — أمرار البلاغة : ١٦٥
- ١٦ — السابق : ١٨٥
- ١٧ — حدائق السحر ودقائق الشعر : ١٣٨

١٨ — المثل السائر : ١٥٨/٩٢

١٩ — السابق : ١٥٩/٢

٢٠ ، ٢١ — الطراز : ٣٠٩/١

٢٢ — مفتاح العلوم : ١٦٣

٢٣ — بغية الإيضاح : ٤٣/٣

لَحْنُ الْعِيدِ الْأَلْفِي

ألقيت هذه القصيدة في قاعه مركز النيل للإعلام بدمهور عقب
محاضرة قيمة ألقاها الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية
بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي الأزهر .

نغم شجى ساحر الألحان ملك الفؤاد وحل بالوجدان
طربت لمسراه الكسابة وازدهت
وتراقصت في ثوبها الفتان
فسرحت في النشوى أسائل مهجتي
عن سر هذا الفرح والرضوان
فأجابني البشر الذي يعلو الربا
بلسان حال فاق كل بيان
الأزهر المعمور يحيي عيده متوشحاً بالعلم والإيمان
فلذا ترى أرض الكنانة قد بدت
في موكب يهفو له القمران

* * *

يا معهدا نشر الضياء على الورى ومحابيم الجهل والطغيان
وطوى القرون مجللا بإبائه ورمى العدا بالخزي والخمران
في عيدك الألفى حج لصحنكم أهل النهى والبر والإحسان
يتفكرون بألف عام قد مضت

ناضلت فيها شامخ البنيان
أفنيتمها تبني حضارة أمة ظلت قرونا قبلة الأكوان

درجت عليك المهلكات فلم تلقن
والعاديات فلم تصب بهوان
فاخرت شمس الكون في إشراقها
بمعارف أحييت بني الإنسان
وأقت للدين القويم علومه تحميه من بدع ومن بهتان
وحفظت للفصحى بديع جمالها ليرى العباد معالم القرآن
ووقفت في وجه الضلالة صامداً
تزهوا بأنوار مدى الأزمان

* * *

يا كعبة تهفو القلوب لحجها لتخوض بحر العلم والإيمان
كم من عباقره صنعت عقولهم
فأتوا لنا بدقائق الأذهان
كم من نجوم في الورى أنجبتهم
ماكروا زمام الفكر والسلطان
إذ ما تصادوا للمخابره تلقهم سحروا القلوب بمنطق وبيان
وإذا دعى داعى الجهاد تراهم
أسد الشرى فى حومة الميستان
ماذا أعدد والمفاخرة خريجة وعطاك ملء السمع والأذان
بك مصر قد سادت وعز لواؤها
وسعى إليها طالبوا العرفان
وبفضلكم ظلت على طول المدى
مرعى المقرول ومنبت الشجعان

النيل أحيا للكنانة أرضها وهذاك قد أحيا بني الإنسان

* * *

يا فتية المعمور أنتم كوكب يهدي الحيارى شرعة الرحمن
أنتم رعاة الحق بين جحافل ترعى الضلالة في حمى الشيطان
هيا انهضوا لرسالة نيطت بكم وتسابقوا العليا بغير تواني
حتى نرى شمس العروبة أشرقت في ظل أزهرنا عظيم الشان

شعر الدكتور

الشحات محمد عبد الرحمن

المدرس بقسم البلاغة والنقد

دور العظم في تحرير المغرب

بقلم دكتور / أحمد الحفناوي
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

من حق علماء المغرب أن نذكر دورهم الخالد وجهدهم العظيم في تحرير وطنهم خاصة وأنهم قد تصدوا للقيام بهذا العمل الجليل في فترة حاسمة وخطيرة من فترات تاريخه ، فترة أقترن فيها ضعف الواقع وتخلف الحاضر بصراع المستعمر الزاحف ..

لقد تمثل جهادهم لتحقيق هدفهم في التحرير في معركتين :

* معركة المقاومة والكفاح ضد الاحتلال والاستعمار والاستعباد .

* ومعركة الإصلاح والتجديد .

وكافح هؤلاء العلماء في أشد الأوقات ظلمة وظلاماً ، وأحتملوا الكثير في سبيل هدفهم النبيل ، وأعلنوا صيحتهم المدوية عالية ، وكان من نصيب العديد منهم السجن أو النفي أو الموت . ولكنهم مضوا مؤمنين بحق هذه الأمة وبحق هذا الفكر الإسلامي الذي هو « روح اليقظة ، وقوامها ومادة حياتها » .

كان منهم من خاض المعارك الحربية بنفسه دفاعاً عن السيادة الوطنية ، ومنهم من عبأ الجيوش إلى الثغور وشن الغارات على العدو وانتزع منه ما بيده من القلاع والحصون ، ومنهم من وقف بنفسه على حراسة الثغور استعداداً لرد العدوان .

فيهم من فعل ذلك بتعاون مع السلطة القائمة أو اتفاق معها ، وفيهم من فعل ذلك ضد هذه السلطة لاثامها بالتهاون في القيام بأول واجب عليها ، والذي ليس لأية سلطة أى عذر أو مبرر التهاون فيه ، فإذا تهاونت أو أهملت فقدت مشروعيتها ووجب على الشعب العمل الإيجابي المباشر بكل الوسائل الممكنة للدفاع عن سيادته وحمايتها ، وقد تصدى بعضهم للتحرّض على الدفاع عن البلاد ورد العدوان عنها واسترجاع ما احتله العدو من أجزائها والإستعداد لذلك بكل قوة ممكنة . .

وتحوّلت « الدروس » ومجالس الوعظ والتذكير وخطب الجمعة والقصائده الشعرية والأزجال والمؤلفات والرسائل والفتاوى إلى إلهاب الحماسة والحث على البطولة والقتال ، ومن أبرز الأدوار التي قادها وقام بها العلماء :

١ - موقفهم من محمد بن عبد الله الذي استنجد بالبرتغاليين ليغصروه على أهل المغرب لما بايعوا عمه ، فقد وقعت إثر ذلك معركة :

وادي المخازن :

وقعت هذه المعركة في (سنة ١٤٨٦هـ) حينما اتصل محمد بن عبد الله بملك البرتغال « سبستيان » وأتفق معه على أن يعينه على طرد عمه من ملك المغرب ، وأن يتنازل له مقابل ذلك عن جميع شواطئ المغرب ، فقبل ذلك ملك البرتغال ، وقدم إلى المغرب ومعه مائة ألف من الجيوش الأوروبية المنظمة ، وكان هذا الملك شجاعا ، فلما نزل في المغرب بهذه القوة كتب إليه عبد الملك يقول : « أن سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك وجوازك البحر إلى عدوة المسلمين ، فإن تثبت في الساحل إلى أن تقدم

عليك فانت شجاع ، وإن زحفت وحقرت بعض الرعية قبل أن يقابلك
أميرها فانت جبان .

وكانت المصلحة المغربية تقتضى ألا يتقدم البرتغاليون فى المغرب
والأ يحتلوا مراكز هامة قبل المعركة الفاصلة ، لهذا نصح كبار البرتغاليين
ملكهم ألا يتعأثر بهذه الرسالة وأن يحتل المدن والقرى ليتقوى بها ،
ولسكنه ففضل أن يكون شجاعا فى نظر ملك المغرب خيرا له من أن ينقاد إلى
رأى الخبراء الحرييين .

وإلى جانت هذا ، فقد نصحه محمد بن عبد الله قائلا : « رأى أن تملك
تطوان والعرائش والقصر وفغير على أطراف البلاد ، ، ولسكن ملك
البرتغال أبى أن يقبل ذلك لأن رسالة عبد الملك أثرت فى نفسه كثيرا .

وقد جمع « عبد الملك » جيوشه وقصد بها مدينة القصر وكتب إلى
ملك البرتغال يقول : لقد أرتحلت إليك من مراكش ست عشرة رحلة ،
وأنت لم ترتحل إلى واحدة .

فقبل ملك البرتغال : إنها مكيدة حربية ، أنه يريد أن يبعدك عن
الشاطئ ، ويقطع عنك خط الرجعة ، ولسكنه أبى إلا أن يتقدم إلى
« عبد الملك » ليبرهن له على قوته وشجاعته .

فالتقى الجمعان « بوادى المخازن » فلما عبر « سبستيان » النهر أرسل
عبد الملك ليلا أخاه أحمد ومعه أربعة آلاف من الجنود ، فهدموا القنطرة ،
وكان الوادى كله أجرا فلا مشروع له إلا القنطرة ، وكان قصده بذلك إذا
أنهزمت جيوش « سبستيان » لا ينجو منها أحد ، فدل هذا التدبير على أن
عبد الملك كان من أعظم رجال الحرب ، يقول الأستاذ « بن عبود » نقلا
عن الأفرانى : « التقت الفشتان وزحف بعضهم إلى بعض ، وأسود الجو
بنقع الجياد ودخان مدافع الباورد وكثر الضرب والطعن فلما قامت الحرب

ساق توفي « عبد الملك » عند الصدمة الأولى — وكان مريضاً — وكان من قضاء الله أنه لم يطلع على وفاته أحد إلا حاجبه وأخوه المنصور بموته فسكرتم ذلك أيضاً . . إلى أن هبت على المسلمين ريح النصر وقتل الطاغية البرقغالي غريقاً في الوادي ، ولم ينبج من جيشه إلا النزر اليسير ، وبحث في القتلى عن « محمد بن عبد الله » فوجد في واد الكوس ، وذلك أنه لما رأى الهزيمة ألقى بنفسه فيه فاستخرجوه الغواص ، فسنخ جلده وحشاه (قنباً) وطيب به في مراکش وغيرها (١) . وكان هذا النصر الذي قوى من عزائم الناس ، فازدهرت الحياة .

ومما يجب ذكره في هذا المجال ، ما قاله صاحب « دوحة الناشر » : « حدثني الفقيه أبو العباس أحمد الدغوري القصري قال عن الشيخ أبي عبد الله : أنه غزا غزوة إلى الثغور ، ثم قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلانة بنت الشيخ أبي زكريا يحيى بن بكسار قد توفيت وصلى الناس عليها وأمامهم الشيخ غازي بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن غازي الإمام المشهور ، فوصل الشيخ أبو عبد الله ووجد جنازتها على شفير القبر والناس يحاولون دفنها . . فقال لهم مهلاً ، ثم تقدم فأعاد الصلاة عليها مع أصحابه الذين قدموا معه ، فبادر الناس إليه بالإفكار في تكرار الصلاة على الجنازة بالجماعة مرتين ، فقال لهم على البديهة : صلاتكم التي صليتم عليها فاسدة لكونها بغير إمام ، فقالوا له : كيف ذلك سيدي . قال : لأن من شرط الإمام الذكورية وهي مفقودة في صاحبكم . لأن الذي لم يتقلد سيفاً في سبيل الله قط ولم يضرب به ولا عرف الحرب كما كان فبيناً عليه السلام ، ولم يتعبد بالسيرة النبوية ، فكيف يعد إماماً ذكراً بل إمامكم والله من جملة النساء (٢) .

كذلك من أبرز الأدوار التي قام بها العلماء :

— معارضتهم لمحمد الشيخ في تسليم العرائش الأسبانيين (في القرن
١١ هـ - ق ١٦ م) .

— تأييدهم للمجاهد سيدي عبد الله محمد العياشي (ق ١١ هـ -
ق ١٧ م) .

— مطالبتهم بتحرير بقية المناطق كسبتة ومليلة — بمناسبة تحرير
العرائش (ق ١٢ هـ - ق ١٨ م) .

— دعوتهم لتأييد الجزائر تأييداً مسلحاً عند الاعتداء الفرنسي عليها
(ق ١٣ هـ - ق ١٩ م) .

— مطالبتهم بتنظيم الجيش المغربي على النظام الحديث بعد هزيمة إيسلي
(ق ١٣ هـ - ق ١٩٠ م) .

— استنكارهم إحتباء المغاربة بالدول الأجنبية (ق ١٤ هـ - ق ١٩ م) .

— دعوتهم لتحرير جدة والدار البيضاء وغيرها مما احتله الفرنسيون
والأسبان (ق ١٤ هـ - ق ٢٠ م) (٣) .

ولا يفوتنا أن نذكر ما قاله صاحب « الاستقصاء » عن موقف المغرب
وعلمائه حينما وقعت الثغور في أيدي الأجانب — وكثيراً ما كانت تقع
على مر العصور — قال : لما نزل بأهل المغرب منازل من غلبة عدو الدين
واستيلائه على ثغور المسلمين تباروا في جهاده وقتاله ، فكم من رئيس
قوم قام لنصرة القوم غيرة واحتساباً . . وكم من عالم مصر باع نفسه من
الله ورأى ذلك هو ابناً ، حتى لقد استشهد منهم كثيرون وأمر آخرون ،
فن استشهد سيدي عيسى بن الحسن المصباحي وأبو الحسن علي بن عثمان

الشاوي وأبو الفضل فرج الأندلسي ثم المكناسي ، وأبو عبد الله محمد القصري ، وكل هؤلاء معدود من أولياء الله تعالى . . ومن أسر منهم ثم خلاصه الله الشيخ أبو محمد عبد الله ابن سامي والشيخ أبو محمد عبد الله المكوش والشيخ أحمد بن القاضي المكناسي أحد قضاة سلا — وهو صاحب جذوة الاقتباس — وأبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي نزيل فاس وشيخ الجماعة بها ، وقد ألف الناس كثيراً في الحوض على الجهاد ، والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك كثيراً ونظم الشعراء والأدباء فيه ونشروا (٤) .

٩ — موقفهم من الحماية الفرنسية المفروضة على البلاد ومقاومتهم لها مقاومة مسلحة أحياناً وسلمية أحياناً أخرى ، ففيها كانوا الخطباء يخطبون لاستنهاض همم المؤمنين وتحريضهم على مقاومة العدو وتحديه فتخرج الجماهير للشوارع متظاهرة محتجة لتصطدم بقوة العدو ، ويموت أفراد منها برصاصة ويساق الباقون إلى مراكز الشرطة والمحاكمة والمنافي والسجون .

العلماء قادة الحركة الوطنية :

بويعد عبد الحفيظ ، أولاً بمرآكش تحت إشراف الشيخ ماء العينين الذي رأى — هو وغيره من الفقهاء العلماء — أن صديقه عبد العزيز قصر في حق الدفاع عن موريتانيا — وكانت جزءاً من المغرب — ولكن الأمر لم يتم إلا بعد بيعة مدينة فاس وعلماؤها ، إذ أن العلماء ورجال الفقه الإسلامي هم الذين يختارون السلطان الجديد في اجتماع خاص يعقدونه بجامع القرويين (٥) .

ولقد كانت البيعة الحفلاظية التي كتبها علماء وطنيون ممتازون ميثاقاً قومياً من الطراز الأول ، فهي تشترط على الملك الجديد :

١ — أن يبادر بطرد المحتل من الأماكن المقتطعة من الحدود المغربية .

٢ — أن تسعى في إلغاء معاهدة الجزيرة لأنه لم يرجع للشعب فيها .

٣ — أن يعمل على إلغاء المعاهدات الأجنبية .

٤ — ألا يستشير الأجانب في شؤون الأمة .

٥ — ألا يبرم مع الأجانب عقوداً سلمية أو تجارية إلا بعد استشارة الأمة (٦) .

وهكذا يتضح موقف العلماء من الاستعماريين بوجه عام .

هذا ويجب أن نذكر بالفخر ذلك العالم الجليل الشيخ « محمد العتاني » الذي جاهد كثيراً من أجل طرد الفرنسيين من المغرب ، فنراه يغادر مراکش على أثر مشادة وقعت بين الشيخ أبي شعيب الدكالي وزير العدل إذ ذاك ، وبين بعض كبار الموظفين الفرنسيين أهان فيها الفرنسي الوزير . فتأثر لذلك الشيخ العتاني وهاجر إلى الحجاز (سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٣ م) . ومنها إلى الآستانة (سنة ١٣٣٤ هـ — ١٩١٥ م) وفي محادثاته مع الخليفة « محمد رشاد » الخامس أوضح له أن فرنسا تريد إجبار المغاربة على الدخول في حرب ضد العثمانيين . وبفضل جهوده تلك اتخذت الخلافة العثمانية وحزب « الاتحاد والترقي » قراراً باستقلال المغرب الأقصى والعمل على إجلاله فرنسا وأسبانيا عنه والاعتراف بهذا الاستقلال حتى عن ألمانيا وتركيا وغيرها .

وكان الشيخ العتاني أحد أعضاء وفد المؤتمر الإسلامي الذي طاف بالبلاد المجاورة : السويد والدايمرك والنرويج للدعاية للقضايا الوطنية والاستقلالية التي يعمل من أجلها . . وقد ألقى الشيخ العديد من المحاضرات

في الأندية المختلفة شارحاً قضية المغرب الأقصى وبينما تدخل فرنسا وأسبانيا في جميع الشؤون بما فيها الأوقاف الإسلامية ، وقد اهتمت الصحف الفرنسية — شأنها في ذلك شأن الصحف العالمية — بنشاط الشيخ العتابي . مما أدى بالحكومة الفرنسية إلى أن أحالته إلى محكمة عسكرية منعتة من الدخول إلى المغرب ومصادرة أملاكه .

واستطاع العتابي بجهوده المتواصلة أن يحمل الوفد الإسلامي الذي انعقد في استوكهولم (سنة ١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م) ، على أن يقرر :

« استقلال المغرب الأقصى ورد موريتانيا إليه ومطالبة الدول المحايدة بالمساعدة على الحصول على هذا الاستقلال ... » .

وسافر العتابي إلى العديد من دول العالم وقابله الكثير من وزرائها ووعدوه ببذل العون لتحقيق مطالب المغرب .

وإلى جانب هذا كان اتصاله بقبائل المغرب الثائرة في الجنوب مستمراً ، وكان يحثهم على الاستمرار في المقاومة .

يقول الأستاذ علال الفاسي : « ... إن السيد العتابي أخبرني — يقصد نفسه — أن الدولة العثمانية كانت عازمة على مساعدة الحركة الوطنية في المغرب ، إلا أن تسليم بلغاريا ورومانيا لدول الحلفاء أضعف عزيمة العثمانيين ، فاضطر السيد العتابي للخروج من الأستانة والالتجاء لمصر التي رحبت به (٧) .

الحركة السلفية :

كانت الشاذلية قد انتشرت في المغرب منذ عهد الموحدين فازدهرت عهود الإصلاح والتصوف في أنحائه حتى أصبح لها تأثير كبير في حياته الاجتماعية والسياسية ، وبمرور الزمن أصبح شيوخ التصوف أداة للدعاية السياسية وانتبه ملوك الدولة إلى الخطر ، فأخذ السلطان محمد بن عبد الله والسلطان سليمان من بعده في مقاومة الطرق ونشر الدعوة السلفية التي تعمل على تطهير العقيدة من الخرافات وتحرير الفكر .

ولا شك في أن المغرب مهياً أكثر من غيره لقبول أية حركة تدعو إلى العودة إلى الدين الصحيح والعقيدة السنية ، لذلك كانت الدعوة الوهابية لها صدى الاستحسان والقبول في المغرب ، وارتبطت أواصر الصداقة بين مصلحي نجد ومصلحي فاس .

وكان طابع السلفية في المغرب أشد تأثراً بالعروة الوثقى والمنار وأفكار محمد عبده الذي كان على اتصال بنخبة من مثقفي المغرب الأقصى ، فقد وقعت بينه وبين علماء المغرب مناقشة في مسألة التوسل بالأنبياء وأيده الشيخ المهدي الوزاني في فتواه الترنسغالية كما جرت بينه وبين الشيخ ادريس بن عبد الهادي مراسلة في شأن بعض الكتب السلفية التي كان محمد عبده يريد نشرها .

ولم يكن لذلك كله من أثر يذكر ، إذا قورن بما حدث بعد عودة الشيخ عبد الله السنوسي إلى المغرب عقب زيارته للحجاز ومصر ومقابلاته لأقطاب الدعوة فيهما : فقد دعا دعوته في فارس وتجمع حوله ثلة من الطلبة وألب عليه جمعة من العلماء ، ومن الذين تعلموا على الشيخ السنوسي الأستاذ الكبير محمد بن العربي العلوي ومن تلاميذه في مصر الشيخ أحمد شاكر (٨) .

كما عاد بعد الاحتلال الشيخ الإمام « أبو شعيب الدكالي » وكان في زيارة للمشرق أيضا .. وكانت عودته في الوقت الذي برز فيه عالم سلفي كبير هو الشيخ محمد بن العربي العلوي .. ونشاط هذين العالمين العظيمين هو الذي نصر السلفية في المغرب ، وجعلها تتسرب إلى القصر الملكي لتتخذ في جلالته الملك « محمد الخامس » راعيا وأميناً (٩) .

كانت تجتمع في فاس جماعة من الشباب حول ابن العربي كما تجتمع أخرى في الرباط حول الشيخ الدكالي .. ولم تلبث برهة حتى أخذت الحماية تحس أن هذه الاجتماعات موجهة إلى مقاومتها : فبدأت تستدعي روادها وتهدهم بالاعتقال وألقت القبض على الأستاذ / محمد غازي الذي كان من أكبر دعاة السلفية ورجالها ، (١٠) .

ومن هنا بدأت الحركة السلفية تبرز بالدعوة الوطنية ، فوجد الشباب المغربي في الحركة السلفية ميدانا لبذل نشاطه وتعويد نفسه على العمل لخدمة أمته والتضحية في سبيلها .. وسرعان ما تألفت من هؤلاء الشباب جماعات صغيرة لدراسة القضايا القائمة والعمل على تنوير الرأي العام بأصرارها .

ولما كانت مساجد فاس ملتقى الطلبة الواردين من كل جهة ، فقد كان لزاما على الحركة أن تهتم ، وأن تبعث الروح السلفية والقومية في نفوس روادها ، خاصة وأن قادة السلفية من كبار علمائها ، وتأسست مجلة سرية سميت (بأم البنين) كانت تصدر بانتظام في أربعين صفحة ، ثم توزع على الجماعات السرية في فاس والرباط ومراكش وطنجة وتطوان .. وكانت هذه الحركة الشبابية السلفية على اتصال — في الوقت نفسه — بالمغاربة خارج البلاد الذين يتعلمون في الشرق أو حتى في فرنسا .

وتأسست في باريس « جمعية شمال أفريقيا المسلمين بفرنسا » وجمعية

الثقافة العربية ، وكما شارك المغاربة في القاهرة في تأسيس جمعية « الشباب المسلمين » و « جمعية الهداية الاسلاميه » وتأسست داخل المغرب « جمعية أحماء الطلبة » .

و كانت (سنة ١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م) امتحان حركة الشباب السلفي الوطني ، إذا حاولت الإدارة الفرنسية أن تقتل على مياء وادي فاس ، لصالح بعض الحركات الفرنسية ، فقامت مظاهرات كبيرة في المدينة ، ووقف الزعيم / علال الفامي ، و كان إذا ذلك ضمن مجموعات الشباب — ووقف في إدارة المراقبة البلدية في المدينة وألقى خطابا سياسيا كان له أثر بالغ في الجماهير ، « وقد وقعت عدة اجتماعات شعبية .. وانتهت هذه الحركة بظفر المدينة وسحب الإدارة الفرنسية لمشروعها ، إذا كان علال الفامي والحسن أبو عياد وضعا مذكرة قدمها لحاكم فاس الفرنسي يطالبان فيها بذلك (١) .

الحركة الوطنية :

كان لحرب الريف التي قادها الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي أثر عظيم في إذكاء الروح الوطني ، فالعالم الغربي ظل سنوات طويلة يستهين بالشعوب الإسلامية ، ولم يعد لهذه الشعوب صوت مسموع في المحافل الدولية ، لكن الخطابي رفع هذا الصوت من جديد وأرغم العالم على الاستماع إليه .

وكان الخطابي في نظر المغاربة بطلا إسلاميا ، كما كان يطل الاستقلال الوطني في نفس الوقت ، وهذان الأمران — الإسلام — والوطنية — هما أقرب المثل العليا إلى قلوبهم .

فإذا أضيف إلى هذا أن شباب السلفية قد نجح في فرض مطالبه أثناء

ثورة فاس (سنه ١٣٣٩ هـ سنه ١٩٢٠ م) من أجل مياه واديهما ، إذن لماذا لا يتحرك الشباب المغربي ، ويفلزع عن حقيقته أهدافه ؟

لقد شهد مساء أول أغسطس سنة ١٩٢٦ م ، تحولا كبيرا في حركة الشباب المغربي نحو أهدافه في الحرية والاستقلال ، إذ اجتمع نحو اثني عشر شابا من شباب المغرب في حديقته واصله في الرباط وأخذوا يتحدثون عن بلادهم التي فقدت استقلالها وينذكرون عهد الحرية الذي سبق وبالتالي يفكرون في الطريق إلى التخلص من هذا الوضع المزري لتعريبه والإسلام

كان المضيف هو الوحيد الذي لم تجرفه تلك الوطنية السهلة المتناول التي غمرت رفاقه ، أما اسمه فهو « أحمد بلا فريج » وهو من أبناء الطبقة المتوسطة وقد فقد والديه في باكورة طفولته فرباه أحد أعماله . . وهذا الاجتماع الذي تحدثنا عنه إنما عقد في حديقة ذلك الخال كان مظهر « أحمد بلا فريج » يوحى بالاحترام والهيبة حتى وهو في سن الثامنة عشرة وقتها ولقد أنهى بلا فريج خطابه تلك الليلة قائلا : « أن ظلمة القبور أكثر عزاء للنفوس من ضوء الشمس ، إذا ما حرمت هذه النفوس من الحرية والاستقلال . .

« وكان من نتيجة هذا الاجتماع إنشاء جمعية اسمها الرسمي « جمعية أنصار الحقيقة وهي تسمية لا يستطيع حتى مدير « البوليس » نفسه أن يجد فيها سبباً للإعتراض ، أما الاسم السري للجمعية . . فهو « الجامعة المغربية » (١٢) .

وفي نفس صيف سنة ١٩٢٦ م اجتمع فريق آخر من شباب المغرب للبحث في أمر مستقبل بلادهم ، وقد تم اجتماعهم في فاس . . في إحدى المدارس القديمة التي بليت زخارفها الخشبية وسقط ظلاؤها . .

وللمرة الثانية يصبح زعيم الاجتماع شاباً في الثامنة عشرة ، كان اسمه

علال الفاسي . . . كان الهدف من هذا الاجتماع إلى جانب البحث في أمر مستقبل البلاد - تدبير وسيلة لمعارضة تعاليم ، نادى بها أحد غلاة الصوفية هو « عبد الحى الكتانى » ، حيث اتهم من قبل الشباب بأنه يتخذ الخرافات ويحول ظلام الجهل ؛ وبأنه أدى مساعدات فعلية « البو ليس » الفرنسى .

ولقد قال « علال » فى هذا الاجتماع : « علينا أن نصلح أنفسنا قبل أن نصلح الآخرين . . دعونا نحرر أنفسنا قبل أن نحرر أبداننا » .

كان صوته نموذجاً لصوت المصلح المغربى الذى يمثل دون قصد منه المذاهب الموروثة مع ما تتضمنه من الخلاص عن طريق الصفاء الروحى . وانتهى الاجتماع بإقرار تأسيس حركة سريه سميت : « اتحاد الطلبة » وما لبث أن سمع كل من مؤسس حركة الرباط وفاس بيرناج الآخر ، فقرروا ادماج تنظيمها فيما يسمى « بالجامعة المغربية » التى هى أصل للوطنية المغربية أو بمعنى آخر لحزب الاستقلال .

لقد كان بلا فريج ورفاقه يبعثون فى الحركة طابع الشورى ، الذى هو فى نفس الوقت طابع المبادئ الروحية الإسلامية التى يؤمن بها رجالها فى فاس ، وبذلك كانت الحركة تتمشى تماماً مع الاتجاهات التى بعثت النشاط فى معظم حركات الإصلاح الحديثه فى العالم الإسلامى .

السياسة البربرية :

نجحت فرنسا فى فرض حمايتها على المغرب سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م واسكنها لم تسكتف بذلك ، بل عملت على إدهاجه فى الوطن الفرنسى ، ولم تجد أمامها عقبات تحول دون تنفيذ ما تريد إلا الإسلام واللغة العربيه . .

فالإسلام هو القانون وهو مصدر التشريع وهو العقيدة السائدة

وهو دستور المغاربة جميعا وهو من جهة أخرى حارس الثقافة العربية ،
وهو العامل الاساسى فى وحدة الشعور والاتجاه الفكرى وهو المثل الأعلى
لكل مغربى كان أم بربريا .

وإذا فلا أمل أمام فرنسا فى تطبيق سياسته الادماج إلا إذا حطمت
هاتين الصخرتين العاتيتين : الاسلام والثقافة العربية .. ولهذا أوفدت علماءها
إلى المغرب وهيأت لهم الظروف لدراسة هذا الموضوع ، فلم يجدوا
أمامهم إلا العمل على سياسة التفرقة بين العنصرين اللذين يتألف منها سكان
المغرب وهما : العرب والبربر .

وتوهم علماء فرنسا وساستها أنهم يستطيعون بعد هذه التفرقة أن
يفرذوا بالبربر ويطبقوا عليهم سياسة الادماج فى الوطن الفرنسى ..

ولهذا ترى الأستاذ / جود فروى — ذومنين يقول : « من الخطر أن
تترك كتلة ملتحمة من المغاربة لفتها واحدة ، وأنظمتها واحدة .. لا بد أن
نستعمل لمصلحتنا العبارة القديمة : « فرق تسد » أن وجود العنصر البربرى
هو آلة مفيدة لموازنة العنصر العربى ويمكننا أن نستعمله ضد الحكومة
المغربية » .

كذلك كتب مسيو جلاى أحد موظفى الاقامة الفرنسيه فى مقال
يعنوان « المدرسة الفرنسيه لدى البربر » ما يأتى : يجب أن تهدف تعليم الديانة
الاسلاميه واللغة العربيه فى مدارس البربر ، وأن تسكتب اللهجات البربرية
بحروف لاتينية ، ، وإذن فالسياسة البربرية ترمى إلى فرنسة المغرب لغويا
وسياسيا وقضائيا .. (١٣)

وتطبيقاً لهذه السياسة :

١ - أنشأ ليبوتى المقيم العام الفرنسى معهداً لتدريس اللهجات البربرية فى مراكش ، وهذا العمل تمهيد لإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية .

٢ - استصدر ليبوتى ظهيراً (مرسوماً) فى ١١ سبتمبر سنة ١٩١٤ م يدعى أنه ما يزال بالمغرب جنسان متفاوتان هما : العربى والبربرى ، وأن هناك قوانين بربرية تخالف القوانين الإسلامية مخالفة تامة ، وأن هذه القوانين لا تزال مستعملة ، وأن للبربر بها ولعاً شديداً .

٣ - أنشأت فرنسا مجالس الجماعات البربرية كي تتخذها سلاحاً تحارب به سلطة القضاء الإسلامى وسلطة الحكومة المغربية .

٤ - أصدرت الإقامة العامة الفرنسية فى مراكش أمراً فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٥ م ، يقضى بجعل اللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية للجماعات البربرية ، وقد علق « ريبو » على هذا الأمر قائلاً : « أنه اتجاه محمود العاقبة وهو يهدف إلى مقاومة « تعريب البربر » .

وفى نفس الوقت كانت الحرب ضد المنظمات الثقافية المغربية قائمه ، وكان المستعمر يناصر المعاهد الإسلامية العداء .

لقد سلطت الحماية حربها على هذه المنظمات ، ونصبت عداءها المستمر عليها وعلى سائر فروعها فى أنحاء المغرب . (١٤)

وكان هذا الذى حدث مقدمه لإصدار الظهير البربرى فى (١٦ مايو سنة ١٩٣٠ م) ذلك الظهير الذى كان حلقة من سلسلة طويلة أعدتها فرنسا لهدم الدين والقومية فى المغرب ، والذى فبقت أصوله فى جامعة الجزائر حيث كان موضوع رسالة « ريبو » للحصول على الدكتوراه فى القانون

والذي وضعت فرنسا — بإصداره — في أيدي الوطنيين سلاحا ما كانوا يحلمون به مطلقا ، إذ بدءوا حملة مرجعه ضد إجراء حرم المؤمنين من التشريع الذي أنزله الله . (١٥)

يقول الأستاذ / د. علال الفامي ، عن السيادة البربرية : أنها مجرد القسم الأكبر من رعايا البلاد من سلطنة الملك الديني والزماني التي تتجلى في القضاء الشرعي والحكومة ، وتعمد إلى الكتابات القرآنية والمساجد فتثقلها وتحول بين الفقهاء ورجال الدين وبين التجول لتعليم الناس بأحكام دينهم وامتدّت تبدو في مظاهر متعددة إلى (١٦ مايو سنة ١٩٣٠ م) . حيث تجلّت فيما سمي بالظهير البربري .. (١٦)

ويتلخص هذا الظهير فيما يأتي :

١ — فصل القبائل البربرية عن المغاربة ، العرب لغة ودينا ، وذلك بنشر التعليم الفرنسي والتبشير المسيحي الكاثوليكي ومنع التعليم العربي الإسلامي في المناطق البربرية .

٢ — فصل القضاء البربري عن الشرع الإسلامي والتدرج في ادخاله ضمن القضاء الفرنسي .

٣ — تمليك الفرنسيين أراضي القبائل بطرائق يستنبطونها من عادات البربر وتقاليدهم التي يحقرونها .. (١٧)

مقاومة السياسة البربرية :

شهد ربيع سنة ١٢٤٩ هـ - ١٩٣٠ م اقتعاشا غير منتظر في نشاط البعثات التبشيرية المسيحية في مراکش ، وكان هذا مبررا سهلا لدى الوطنيين لإبراز الظهير البربري على أنه آخر إجراء اتخذته فرنسا في صراعها ضد الإسلام .. لقد أدى الفزع الذي أحدثته الظهير إلى الحملة المساهرة التي قام بها الوعاظيون إلى ملء المساجد بالجماهير التي تتوجس الشر ، وبدأ مسجدا القرويين يمتلئ كل يوم بالآلاف المسلمين الذين يستمعون إلى الخطباء ويوجهون البرقيات ويختتمون عملهم بدعاء خاص بأوقات الفزع ، ينتهي بهذه العبارة : اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ، والأتفرق بيننا وبين إخواننا البربر .. (١٨)

وقد ذهبت الجماهير إلى ضريح مولاي إدريس مؤسس المدينة ووليها الحارس ..

استمرت الحركة الوطنية في إلهاب حماس الجماهير ، حيث كانوا يخرجون بالمصلين من المساجد متظاهرين في الشوارع ليستمعوا إلى خطباء الشباب الذين يشرحون لهم الموضوع ويعرفونهم بالحال .. وحدث أن وصل المظاهرون لدار شيخ المدينة .. فقامت السلطة باعتقال خمسة وعشرين شابا جلدتهم بالسياط من بينهم عبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفيلاي ومحمد الوازني وعلال الفامي ، كما اعتقلت في الرباط عبد اللطيف العتاني وفي سلا عبد اللطيف الصبيحي ، ولم تنقطع المظاهرات بمدينة قاس والرباط وسلا طوال أربعة عشر يوما . مدة بقاء الوطنيين المعتقلين في السجن .. مما اضطر الإدارة الفرنسية إلى أن تذيب بيانا تدعى فيه أن كل ما فعلته هو تنظيم لقضاء قديم . وأطلقت مراج المعتقلين .

لكن الحركة الوطنية لم تفتقر ، بل كوفت وفدا من العلماء والأعيان للتفاوض مع الإدارة الفرنسية . ولما رأت الإدارة الاستعمارية أن الحركة تطورت إلى هذه الدرجة .. وزعت منشورا أعلنت فيه قبولها لإخراج أية قبيلة تطالب بالقضاء الشرعي من حظيرة القبائل التي يشملها الظهير البربري .. وكانت الإدارة تهدف من وراء ذلك خداع الحركة الوطنية ذلك لأنها بعد أن وزعت هذا المنشور ألقت القبض على رجال القبائل الذين طالبوا بالعودة للقضاء الشرعي ، وأثر ذلك شكلت الحركة الوطنية وفدا برئاسة عبد الرحمن القرشي وتولى الأمانة العامة السيد عبد الواحد الفامي والد علال الفامي .

تقابل الوفد مع الملك في الرباط وقدم له مطالب الجماهير ، ونتيجة ذلك ألزمت الإدارة .. الفرنسية أعضاء الوفد بالعودة إلى فاس وألقت القبض على أعضائه فقررت ، فاس ، الاضراب العام ، واستمرت المظاهرات عشرة أيام وقع فيها اصطدام مع البوليس ، والجيش الذي احتل المساجد الكبرى وشوارع المدينة وأعلنت الطوارئ وألقي القبض على مئات من السكان . وتقرر نفي علال الفامي ومحمد اليزيدي وابن عبد السلام الخلو وغيرهم .

وكانت هذه الجولة بين الحركة الوطنية في فاس ، وبين الإدارة الفرنسية فاتحة عهد كفاح وطني في الداخل والخارج . . أهتم فيه العالم الاسلامي بقضيه المغرب وعرف ما يبيته الاستعمار الفرنسي من دسائس للدين والعروبة ، فارتفعت أصوات العضب في تونس والقاهرة وبغداد ، وقدم الأمير شكيب أرسلان الكاتب السوري الكبير الذي يعتبره العرب أحد زعمائهم الروحيين نصيحته إلى إخوانه المسلمين . . ألا يشغلوا أنفسهم باحتجاجات تقدم إلى صحفهم وحكوماتهم ، وعليهم أن يحتجوا لدى غضبه الأمم والدول الكبرى والحكومة الفرنسية ومجلس شيوخها وبرلمانها ، وأن يوقفوا كل معاملاتهم التجارية مع فرنسا ، إذ أن هذه المقاطعة هي

إحدى الأسلحة التي يخشاها الأوروبيون أكثر مما يخشون ، لأنهم يعبدون المال أكثر مما يعبدون الله... (١٩)

ولقد عمل بنصيحة الأمير شبيب أرسلان إلى جد ما ، فشككت لجان للدفاع عن مسلمي المغرب في « القاهرة » وفي برلين وفي جاوة وقدفقت الاحتجاجات والالتماسات على الهيئات الوطنية والدولية . . وفي فرنسا نفسها احتجت بعض الصحف على الطهير ولكن غالبية الصحف الفرنسية استنكرت هذه الاضطرابات المغربية على اعتبار أنها من عمل عصاة صغيرة من قطاع الطرق لا يحملون إلا شهادة الابدائية المشكوك في أمرها ، يحاولون أن يظهروا أمام العالم وكأنهم غاندي وسعد زغلول... (٢٠)

وقد رت كتلة العمل الوطني في المغرب — وهو الاسم الذي أطلق على الحركة — إصدار بعض الصحف وحملت فيها على المستعمرين وعلى الأوضاع المتردية في المغرب فصدرت « عمل الشعب » و « السلام » و « الحياة » وإلى جانب ذلك قررت أن يقوم الأستاذ / علال الفاسي بالقاء دروس شعبية عامة يحضرها آلاف المخاربة من الرجال والنساء ، وكانت هذه الدروس ظاهرة ديني وباطنها شديد الاتصال بالسياسة إن لم يكن هو السياسة بعينها . . وبما كان له الأثر الفعال في بعث الاحساس بالذات والشعور بالواجب وفي بث الشجاعة في القلوب... (٢١)

وبمرور الوقت رأت الادارة الفرنسية أن هذه الدروس ماهي إلا مظاهرات سياسية يومية لا يمكن السماح باستمرارها ، فاستخدمت كل الوسائل لمنعها . . ولكن وقوف العالم الشيخ محمد بن العربي العلوي موقف الدفاع الصادق عن الأستاذ / علال الفاسي كان يحيط هذه المساعي التي تكررت أربعاً وعشرين مرة ، ولم يقبل الملك محمد الخامس أن يصدر مثل هذا القرار .

كانت فرنسا تركز دائماً على إشغال العداء بين الملك والوطنيين، ولهذا فإن كتلة العمل الوطني انتهزت فرصه زيارة الملك السنوية « لفاس » في (١٣٥٣ هـ - ٨ مايو ١٩٣٤ م) ونظمت له استقبالات شائقة، ونصبت أقواس النصر لتظهر له ولائها في عاصمه ملكة (الروحية) وأذعى الحاكم الفرنسي للمدينة أن بعض شباب فاس هتف ضد فرنسا كما أن شاباً آخر عمد إلى يهودى يرفع العلم الفرنسي فطمعه ورمى بالعلم في الأرض، واتخذ من ذلك ذريعة لمنع الملك من الصلاة في جامع فاس في (١٠ مايو ١٩٣٤ م) وطلب إليه أيضاً اعتقال زعماء « كتلة العمل الوطني » ورفض الملك .

ولم يجد السلطة أمامها إلا إيقاف الصحف التي أصدرتها الكتلة، وكانت الإقامة قد انتهزت فرصه الصدام الذي حدث بين الصليب الناري وأحزاب اليسار في فرنسا، فأصدرت أمراً تليقونياً عسكرياً لشيخ القرويين بمنع علال الفاسي من التدريس .

عينت فرنسا الجنرال / « فوجيس » مقيماً عاماً لها في المغرب، فأصدر قرار بحل : كتلة العمل الوطني في (١٨ مارس ١٩٣٧ م) فواصلت الكتلة فضالها تحت اسم : الحركة الوطنية لتحقيق المطالب ،... ثم ما لبثت أن تحولت الحركة إلى ما عرف « بالحزب الوطني » .. وقد تشكلت في داخل الحزب عدة لجان قامت بتنفيذ برنامجها الاصلاحى والتجديد فى كافه المجالات ومن هذه اللجان :

لجنه التعليم :

قامت بتأسيس عدة مدارس فى المدن والقرى ، كما عملت على تنظيم القرويين تنظيمًا صحيحًا وحشد طلبتها فى صعيد واحد لمقاومه كل تيار يضرب بالروح التقدميه فى الجامعه الاسلاميه الدينيه العتيقه ، واستطاعت أن تبذل

جموذاً جبارة في تكوين بعض المعاهد الدينية في « وجدة » و « فضالة » وغيرها .. وبعث المعاهد التي فترت حركتها .. كما قامت بدعوة واسعة لتعليم البنات وتهذيبهن وعملت على تأسيس بعض جمعيات قدماء التلاميذ بالقرويين وغيرها من المدارس العربية كما ألبت طلبه القرويين للاضراب من أجل الدفاع عن مطالبهم الحيوية وأسست للطلبة ذوراً يهتمون بها في فاس ، للمحاضرة والمذاكرة .

لجنة الإصلاح الديني والاجتماعي :

نادت هذه اللجنة بتثبيت دعائم السلفية ومقاومة أذعياء التصوف ، واهتمت بجامعات تحفيظ القرآن الكريم فجمعت أشتاتها .. وهذه الجمعيات هي التي دعت إلى تجويد القراء وأفشأت عدة خزائن مملوءة بالمصاحف .

لجنة التقويم الخلقى :

كانت مشكلة من طلبه القرويين ، تلاميذ المدرسه الثانوية بفاس ، وكان لها فروع من طلبه المعاهد الدينية وغيرها بسائر المدن المغربية ، وكانت ترمى إلى مقاومة الأخلاق السيئة ، وكان شباب هذه اللجنة يفتنون في كل المجال العامة يدعون الناس للعدول عن شرب الخمر وتعاطي المخدرات ويعملون على علق الحانات في الأحياء الإسلامية .

استمر الحزب الوطني في عدائه لفرنسا ، ولذا قرر الجنرال « فوجيس » نفي علال الفاسي إلى « الجابون » ، في إفريقيا . كما قرر إبعاد محمد البزيدى وعمر عبد الجليل وأحمد مكوار إلى أماكن أخرى .. و كانت ثورة عارمه شملت المغرب من أقصاه إلى أقصاه .

الثورة الوطنية :

شملت الثورة كل أنحاء المغرب ، ففي فاس كان التصادم قويا بين الجيش والمتظاهرين استمر أياما حتى أن الحاكم الفرنسي للمدينة كان يعلن في بلاغات عسكرية متتابة مراحل إحتلاله لمراكز التجمع الوطني في المدينة ، وبعد صراع شديد وسقوط العديد من القتلى والجرحى تمكن الجيش من إحتلال المركز العام للحزب ، واحتل الجند سائر أحياء المدينة ولم يبق للمتظاهرين إلا جامع القريين الذي أخذوا يحتشدون فيه بالآلاف للتظاهر وإعلان التضامن مع زعمائهم . . . وبالرغم من صدور الأمر بغلق جميع مساجد المغرب ، إلا أن الوطنيين استطاعوا أن يستمروا في التجمع بالقرويين مستعملين جميع الوسائل ، وتدخل الجيش وأخرجهم من الجامع بالقوة إلى الشارع ، حيث كان العسكر ينتظرونهم ، ووقعت مصادمة دامية اعتقل فيها أكثر من ألف وطني سيقوا جميعاً للسجن ، كما اعتقل السيد / عبد العزيز ابن إدريس والهاشمي والفيلاي وغيرهما من رجال الحركة . . . وبالرغم من القمع الذي تعرضت له الحركة إلا أن أعمال الدعاية والتنظيم استمرت في المدينة .

حزب الاستقلال :

كان من الضروري للحركة الوطنية بعد هذه الأحداث أن تخرج من سياسيتها إلى سياسة واضحة المطالب وحاسمة أيضا ، فلقد اتضح — على حد تعبير علال الفاسي — « أن طلاقا باتا قد وقع بين الشعب وممثلي الحماية وقظامها . . . وأنه لا بد من عمل حاسم . . . وهو إعلان الاستقلال ، فاجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني في الرباط في (١١ يناير سنة ١٩٤٤ م) ، وتقرر في هذا الاجتماع إنشاء « حزب الاستقلال » وسار هذا الحزب

على طريق النضال — حتى اليوم — وتكتملت فيه كافة طبقات الشعب المغربي فتراه قد شمل :

١ — الحزب الوطني بكامل ما يمثله من جماهير مغربية ومعلوم أن قيادته كانت من العلماء .

٢ — عديد من الشخصيات البارزة من أساتذة الجامعة القروية والمعاهد الكبرى وأساتذة المدارس الثانوية والمفتشين والقضاة الشرعيين والمدنيين وكبار الموظفين .

٣ — رؤساء أعضاء المجالس الإدارية لجمعيات قدماء التلاميذ في فاس والرباط وسلا ومراكش وغيرها .

وما لبث أن قدم الحزب في (١١ يناير ١٩٤٤ م) إلى الملك مشروع الذي أعده ويطالب فيه بالاستقلال للمغرب ، فعقد الملك محمد الخامس المجلس الوزاري في ١٣ يناير من نفس العام لبحثه ، وكان للعالم الشيخ « محمد بن العربي العلوي » الفضل في جمع كلية المجلس على تأييد هذه المطالب وإقرارها ، وإتصل الملك بالإدارة الفرنسية لتنفيذه ، ولكن دون جدوى وقد وفدت على الملك الوفود الشعبية تؤيد المطالب ، وكان في مقدمتها وفد المجلس العلمي للقرويين والمعاهد الدينية وأهمية هذا المجلس من ناحية الدور الذي يقوم به في الحياة العامة بالمغرب عظيمة جداً .

وما لبثت الإقامة الفرنسية أن إتخذت ذريعة لإعتقال رجال الحزب بإدعاء أن وراءهم دول المحور وأنهم أعداء فرنسا ، واعتقلت الحاج أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي . . فكان الاضراب الذي شمل أنحاء المغرب . . وكانت مظاهرات « فاس » للاحتجاج على إعتقال الزعماء خطيرة ، إذ وقع اصطدام بين المتظاهرين والجيش في (٣١ يناير ١٩٤٤ م) ، واستشهد فيه « ستون و طانيا وجرح نحو المائة وسجن ألف شخص ، وهاجم

الوطنيون حصن (تامدرت) الذي يربط فيه الجيش السنغالي ، وكذلك حومة الدوح ، كما وقعت معركة عنيفة في أول فبراير بين الوطنيين والجيش السنغالي ، وفي مساء ٢ فبراير قتل المتظاهرون جنديا سنغاليا ، فأدى الأمر إلى اشتداد الصدام ، ثم حدث أن قتل الوطنيون المحترسين بالجامع القروي جاسوسا مغربيا قيل أنه كان يسجل أسماء بعض الخطباء داخل المسجد فنبحه مجرول بسكين .. فاشتدت السلطة على الشعب ، ولم يزد الوطنيون إلا حماسا .

واستمرت المقاومة بين الجماهير الفاسية والجيش أسبوعين .. وحاصرت القوات الفرنسية الأحياء وقطعت التيار الكهربائي والمياه ، وتشكلت فرق الأغاة من أعضاء الحزب حيث قامت بتوزيع الأغذية والأدوية عن طريق أسطح المنازل ، وهدد الفرنسيون بعدم احترام الأماكن المقدسة ، إذ أبلغت لجنة العلماء - التي كانت تحاول تهدئة الخواطر - حاكم المدينة في ٤ فبراير ١٩٤٤ م بأنها تؤيد الزعماء المعتقلين مما أدى إلى القاء القبض على اللجنة « وغيرها من علماء الجامعة القروية » وعم الأضراب سائر المدن المغربية .. فأغلقت سائر المدارس كما أغلقت جامعة القرويين سجن مديروها وثلاثة من أعضاء مجلسها الأعلى العلمي ، ثم نقوا وظلت الدراسة في الجامعة القروية بعد افتتاحها غير منظمة ثلاث سنوات ..

ولا يفوتنا أن نذكر « أن العالم الشيخ محمد بن العربي العلوي وزير العدل إذ ذلك أعني من منصبه وأبعد إلى الصحراء ، وقررت فرنسا تعيين الجنرال « جوان » مقيما عاما لها في المغرب ، وقد قوبل تعيينه من قبل أغاب الهيئات الفرنسية بالتحريف .

أما المغاربة فقد عارضوا ذلك معارضة شديدة .. ولا شك أن فرنسا كانت ترمي من وراء تعيينه القضاء على الوطنية المغربية .. لكن

التحرك الوطني استمر في أداء مهمته من أجل تحقيق أمان الوطن المغربي .

أدرك الجنرال « جوان » أن الملك محمد الخامس يعطف على الحركة الوطنية ويؤيدها ، كما علم بأن الملك « يعترف بأن حزب الاستقلال يعبر حقا عن رأى الشعب المغربي ، . . .

ولذلك فقد عمل مافي وسعه لتهديد الملك ، ونظم مؤامراته مع ابن عرفة لتحقيق ذلك ، إذ هدد الملك بالعزل وقولية ابن عرفة إذا لم يذعن لأوامره . . . نقلت هذه الأوامر إلى الملك على شكل انذار شفوي هذه خلاصته :

١ — إصدار بلاغ ملسكى ، وبلاغ وزارى لاستنكار أسلوب ما عبر عنه بحزب الأحزاب (المقصود به حزب الاستقلال) .

٢ — طرد أعضاء الديوان وبعض كبار موظفى الحكومة ومدير جامعة القرويين .

٣ — تعديل الهيئة الوزارية بعزل وزراء ومندوبين .

٤ — عزل بعض القواد وتعيين آخرين عوضهم فرضتهم الإدارة ، ولا ذنب لأولئك كلهم إلا وقوفهم إلى جانب صاحب الجلالة .

ثم قدم المشروع إلى الملك رسميا فى (٢٦ يناير ١٩٥١ م) وعرف بمشروع الجنرال « جوان » ، (٢٢) وفى ٢٥ فبراير أعدت طائرة لنقل صاحب الجلالة وعائلته خارج المغرب إن أصر على الإمتناع عن التوقيع .

وفى (٢٠ أغسطس ١٩٥٣ م) — وبعد أن تأكد العدام بين الملك والإقامة الفرنسية — تقدم الجيش الفرنسى إلى قصر السلطان ، واقتحم القائد الفرنسى غرفته ، وسلمه وثيقة التنازل عن العرش ليوقعها ، فزقها السلطان ، وهما ثار القائد الفرنسى ، وقررت الحكومة الفرنسية فى

السلطان إلى خارج مراکش في مدغشقر) ، وجاء الفرنسيون بسلطان غير شرعي وهو (ابن عرفة) وتوجوه على مراکش ، وكان من المقرر أن يتجه (تهاى الجلاوى) وأصحابه المسلحون على يد الإقامة العامة إلى (فاس) لإكرام العلماء على مبايعة (ابن العلوى) إلا أن هذه المؤامرة لم يكتب لها النجاح ، ذلك أن عرب المغرب جميعا لم يعترفوا بالسلطان الجديد ولم ينحفوا أمام طغاة فرنسا ، وقابلوا القوة بالقوة واستمر القتال سجالا بين شعب المغرب بكل طبقاته ، وبين جيوش فرنسا . . ورفض العلماء مبايعة لصيق العرش ، وكان في مقدمتهم العالم الشيخ محمد بن العربي العلوى والأستاذ العلامة عبد الله كنون — مد الله في عمره .

ولمالم تجد فرنسا بدا من الخروج من المغرب دخلت في مفاوضات مع الزعماء المغاربة في ١٩٥٦ م) — وكانت ثورة الشعب المغربي حادة في جبال الأطلس الوسطى طوال (١٩٥٥ م) تنادى بضرورة إعادة السلطان وأمرته واستقلال المغرب — وأرغمت أمام مقاومة الشعب الباسلة إلى الخضوع وأعادت السلطان وأمرته واعترفت في مارس (١٩٥٦ م) باستقلال المغرب وسيادته ووحدته ، وتلتها أسبانيا في ١٨ أبريل من نفس العام . . وتوالى اعتراف الدول بالمغرب دولة مستقلة .

وفي (أكتوبر ١٩٥٨ م) انضمت المملكة المغربية إلى جامعة الدول العربية .

وهكذا كان للعلماء دور بارز في تحرير المغرب العزيز . . .

مصادر ومراجع

- ١ — محمد عبد السلام عبود : تاريخ المغرب : ج ٢ ص ١٩ — ٢٢
- ٢ ، ٤ — السلاوي : الناصري : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ج ٢ ص ١٥٧
- ٣ — دعوة الحق « مجلة تصدر في الرباط » عدد شعبان سنة ١٣٨٠ هـ : ص ١٩
- ٥ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٠ — روم لافندو : أزمة المغرب الأقصى : ج ١ ص ١٤ ، ١٧٨ ، ١٧١ ، ١٧٢
- ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ — علال الفاسي : الحركات الاستقلالية في المغرب : ص ١٠٨ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٤
- ٩ ، ١٤ — علال الفاسي : محاضرات في المغرب العربي : ص ١١٣ ، ٧٠
- ١٧ — محمود العابدی : المغرب ملك وشعب : ص ٣٢
- ١٩ — مجلة الفتح : عدد نوفمبر سنة ١٩٣٣
- ٢١ — ابن جلون : هذه مراکش : ص ٢١٦
- ٢٢ — فؤاد مصطفى : محمد الخامس و كفاح المغرب العربي : ص ١٨

مهرجان الشعر الأول

مهرجان الشعر الأول
بمناسبة المولد النبوي الشريف

إن جامعة الأزهر الشريف رسالة عظيمة تقوم على نشر الإسلام
ولغته ، والمحافظة عليهما ، والدفاع عنهما .

وكلية اللغة العربية بدمهور منذ اليوم الأول لوجودها في هذا الإقليم
وهي تعمل بجد وإخلاص على تحقيق هذه الرسالة الخالدة ، ومن هنا كان
حرصها على إحياء المناسبات الدينية ، وإقامة المحاضرات الثقافية لنشر
الفكر الديني ، وبث الوعي اللغوي بين أبناء هذا الإقليم .

وفي ذكرى ميلاد الرسول ﷺ أقامت الكلية مهرجاناً شعرياً كبيراً ،
فضمته اللجنة الفنية باتحاد الطلاب ، ودعت إليه شعراء البحيرة بجانب
شعراء الكلية ، لإحياء هذه الذكرى العطرة ، بفن العربي الساحر ،
ونغمها العذب الرصين .

وقد أقيم هذا المهرجان الحافل يوم السبت ٦ من ربيع الآخر ١٤٠٥ ،
١٩٨٤/١٢/٢٩ تحت رعاية الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع عميد الكلية
ورائد الشباب ، وشرف بحضور الأستاذ الدكتور رشاد خليل عميد كلية
الشريعة والقانون ، وجمع كبير من الضيوف وأعضاء هيئة التدريس
والطلاب .

وبدأ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم من الطالب شعبان عبد الله
عيد ثم كليم للطالب السيد محمد العطار أمين اتحاد الطلاب فكلّمه للأستاذ
الدكتور عميد الكلية ، وبعد ذلك أخذ الشعراء في إنشاد قصائدهم الغراء .

والشعراء الضيوف الذين سعد بهم المهرجان هم :

١ — الأستاذ اللواء محمد حلمي الزيات — جميعه الأدباء بدمهور .

- ٢ — الأستاذ سعيد فايد سكرتير جمعية الأدباء بدمهور .
- ٣ — الأستاذ صلاح غانم عضو جمعية الأدباء بدمهور .
- ٤ — الأستاذ أحمد درويش مدرس لغة عربية بالتربية والتعليم .
- ٥ — الأستاذ عطيه جمعه هارون المفتش بالأزهر بالبحيرة .

أما شعراء الكلية فهم :

- ١ — الدكتور الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت المدرس بقسم البلاغة والنقد ، ورائد اللجنة الفنية .
- ٢ — الأستاذ ربيع محمد صادومه المدرس المساعد بقسم أصول اللغة .
- ٣ — الأستاذ أبو الفتوح الفمري المدرس المساعد بقسم اللغويات .
- ٤ — الطالب / علي أحمد الشيخ كلية اللغة العربية — الصف الثالث .
- ٥ — الطالب / خالد ناصف كلية اللغة العربية — الصف الأول .
- ٦ — الطالب / محمود عبد الحميد كلية اللغة العربية — الصف الأول .
- ٧ — الطالب / محمود السيد داود كلية الشريعة والقانون .

هذا وقد ختم الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، وقد أبدى الحاضرون إعجابهم بالمهرجان وما قيل فيه من قصائد ، وأعلنوا رغبتهم في مداومته على إقامة مهرجانات الشعر في مختلف المناسبات ليسعد الجميع بسماع ألحان العربية الخالدة ، ويتذوقوا جمالها وبلاغتها .

وسنعرض فيما يلي بعض الكلمات والقصائد التي قيلت في هذا المهرجان .

مقدم للمهرجان

د . الشحات محمد عبد الرحمن

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية ورائد الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة الضيوف ، الإخوة الزملاء ، الأدباء الشعراء ، أبنائي وبناتي
الأعزاء ، لا أستطيع أن أعبر عن سعادتي في هذا اليوم المبارك من أيام جامعة
الأزهر ومن أيام كلية اللغة العربية بدمهور . التي عشت فيها منذ كانت
فكرة ، وعملت لها منذ كانت نبتة ، ومازلت أعمل لها وسأعمل لها بإذن
الله ، حتى تصل إلى عايتها . وحتى تؤدي رسالتها ، في هذا الإقليم ، وفي كل
أقاليم مصرنا الحبيبة بإذن الله .

تنبع سعادتي في هذا الملتقى الشعري المبارك من أنني أشهد إخوة كراما ،
هم شعراء المدح النبوي ، هم شعراء الحضرة المحمدية ، جاءوا إلينا
ليشاركونا حفلنا هذا الطيب العظيم ، حبا في رسول الله ﷺ ، وابتغاء
وجه الله ، ادون نتظار لأجر من غير الخالق سبحانه وتعالى ، وحق علينا
جميعا أن نحتفل بذكر ميلاد رسول الله ﷺ ، وحق أكبر وأعظم على
على الشعراء أن يلهمجوا بهذه الذكرى ، وأن يتحدثوا بشمائل المصطفى ﷺ
فقد كان يحبهم ويرعاهم ، ويجعل منهم جنودا في سبيل نشر دعوته الإنسانية
ورسالته الربانية ، يحدثنا التاريخ أن رسول الله ﷺ قد عرف للشعراء
قدرهم ، فلم يهمل هذا السلاح الماضي ، ولم يهمل هذه الدعاية التي يمكن
أن تخدم الاسلام ، وأن تخدم المسلمين في كل زمان وفي كل مكان .

كان رسول الله ﷺ — على عكس ما يقول البعض — يحب الشعر
ويحب الاستماع إليه . فقد جاء في الحديث الصحيح عن عمرو بن الشريد
عن أبيه قال : ردفت رسول الله ﷺ ، فقال : هل عندك من شعر أمية
ابن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم ، فقال ﷺ : هنيه ، فأنشدته بيتا ، فقال :

هيه، فأنشدته بيتاً آخر فقال : هيه، فما زلت أنشده حتى أنشدته مائة بيت..
فقال ﷺ : كاد أمية أن يسلم .

إنني أسوق هذه القصة ليتبين منها كيف كان رسول الله ﷺ يحب الشعر ويستمع إليه ، ولو كان هذا الشعر من غير مسلم ، فكيف به إذا كان من مسلم ، ويحدثنا كتاب السيرة أنه ﷺ كان ينصب للشعر منبره في مسجده الشريف ، ويستمع من حسان الذي يدافع وينافح عن الدعوة الإسلامية وعن رسول الله ﷺ ، والذي استطاع أن يهجو شعراء الكفار الذين تعرضوا لرسول الله ﷺ ، ولقد قال له النبي ﷺ : كيف تهجوهم وأنا منهم ، فقال له : سأسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين ، قدرة لا يستطيعها إلا الشعراء ولا يصل إليها إلا الأدباء .

ومن ثم شجع رسول الله ﷺ حسان بن ثابت على قول الشعر و كان يستمع لإنشاده، كما أستمع إلى شعراء آخرين كلهم مقاول ولهم، قدم صدق في الدعوة الإسلامية وفي الدفاع عن الإسلام ، فذكر منهم عبد الله بن رواحه ، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير الذي مدح رسول الله ﷺ وتحدث في مدحه عن سعاد وعن الراح وعن أمور كثيرة من التشبيحات والإستعارات وسمعها رسول الله ﷺ واستمع إليها صحابته دون أن ينحكر عليه أحد لأنه في سبيل الحق وفي سبيل الخير وفي سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

أيها الإخوة أيها الأبناء :

لا يمكن لأحد أن يقول إن للإسلام موقفاً من الشعر إلا أن يكون ذلك الموقف موقف التأيد والحب والتوجيه والإرشاد ، كل ما يريد من الشعر أن يكون خيراً ، وأن يكون عفيفاً . وأن يكون ذا هدف صالح لإصلاح المجتمع وإصلاح الناس .

ومن هنا نفهم معنى قول رسول الله ﷺ لأن يمتلي جوف أحدكم قبحاً خير له من أن يمتلي شعراً ، يقصد الرسول الشعر الذي لا يلتزم بالأخلاق ، والذي لا يتبع الحق ، والذي لا يعمل للإصلاح ، مما نراه كثيراً في زماننا هذا من أولئك الذين لم يعرفوا للشعر قدره ، ولم يعرفوا له قيمته ، فوظفوه في غير ما يرضى الله وفي غير ما يصلح المجتمع .

إن الرسول ﷺ هو الذي قال : إن من الشعر لحكمة ، وهو الذي قال عن كلبة شاعر أصدق كلبة قاطها شاعر :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

كفى الشعراء هذه الشهادة وحق عليهم أن يلججوا بذكر رسول الله ﷺ وأن يعلموا أن آية الشعراء إنما قصدت أولئك الباغين اللاهين الذين لا يريدون للشعر وجه الحق ولا وجه الله ، حيث قال الله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .

ثم كان الاستثناء « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

فرحبا أيها الشعراء بكم في كلية اللغة العربية ، وباسم وباسم إخواني وباسم جامعتي وباسم هذه الكلية التي ترعى الشعر وتحب الشعر وتستشهد من الشعر ، وتستعمل بيان الله على إحياء الشعر ، وعلى توجيه الوجهة الصالحة التي تنفع العربية وتنفع الإسلام .

وشكراً لإتحاد كلية اللغة العربية عندما توجه إلى هذه الناحية، وشكراً
للجنة الفنية في هذا الإتحاد التي هيأت لنا هذا اللقاء العظيم الذي لا نشك
في أننا سنسعد فيه باستماعنا إلى الشعر الجيد في ذكرى رسول الله ﷺ ،
وفي كل خير .

وكل عام أنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام

بلابل الروض فوق الدوح غنينا
وأسمى الدهر أنعاماً وتلحيناً
صوغى لنا من عبير الورد أغنية
وطعمها زهوراً أو رياحيناً
ثم اصنعى من غصون البان لي وترأ
أبشبع السمع . . فالدنيا توافينا
فما كلفت بذات الحال أو سكت
بين الفؤاد ظباء كالمحبيننا
حتى أقول لها هاتي لنا درأ
من عقد نحرك ذات الدل واهديننا
فأبحر الشعر لا تكفى لآلها
في مولد « المصطفى » خير النبيينا

* * *

إنا لنى ذكريات لا ينفي كلنى
ولا قريضك يا حسان يكفيننا
هذا الرسول الذى قد هز مولده
إيوان « كسرى » رقلب المستبدينا
« ربيع » وافيت دنياننا بمشقة
فهل السكون واهتزت روايينا

« ربيع ، وافيت دنيانا بطاعته
فاستقبل السكون خير الخلق » ياسينا »

* * *

هبت ملائكة الرحمن شاكراً
لله أنعمه . . خروا مهلبينا
فالله أرسله للناس قاطبة
هدياً ونوراً وتبصيراً وتبيناً
لولا ما سادت الدنيا ولا سعدت
ولا رأينا حدود الله تحميننا
ولا عرفنا صلاة كي تطهرنا
ولا زكاة . . مدى الدنيا تزكينا
ولا رأينا بيسوت الله عامرة
ولا حججنا له يقيماً مليننا
ولا قصدنا طوافاً حول كعبته
ولا وقفنا خشوعاً مستجيرين
ولم نهم لك يا ربى — وما عرفت
غلف القلوب يلقى أو مساكين

* * *

ذكراك يا « مصطفى » أحييت ضمائرنا
وأفدت في دمانا الحزم واللين
ما أنت إلا إمام الرسل جئت لنا
بشرعة الحق للإسلام تدعونا

يسراك فيها حسام النصر مشرعة
وفي اليمين كتاب الله يهديننا
تدعو إلى العدل في لين وفي خلق
تقضى على الظلم تشريعاً فيحييننا

* * *

بلغت بالزهد والإيثار منزلة
علوت قدراً — فما كالزهد يعطينا
فالمال يا د مصطفي ، أعمى بصائرنا
به غدونا عن الطاعات لاهينا
فكاد نعبده — والله يسره
كما تسخره للخير أيدينا

وبالتواضع حب العالمين الحكم
أضحي شعاراً وذكرأ في نواديننا
لكفه الجاه لم يترك لصاحبه
شيئاً سوى السكر — ما كالسكر يردينا
المال والجاه للإسعاد قد خافا
واليوم قد أصبحا شرأ يواتينا

* * *

المال يا قوم أتم تفتنون به
وسوف يفنى — وفعل الخير يبقينا
فسخروا المال للخيرات ينفعكم
فإن تولى — فإن الله فقينا

المال داووا به من عاش في عائل
كي ترحموه — فدين الحق يوصينا
وأطعموا كل مسكين وذى سغب
من غير من — إذا كنتم مواسينا
وأقرضوا الله قرضاً كله حسناً
فالخزى والويل عقي المرابين
لا تكنزوا المال يوماً فهو معصية
يوم القيامة هذا المال يصلينا

* * *

يا رب إنا لنترجو منك مغفرة
بحق خير الودى — خير النبين
ترجوك عوناً وإمداداً لآمتنا
فالعون منك — ومنك العفو يأتينا

شعر اللواء

محمد حلى الزيات

مَوْلِدُ النُّورِ وَحَالِ الْأَمَّةِ

للدكتور الشحات محمد عبد الرحمن

المدرس بالكلية

يا مالكا بجلال الحسن وجداني
وأمرأ بالهدى سري وإعلاني
رفقاً بقلب لبيب الشوق أحرقه
لم ينجحه في الهوى قاص ولا دان
وأمّن عليه بوصل فيه بهجته
ليستعيد حياة ذات أفنان
ففي رحابك تحيا النفس طاهرة
وفي جوارك من جنات رضوان
وأنت نور يضيء الكون أجمعه
ورحمة نال منها كل إنسان
صلى عليك بديع الخلق ماسطعت
شمس الخليقة أو مر الجديدان

• • •

ياسيد الخلق في ذكراك يجمعنا
محراب علم وأخلاق وإيمان
لنقطف الزهر من بستان سيرتكم
ونجني الهدى من آيات قرآن
أفوار ذكراك ياخير الورى سطعت
فتمت بسماها كل وستان

وعطرت بشدها الخلق قاطبة فطار يرفل في روح وريحان
وشرقتنا بيوم كان مظلمه

على الوري فجر إصلاح وعمران
طلعت بدرأ وقد تمت محاسنه وكنت باليتم فرداً ماله ثان
تعهدتك يد المولى بتربية لتنفذ الكون من جهل وطغيان
وتبعث الناس من موت أحاط بهم
بنور وجهك مصحوباً ببرهان

لما أتاك أمين الوحي مبتدأ
اقرأ كتاب الهدى من وحي رحمان
نهضت للدعوة الكبرى لتنشرها
بين الوري غير هباب ولا وان

• • •

هاج الصناديد لما قت تنذرهم وقاوموك بسيل بل بطوفان
وساوموك على ترك البلاغ بما يغري الخلائق من مال وتيجان
فقلت ان أترك التبليغ لو وضعوا

شمساً بكفى وبدرأ كفى الثاني
فألجؤك لشعب لا حياة به وحاصروك بأسياف وفيران
فكنت كالطود لا تلويه عاتية ولا يلين لغارات وعدوان
وجاءك النصر في أولى مراحلها برحلة جبت فيها كل أكوان
مررت ليلاً إلى الأقصى مجاوزه

إلى السموات محفوفاً برضوان
وهياً الله للإسلام موطنه مدينة النور تسمو كل أوطان

تمسكن الدين في أرجائها ومصرى يزهو ويبلغ ماحل الجديدان
ورفرف النصر وازدانت هواكبه
وزلزل الخزي من هاموا بأوثان

• • •

يا خالد الذكر فشكوا حال أمتنا
فوصفها معجز قولى وتبيانى
أرئو إليها بطرف العين فى أسف
فتعصر القلب آلامى وأحزاني
قد مزقتها سهام الخلف فى دول
وكل قوم جروا فى ذيل شيطان
تاهت معالمهم هانت عزائمهم خارت معاقلم باءوا بخسران
واستأسدوا فى خلاف طاف بينهم
واستنوقوا فى جهاد ضد عدون

ضاعت فلسطين والأبصار شاخصة
وقد تلتها ضياعاً أرض جولان
ودبت النار ترعى فى صفوفهم فجاء دور العدا فى سلب لبنان
لم تأتهم طعنات الخصم نافذة ويستخف بهم أشتات بلدان
حتى رأوا أن ريح القوم قد ذهبت
وأظهروا عجزهم فى كل ميدان
فكان ما كان من هول يشيب له

شعر الوليد ... وحاميا هو الجاني

• • •

رحمك ياربنا في كل فآزلة
إنا ضللنا فأدر كفا بغفران
والطف بنا واهدنا واكشف لآمتنا
درب الفلاح ووفقنا لإحسان
واجعل حبيبك يوم الدين شافعنا
محمد يرتجيه كل إنسان
صلى عليك إله الكون ما سطعت
شمس الخليفة أومر الجديدان

* * *

ابن الإنسان

شعر : سعيد قايد

سكرتير جمعية الأدباء بدمههور

الكون ظلام يستشري ..

والنور مراب لا يدرك

والناس جبال تتحرك

والعقل صحائف مطموسة

والرائد ضال أو مشرك

أو متشكك ..

يهدي لغوا ..

لا يثمر .. لا يغني عقلا .. ! !

يبني صنما

من طوب .. أو حجر صامت ..

ويردد : ياربى .. ربى ..

أو يبني صنما من عجوه ..

يا الأبله .. ! !

ويردد : ياربى .. ربى ..

فإذا ما جاع خلال الليل ..

قام فأكله .. ؟ !

أمر مضحك يا اللجهله .. ! !

البنت وضيفة بسات
 لا تدرى أبيض أو أسود . .
 لكن الجاهل يؤئدها . .
 يخشى عاراً . . .
 والعار يعيش في جنبيه . .
 والفسق مدود في أذنيه
 حيوان أعجم في ساقيه . .
 الخمر شراب لا يروى
 والخبز دماء قد نزفت من كل أجير . .
 فالقرش بعشرة أمثاله . .
 والمال بحافظة السادة . .
 والسادة تجار شرمون . .
 لا يستمعون . .
 أفات البائس والمحزون . .

* * *

والقوم دواماً يشتجرون
 أو يقتتلون . .
 من أجل خصال همجية . .
 من أجل امرأة بدوية
 أو غجرية . . .
 من أجل كلام قد حرف
 من أجل مقالة متطرف
 أو متطرف
 الحرب تدمدم وتزجر . .
 وتشير النقع السام على كل الأنحاء

ويكون غناء ..
وتكون دماء
ويكون فناء
من غير غناء ..
فعل الدهماء ... !!

الشمس ضباب
والقمر مراب
لكن السكون له رب
الرحمة فيه قد وسعت كل الأرجاء
يخفون بالناس ولا يرضى لهم الإذلال ..
لا يرضى أن يحيا قوم مثل القطعان ..
الأكبر يأكل أصغرهم من خير حياء
فأراد وأنجز مادون
في لوح مشيخته المحفوظ ..
وإذا « أمنة » قد وضعت
ابن الإفسان ..
لا يقرأ لا يكتب لكن ..
قد أوتى نفحات الرحمن
قد جاء بمعجزة القرآن ..
وإذا بالدنيا قد لبست
ثوبا آخر ..
ثوبا صنعته يد الخالق ..
ثوبا لا يفري بالإفسان ... !!

بين العلم والعمل والخلق في طرقتي

للشاعر الأستاذ / ربيع محمد مصطفى صادق

المدرس المساعد بكلية اللغة العربية بدمهور

يا عالم الإنس أذهمت الحجا فينا
وأرتاعت العين مما حل يشجينا
حققت كل خيال عز مطلبه
حيناً من الدهر فاخضلت أمانينا
وازيقت جيد هذا الدهر وأنتعشت
أخلاقه فروت أحشاء صادينا
أبدعت هلاً يحرك كل جامدة
وينطق الصم والخرسان تلحينا
فأعجب الغر والمغرور واضطربت
أفكاره وغدت أخلاقه دوناً
لكفه لدى القرآن مرجعه
مسبب والذي أمضاه بارينا
إذا الخوارق في أسفارنا كتمت
من عهد أحمد قتلى في أراضينا
فأين كان أولو الأفهام في زمن
لما أناخ بنا الإسلام يقرنا
من المنابر بث العلم فانبعثت
من الرغام عقول الآدمينا

وظل كالغيث مدراراً قوجه
بلاغة الوحي من خير النبين

ليت العلوم التي صيغت معالمها
تجلى الظفون وتمحو عن آقينا
اسكنها إن بدت بيضاء ناصعة
ففي يديها دمار سوف يردينا
تلك الحديثة إن أجدت بناحية
ففي نواح ستورى نازها فينا
والمالكون لها لا دين يرشدهم
ولا عقولا تعي للسكون تأمينا
فارتدت العين بعد الأمن بوقظها
حق الذين بنوا للعلم مسكونا

يا هيرشيا انطقى واروى مسامعنا
من ذا علاك ؟ وألقى فوقك الهونا ؟
يا قدس من حول المحراب مزدهيا
قطراً ؟ يحيل دم الولدان غسلينا ؟
بالسفك والفتك صاغ العلم تجربة
يحفى بها مهجاً يروى بها طينا

يا عالم الإانس سوف تظل مضطرباً
مادام دين الهوى للعلم قانونا
فقوسنا بيد النترين مصرعها
ليت النفوس التي بادت تواسينا
مسنخر ودماء الأمنين قرى
ومصلت وبغاة السوء لاهونا

لهم مناهج سود لا ترى أملا
إلا الشرور فتكسوها الأفانينا
فالحرب باردة حتى يهيجها
كتائب البغي من أحقاد قارونا
وكلموا عقدوا للسلم عقدهم
اخلولج العقد وانقضوا ثعابيننا
هل الأفاعي لهد الخير موفيه ؟
أو تعرف السلم والإصلاح واللين ؟
هل تستريح لغير الغدر آوثة ؟
أم هل تنام عن استقطابها حيناً ؟
لها بكل مغاني الأرض أضحية
بكرأ وما سلبت منها معانينا
هذي فلسطين إلمست مرج عابثها
محا أسمها وعدا يطوى أراضينا
بالعروبة ذلت بعد عزتها
شما كانت لها الجوزاء عرينها

يا عالم الإنس ما للإنس بارقة
لاحت لنابل صدى للموت ينينا
متى وأين وفكر المالكين غدا
يساره فاحما ويمينه جورنا
تسرى مذاهبه هوناً مروضة
حتى تصادف في الساحات مافونا
يسعى بها ولها يبدى زخارفها
وغاب عن حلمه ما ظل مكثونا

مكر وغدر وشر لا قرار له
في ذرة شحنت سما وسجينا
شؤبها صاعق وضوؤها لهب
يشع في ساحة الثقلين مشحونا
أنى النجاة وأقطاب القوى شيع
وأولياء النهى ضلوا الشياطينا
يحقق العدل بالقرآن حمله
وينشر السلم بالإسلام واليغا
سلوا القرون عن الأجداد تخبركم
بنوا وشادوا فكانوا خير بانينا
وأزهقوا الظلم والأيام شاهدة
يوما يبدى ويوما عند خطينا
لولا العقوق لكان العلم متسكئاً
للدين والدنيا لا للمظلمينا
ليس الأمان أمان الإنس ما حكمت
بل الأمان إذا ما حكموا الدينا

دنيا

شعر : صلاح محمد عبد القادر غانم
المحاسب بالجهاز المركزي للحسابات

في رحلة الأفراح والآفات	لاح البشير على طريق حياتي
كان السبيل إلى المحبة قد مضى	والشر زاد بكوكب الأموات
والباحثون عن الحقيقة قلة	والغافلون إلى الهدى بفلاة
والثابتون على الهداية أزدقوا	من هول أحزان المصير الآتي
«يامصطفى» جاء الخريف وبعثنا	في حانة الأقدار والملمة
تاه السبيل إلى الجنان ولم نزل	نرتاح في تيه إلى الطعنات
والحج أمسى يارسول تجمارة	في شرعة الأطماع والعلات
والصوم في شهر الكرامة لم يعد	يحمي من الأوزار والزلات
والقوم ما عاد الضمير يؤمهم	تاه السفين ولم أجده مرساتي
والمسلمون تصارعوا مثل الآلي	عاد الجهول لشرعة الفلوات
لا يهرب الأعداء منا جمعنا	حب الحياة وسيلة لموات
فالقوم ما عاد الرجيم يضلهم	كل هداة الوهم للظلمات
إبليس عاد عن الغواية واهتدى	من هول مالاتي من العثرات
«يامصطفى» قدر الشفاعة قد نما	والقوم في هو عن الصلوات
والذين إن دارت عليه دوائر	فالموت أبقي للشقاء العاتي
عادت ثمود إلى الجدال وعادها	وهم رماه الجهل في المأساة
عد بالأمانة يا جيب ترفها	كي نرتوي من ربا بعضات

فالأرض ضاقت ، والقلوب تمزقت

والعين في شوق إلى العبرات

في ذكرك الحب الطهور فهاته

أحوبه الأوزار عن أناتي

أدعو إلهي أن يجيب ضراعاتي

والدمع في قلبي وفي كلماتي

أن يهتدي قومي ويقوى جمعهم

بالحب والإيمان والبركات

فالدن في قلب البرية درة

ماساء درأ ظلمة الصدقات

يكنور

أحمد درويش

أستاذ اللغة العربية

يا نور ماذا قد يقول لسانى وضياك فتان السنن ربانى
يا نور ياسر الوجود وروحه والمسكن الأسمى عن العرفان
يا نور يامن قد اهدى إشرافه ركب الحياة وهو كالأزمان
يا نور إنى فى حماك لعاجز

عن وصف سر جلالك الروحانى
أنا قد عجزت وليس عيباً أن يرى
عجزى أمام مجسم نورانى
وأنا الضعيف فكل أمرى أفى
من طينة فى صورة الإنسان
ومكانى الأرض التى أحيا بها
ومكانك الأسمى رفيع الشأن
قل لى وكيف ؟ وكيف أرقى للعلا

وأطوف حول منابع الرحمن
هيات أن أرقى لمنبع نوره شتان بين مكانه ومكانى

يا نور والدنيا ظلام حاللك والشرك يحدهو دجوة البهتان
صحراء تضرب فى ضرير الليل لاتدرى مدى انهاء الخيران
ضلت سفينة لها بليحل آثم ياشوقها للنور والشيطان
وبريئة لماتزل بين الثرى منهوله مما جرى وتعالى

ما ذنبها ؟ وهى التى لما تنزل
راحت ضحية من تبدى قلبه
والحرب لا تدرى الهوادة ساعة
وشريعة خرقاء تحكم بينهم
الملك فيها للقوى قبيلة
كشريعة الغاباب تأكل بعضها
ومهازل تترى إزاء مهازل
وضراوة البغى العنيد ، وظلمة
والسكون أمسى فى حنين دائم
ويطل نورك يا محمد ساطعاً
فتبدل الأزمان والدنيا معاً
ونرى لهذا السكون وجهاً آخر

طفلية الأحلام والتبيان
أقصى من الجلود والصوان
والعكاس طافحة بكل مكان
لا عدل فيها قائم الميزان
أما الضعيف فمالك الأذعان
والذئب فيها سيد الخرفان
ومتاهة كمتاهة العميان
وتخبط الشيطان فى الشيطان
تبدو عليه دلائل اللهفان
يرتجى فى عنف له الثقلان
ويدك صرح البغى والطغيان
يامنقذ الدنيا وآمن العانى

يا نور لما قد سطعت تساءلوا
ما هذه الأضواء تدفق ثرة
ما هذه الأعراس تزخر بهجة
ماذا جرى بين السماء فزيت
ما سحر مكة ؟ ما بديع رداؤها
ما سكرة الربوات ما نشواتها
ما عرش كسرى ؟ ما تزلزل ركنه
ما ماء ساوة ؟ ما مضوب معينها
ما نار فارس ؟ ما خمود أوارها

آه وفيهم دهشة الخيران
فياضه تمحو دجى البهتان
مياسة فى ثوبها المزدان
واهتز كون الله كالنشوان
ما تيهها فى سائر البلدان
ما رقصه البطحاء فى هيمان
وقوامه وتصدع الايوان
ماذا جرى ياربة الفيضان
ماذا دها مشبوبة النيران

يا قوم كفوا عن سؤالكم كفى
النور نور محمد وضياؤه
وهديـة الله العلى لكونه
ما قد جنيتم فى دقا الهذيان
ومنارة الرحمن فى الأزمان
ولنعـم ما أهـدت يد الرحمن

يا نور إني عن مديحك عاجز
كل الذى أملاه فيض مشاعري
وقصيدتي ماذا تكون قصيدتي
فلو أن شعري من جمان ناصع
أو من نجوم زاهرات تزدهى
أو أننى كنت الفصاحة ذروة
ما كان شعري بالمؤدى جانباً
أنا من أنا حتى أحل مكانى
لا شىء بين ضيائك الفتان
ما شأنها فى روضك الفينان
أو من يتم الدر والعقيان
سحرية الأضواء واللمعان
والقمة العليا فى التبيان
يا بن العملا ياملهم الفنان

بك يا رسول الله يا نور الورى
أنقذتهم من بين أنياب الدجى
ورفعتهم للقمة العليا فى أمن
بين الحنو المستفيض رحيمة
حيث الهدى . . أشهى هدى
سعد الخلائق من بنى الإنسان
وبرائن الإذلال والأحزان
ولسعاد وأى أمان
نعمك من حان وأرحم حان
أحلى هدى فى روضة القرآن

يا نور ماذا والحنين بأضلعى
ما أعظم الذكرى وإذ تهتاجنى
ياليتنى قد كنت ظيـراً ساجداً
لأطوف حولك يا رسول مر تلا
وأعب من نور سماوى السنا
فار تحرق مهجتي وكيانى
نحتاج جمر الشوق فى وجهانى
فى الجو يدفعنى هواك الخانى
بامم الأنام ملاحم الشكران
وأغيب فى دنيا من الرضوان

وأعيش في الوردى من حلمي	ومن رؤيا كأبدع ما رأيت عينان
وأرى هنالك يا رسول تضرعي	وقوسلى روحين يستبقان
وأقول ملهوف أذاك مؤلها	من مصر جاء وهذه الجاني
وقصيدتي شوق ولطفة مغرم	تنبيك عن حي وعن تحناني
وأظلم حولك ما حبيت مردداً	حلو النشيد بروضك الفينان
رباه هذى منية من هاشق	فأجب رجاء العاشق الولهان

تَعْنِيَتُكَ وَكَرَمُكَ

قبضات صادرة من القلب ، ترف أرق التهادي إلى إستاذنا الدكتور
عبد الله ربيع محمود بمناسبة قبلة درجة الأستاذية ...

للشاعر الدكتور / الشحات محمد عبد الرحمن

العلم نور من الرحمن قد وافي يحيل غيب هذا الكون شفافا
ويمتدح المهر تاجا لا يعادله

تاج الملوك حوى ما سا وأصدقا
فإن كسيت برود العلم سابعة فسكن على ذروة الأخلاق وقافا
فالعلم بحر على الأخلاق نسبحه وخارق الفلك يلقى اليم جرافا

يا عاشق العلم والأخلاق ديدنه وقد أمدله الرحمن الطافا
يا زهرة في د دملو « فاح عاطرها

فهز من طيها الأحياء أعطافا
اليوم يجمعنا عرفان فضلكم من لم يكرم حماة العلم قد حافا
لما سموت لأستاذية وفدوا مباركين للحن الفرح عزافا
وما شرفتم بها لكن بكم شرفت

هذا هو الحق إن أولوك إنصافا
فأنت بحر وقد عمت فضائله

وزدت في الفضل بالأخلاق أضعافا
أعليت كلية الفصحى مرفرة بحمي دمنهور تؤتي الخير أصنافا
(١٤ - مجلة دمنهور ع ٢)

وهمت في حبها حتى غدت حرما
يسمى إليه حجيج العلم ألفافا
بوركت يا بن ربيع إن جهدكم قد أذهل الناس أغرابا وآلافا
قد غصت في درر الأصوات تبرزها
وزحت عن طهجات العرب أسدافا
وقت في كعبة الأسلاف مجتهدا
تولى بيان أبي عثمان أكنافا
فملت مانلت في نفس مكرمة لم تطالبوه مجاملة وإلخافا
فسر بنا نحو خير الضاد منطلقا ودم بمحراب بيت العلم عكافا
أعطاك ربك توفيقا ومقدرة حتى تظل لسر العلم كشافا

تَهْنِئَةٌ وَبُشْرَى

إلى الأستاذ الدكتور / عبد الله ربيع محمود

بمناسبة نيّله عن جدارة درجة الأستاذية

في أصول اللغة

للشاعر الأستاذ / ربيع محمد مصطفى صادومة

المدرس المساعد بكلية اللغة العربية

قسم أصول اللغة

١ - أبنت الضاد ياخير اللسان

تدلى واسمعى عذب البيان

٢ - مصفى زانه البشرى لقد كريم الأصل بمدوح المعاني

٣ - فعبد الله محمود ربيع فتاك جنى مفاهيم الجنان

٤ - وقال مقاعد الأستاذ أهلا

أشم الأنف معتز الجنان

٥ - مما بك في البيان فصار ندأ وصاغ ملاح البكر الحصان

٦ - سلى اللهجات والأصوات عنه

وإن شعار مركبه التفاني

٧ - فإن مداده بحر محيط وآلات اليراعة والبنان

٨ - يمد الباحثين بكل ضوء إذا خفت شموع النيران

٩ - ويضئض بالملك ويفتديه

ويسالك بالمجد ربا الأمان

- ١٠ — ويجزم حين لا يجدى سخاء
ويسخو حين تشقق اليدان
- ١١ — ويأبى كلما زاعت وشتت
عن الفصحى صعايك الزمان
- ١٢ — أحبك والأدلة ناطقات إذا عجزت سبيل الترجمان
- ١٣ — فأنت بمثله في خير حصن
وبالدخلاء في جب الهوان
- ١٤ — ألا جوزيت يا أستاذ عنها وظلمت ترد عنها كل جاني
- ١٥ — فلا ترض الذرا إلا محلا
فإن السفح بيت الأفعوان

في موكب الهادي البشير

للشاعر : عطية جمعه هارون

المفتش بالأزهر

نور .. ولكن أي نور ؟ وهدي .. على مر العصور
وملائك الرحمن .. بالبشرى .. تطوف .. وبالعهود
والكون .. كل الكون .. يهتف .. يا محمد .. في مرور
صلوات ربي .. حائثات في العشى .. وفي البكور
ترنيمة الحُب .. الكبير .. ترف .. في السباح الطهور

في الساحة .. الخضراء .. يغمرنى .. الضياء من البشير
فأهيم مشدود .. الرؤى .. وأطوف .. مشبوب الشعور
يا رحمة ... للعالمين .. ويا شفاء للصعود
ذكراك .. عطر .. ضمح الأرجاء .. علوى العبير
وسنا .. يمزق عاتي الديجور .. في ليل الشرور
يا كوكبا .. غمر الوجود .. وشع .. في الكون الضير
يا منهل .. أروى العطاش .. وقاض بالعذب النير
يا واحة خضراء .. من أجل .. المعذب .. في الهجر
يا جنة فيحاء .. للمقهور .. في حر السعير
يا خصب عالمنا .. الجديد .. يفيض .. بالخير .. الوفير
الكون .. كل الكون .. يهتف يا محمد .. في مرور

صلوات ربي .. حائثات .. في العشي .. وفي البكور
ترفيحة الحب .. الكبير .. ترف .. في الساح الظهور

حررت .. دنيا الناس .. من رق .. الجهالة .. والغرور
وكسرت .. قيد الذل .. يا بشرام .. للعاني الأسير
قالكل .. للديدان .. يعضو .. في الخفاء وفي الظهور
والسكل في المحراب .. يخشع .. والأجير .. مع الأمير
ومشى .. على درب .. من الحب .. الغنى مع الفقير
دين يقام .. وأمة الإسلام .. في زمن قصير
بالوحي .. بالقرآن .. بالهدى .. المغير .. المستفير
بالسيف .. في ساح الجهاد .. يرد عادية .. المغير
بكتائب الرحمن .. يستبق .. الكبير .. مع الصغير
وهديرها .. الصوت المدمدم .. في الخواضر .. والكفور
الله أكبر .. يا خيول الله .. سيرى .. ثم سيرى
مرفوعة .. الرايات .. والهلمات .. في الزحف الخطير
دوسى .. على ما شيد .. الطغيان .. من .. وزور
دوسى .. على الأكذوبة .. الكبرى .. وهينة .. الفجور
لتخر .. صرعى بغيا .. وتذوب .. في المد الكبير
والكون .. كل الكون .. يهتف .. يا محمد .. في مرور
صلوات ربي .. حائثات .. في العشي .. وفي البكور
ترفيحة الحب .. الكبير .. ترف .. في الساح .. الظهور

الله أكبر .. جرمها الرنان .. فى سمع .. العصور
أحييت .. موات الأرض .. فأخضرت .. مع الأمل .. النضير
وتحرك .. الموتى .. وقد هبوا .. إلى صوت .. النذير
هن بين .. أقبية الكهوف .. وتحت .. أطباق القبور
وتقهقر .. الشيطان يدعو .. بالهلاك .. وبالشبور
وتهاوت .. التيجان .. والأوقان .. من صوت النفير
والأرض .. قد غسلت من الأدناس .. بالنور الطهور
فالكون طهر .. والمساجد .. والمآذن .. فى حبور
والخاشعون .. صلاتهم .. تسبيحة الكون الكبير

يا أمتى .. سودى بآيات الكتاب .. ولا تحورى
وخذى من الإسلام حصنك .. فى الرواح .. وفى البكور
سيرى .. على منهاجه .. فالخير .. فى هذا السير
والكون كل الكون .. يهتف .. يا محمد .. فى سرور
صلوات ربى .. حائلات .. فى العشى .. وفى البكور
ترقيمة الحب .. الكبير .. ترف .. فى الساح الطهور

جولة في رياض الكلية

إعداد الدكتور الشحات محمد عبد الرحمن

أيها القارئ الكريم :

من الواجب علينا أن ندعوك لجولة في ربوع الكلية ورياضها ،
لنتعرف على كليتنا الفتية التي تصدر هذه المجلة الغراء ، وقطلمع على بعض
النشاطات التي تجري في رحابها ، وقدور بين أروقها ، وتشرق أشعتها على
ربوع إقليم البحيرة وماجاوره من أقاليم مصرنا الحبيبة .

لقد برزت هذه الكلية إلى الوجود بعد جهود مضيئة استمرت عاما كاملا
عمل فيه الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود ، عميد الكلية ، ليلا ونهارا
على أن تولد هذه الكلية قوية شابة ، مستمدا العون من الله عز وجل ،
ومستندا إلى الجمهور العظيم الذي بذلوا المستولون في محافظة البحيرة ، وعلى
رأهم السيد الوزير المحافظ محمد لبيب زمرم ، ومدفوعا بالدعم الكبير من
رئاسة جامعة الأزهر العتيدة .

وفي أوائل العام الجامعي ١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ - ١٩٧٢ - ١٩٨٣ م ،
استقبلت الكلية طلاب السنة الأولى ، وسط حفاوة بالغة ، وفرحة كبرى
علت وجوه قادة الجامعة ، وقيادات المحافظة ، ومواطني هذا الإقليم
العزیز .

والآن وبعد مرور ثلاث سنوات على بدء الدراسة بالكلية ، نقف
لنرصد ماتم من إنجازات ، ولنطالعك على ما قطعتة الكلية في طريق النجاح
ودرب الفلاح .

أولاً — الطلاب :

وصل عدد طلاب الكلية في هذا العام الجامعي ٨٤—١٩٩٥ قريبا من خمسمائة وألف طالب موزعين على السنوات الأولى والثانية والثالثة .

وبما هو جدير بالذكر أن طلاب الكلية يغدون إليها من عدة محافظات ، هي : البحيرة والاسكندرية ، ومطروح ، وكفر الشيخ ، والغربية وهذه المحافظات عامرة بالمعاهد الأزهرية التي يؤمها آلاف الطلاب ، ومن ثم فإن المستقبل يبشر بزيادة أعداد الطلاب في هذه الكلية ، زيادة كبيرة وهذا يقتضي من المسؤولين المسارعة بإقامة المنشآت الخاصة بفرع الجامعة بدمهور ، على المساحة التي خصصتها المحافظة لهذا الفرع الزاهر ، وذلك لمواجهة الزيادات المطردة في أعداد الطلاب ، والتي ضاق بها المقر الحالي الذي أهدته المحافظة للجامعة .

ثانياً — هيئة التدريس :

كان من فضل الله على هذه الكلية أن أكرمها بتمنيبه جليلة من أعضاء هيئة التدريس عل الرغم من حداثتها .

ويرجع هذا إلى إخلاص الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية ، وتفانيه في العمل ، وحرصه على مصلحة الجميع دون محاباة أو بجمالة .

وفي الكلية خمسة أقسام علمية هي :

١ — قسم أصول اللغة :

ويرأسه الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية .

ويضم نخبة من المدرسين والمساعدين وهم :

١ — الأستاذ عبد الفتاح أبو الفتوح ، وهو الآن قد انتهى من طبع رسالة الدكتوراه ، وفي انتظار المناقشة وموضوعها : لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري . دراسة دلالية . (تمت المناقشة في ٤ - ٥ - ١٩٨٥)

٢ — الأستاذ أبو السعود الفخراي ، وقد منحته الكلية تفرغا لإعداد رسالة الدكتوراه . في بعثة داخلية .

٣ — الأستاذ محمد سعد أبو عبا .

٤ — الأستاذ ربيع محمد صادومة .

٢ — قسم البلاغة والنقد :

ويرأسه الأستاذ الدكتور صباح هبيد دراز الأستاذ المساعد بالكلية .

ويضم من السادة المدرسين :

١ — الدكتور محمد حسن حجازي .

٢ — الدكتور الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت .

ومن المدرسين المساعدین :

١ — الأستاذ حسن مخيمر ، وقد انتهى الآن من طبع رسالة الدكتوراه وفي انتظار المناقشة .

٢ — الأستاذ رفعت السوداني .

ومن المعيدین :

الأستاذ علي محمد المطار .

٢ — الأستاذ مصطفى عطية سلسبي .

٣ — الأستاذ محمد عبد العليم .

كلية وفاة :

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن قسم البلاغة والنقد أن نذكر أستاذا فاضلا ، وعالما عاملا ، وأخا صالحا ، هو المرحوم الدكتور محمد حميدة سرور ، الذي كان أول مدرس يعين في هذا القسم ، فحمل أعباءه ، وجاهدني في تكويته حق الجهاد ، وكان ينوي مداومة الجهد من أجل النهوض به ، لولا أن أخذته يد المقرن ، وجاءه القضاء المحتوم ، فأب إلى ربه راضيا مرضيا .

وقد ترك بوفاته جرحا عميقا في قلوب جميع العاملين بالكلية ، نظرا لما كان يتمتع به من وقار الصالحين ، وعلم المجتهدين ، وإخلاص المؤمنين .

فرحمة الله رحمة واسعة ، وأحله منازل الرضوان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

٣ — قسم اللغوات :

ويشرف على هذا القسم الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود عميد الكلية .

ويضم من السادة المدرسين :

١ — الدكتور متولى البغدادي .

٢ — الدكتور علي أحمد زايد .

ومن المدرسين المساعدين :

١ — الأستاذ إبراهيم العجمي .

٢ — الأستاذ أحمد خالد ، وقد منحته الكلية تفرغا لإعداد رسالة الدكتوراه ، في بعثة داخلية .

٣ — الأستاذ محمد عبد الحلیم سليمان .

٤ — الأستاذ أبو الفتوح الغمري .

ومن المعيدین :

١ — الأستاذ طه محمد حسن

٤ — قسم الأدب والنقد :

ويضم من السادة المدرسين :

١ — الدكتور محمد سيد أحمد داود .

٢ — الدكتور عبد المنعم يوسف .

٣ — الدكتور حلمي حسن أبو العز .

٤ — الدكتور محمد كريم .

ومن المدرسين المساعدين :

١ — الأستاذ أحمد خليل .

٢ — الأستاذ رزق داود . وقد منحته الكلية تفرغا لإعداد رسالة

الدكتوراه ، في بعثة داخلية .

ومن المعيدین :

١ — الأستاذ أبو المعالي محمد أبو المعاطي .

٢ — الأستاذ صابر إبراهيم عمر .

٥ - قسم التاريخ :

ويرأسه الأستاذ الدكتور أحمد البهى الحفناوى الأستاذ المساعد بالكلية .

ويضم من السادة المعيدين :

١ - الأستاذ فرج الأحول .

٢ - الأستاذ أنس هارون .

٣ - الأستاذ سعيد أبو بكر .

٤ - الأستاذ سعيد جاد .

ومما يستحق التنويه به أن هذه النخبة الفذة من أعضاء هيئة التدريس والمدرسين المساعدين والمعيدين ، يعملون بجد وإخلاص ويتعاونون للوصول بهذا الصرح إلى المكانة المرجوة له ، بأن يكون منارة للإسلام واحة القرآن الكريم فى شمال مصرنا الحبيبة ، تبت هديها وتمد شعاعها إلى أوطان الإسلام والمسلمين فى أرجاء المعمورة .

تعاون الكلية مع السكليات الأخرى :

ولم تبخل الكلية على السكليات التى تطلب منها المساعدة فى المجالات التعليمية ، فأمدت كلية الشريعة والقانون بدمهور ، بأعضاء هيئة التدريس الذين تحتاجهم للقيام بتدريس اللغة العربية المقررة على قسم الشريعة الإسلامية .

وأمدت كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالأسكندرية ،

وكلية التربية بجامعة المغربية ، وكلية اللغة العربية بالمنصورة بالأساتذة الذين ساهموا بجهود مشكورة في التدريس بها .

ويتولى الأستاذ الدكتور أحمد البهي الحفناوى الإشراف على قسم التاريخ بكلية اللغة العربية بالمنصورة .

وبهذا تبرهن الكلية على صدق تعاونها مع المكليات الأخرى في تغطية حاجتها من أعضاء هيئة التدريس .

ثالثا : الجهاز الإدارى :

تتمتع الكلية بوجود جهاز إدارى يحرص على تسيير الأعمال المنوطة به ، ويتقسم بالحيوية والنشاط ، ويتكون على النحو التالى :

١ — مدير إدارة الكلية :

الأستاذ سعد محمد باشا .

٢ — الشؤون الإدارية :

ويرأس هذا القسم الأستاذ محمد عبد الجليل .

٣ — الشؤون المالية :

ويرأس هذا القسم الأستاذ رمضان القزاز .

٤ — الشؤون التعاميمية :

ويرأس هذا القسم الأستاذ عبد الفتاح الشرنوبى .

ويوجد فى كل قسم من هذه الأقسام عدد من الإداريين الأكفاء الذين لا يدخرون وسعا فى خدمة الكلية والعاملين بها .

رابعاً : مكتبة الكلية :

على الرغم من حداثة الكلية إلا أنها تفخر بوجود مكتبة زاخرة بالكتب القيمة ، عامرة بما يلزم الطلاب والباحثين من مصادر ومراجع في مختلف نواحي المعرفة .

وقد بلغت جملة الكتب في هذه المكتبة : حوالى خمسة آلاف كتاب منها الكتب الإسلامية ، والكتب التاريخية ، والكتب الأدبية ، والكتب البلاغية والنقدية ، والكتب اللغوية ، والمعاجم على اختلاف مدارسها ، ومجلات مجمع اللغة العربية ، ومخاضر جلساته وقراراته ، ويقتصر القائمون على أمر الكلية كل فرصة ليزودوا مكتبتها بأحدث ما تخرجه المطابع ، وتظهره دور النشر .

ودور الأستاذ الدكتور حميد الكلية في هذا المجال أكبر من أن تترجم هذه الكلمات ، فأمله الكبير ، ومنهته العظيمة ، أن يرى مكتبة الكلية معلماً من معالم الثقافة في محافظة البحيرة ، ومركزاً للاشعاع العلمى في شمال مصرنا الحبيبة .

ولا ننسى دور الاستاذين الفاضلين ، الأستاذ حسن مخيمر ، والأستاذ محمد سعد أبو عبا المدرسين المساعدين بالكلية . حيث تطوعا لخدمة الباحثين والطلاب ، فقاما بإعداد المكتبة للقراءة ، والإعارة وأشرفا على تصنيفها وترتيبها ، فجزاهما الله خير الجزاء .

خامسا : اتحاد الطلاب ورعاية الشباب :

يتم في كل عام تكوين اتحاد للطلاب ومجلس للإشراف على النشاط في الكلية وذلك بالانتخاب الحر النزيه حيث يترك للطلاب الحرية الكاملة في اختيار من يمثلونهم في هذا الاتحاد .

وقد تم تشكيل الاتحاد هذا العام على النحو التالي :

١ - الرائد العام للشباب :

يقولى الأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود رئاسة مجلس النشاط واتحاد الطلاب .

٢ - اللجنة الثقافية :

ورائدها الدكتور عبد المنعم يوسف .

٣ - اللجنة الاجتماعية :

ورائدها الدكتور محمد سيد أحمد داود .

٤ - لجنة الجواله :

ورائدها الدكتور على أحمد زايد .

٥ - اللجنة الرياضية :

ورائدها الدكتور محمد متولى البغدادي .

٦ - لجنة الأمر :

ورائدها الدكتور محمد حسن حجازي .

٧ — اللجنة الفنية :

ورائدها الدكتور الشحات محمد عبد الرحمن .

ولسكل لجنة من هذه اللجان أمين وأمين مساعد من الطلاب وللاتحاد أمين عام منتخب من الطلاب وهو في هذا العام الطالب السيد محمد العطار الطالب بالسنة الثالثة .

٧ — مكتب رعاية الشباب :

وهو همزة الوصل بين مختلف اللجان وتقع عليه أعباء التنسيق للنشاطات ، وتدير الميزانية اللازمة لها ، وغير ذلك من الأعمال الكثيرة المنوطة به .

ويتولى رقابة هذا المكتب الأستاذ صابر جويده ، وهو معروف بجهته وتفانيه في العمل ، ونشاطه الدائب .

سادسا : فشاط الكلية :

ليس من السهل على ذاكرتنا أن تحصى لك كل النشاطات العديدة التي مارستها الكلية هذا العام .

فلقد برز فشاطها مشعا في كل مجال ، وفاض عطاؤها متدفقا في كل ناحية ، وحملت رسالة الأزهر الخالدة إلى ربوع محافظة البحيرة وما حولها .

ففي المجال الثقافي والفني :

تم افتتاح الموسم الثقافي بمحاضرة جليلة للأستاذ الدكتور عبد الله

ربيع محمود عميد السكليه وكان موضوعها : من نحن ؟ وما دورنا في عصر
التقنيه والعلوم ؟

وتوالى المحاضرات الثقافيه كل أسبوع ومنها :

- ١ — محاضرة للدكتور على زايد وموضوعها : اللغة والحضارة .
- ٢ — محاضرة الأستاذ الدكتور صباح عبيد دراز وموضوعها :
الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم .
- ٣ — محاضرة لفضيلة الأستاذ الشيخ كمال عون وموضوعها : الطلاق
في الإسلام .

وقد شرفت هذه المحاضرة بحضور الأستاذ الدكتور رشاد خليل عميد
كلية الشريعة والقانون .

- ٤ — محاضرة للأستاذ الدكتور إبراهيم الخولى وموضوعها : فكر
الدكتور محمد البهى

كما ألقى أساتذة السكليه بعض المحاضرات العامة في قاعة المركز الثقافى
بدمهور ، وقاعة مركز النيل للإعلام ، ومن ذلك محاضرة الدكتور
عبد المنعم يوسف فى قصر ثقافة دمنهور عن الغربة فى شعر شوقي .

وتوج الموسم الثقافى والفنى بالمرحان الشعرى الكبير الذى أقيم
بمناسبة المولد النبوى الشريف ، وقد حوت هذه المجلة بعض القصائد التى
قبلت فيه .

كما تم تشكيل فريق مسرحى ، ينتظر منه القيام بنشاط مسرحى بارز
فى القريب العاجل إن شاء الله .

وما أكثر الصحف الحائطية ، واللوحات الفنية التي كانت متبراً يعبر
عن الرأي الهادى والفكر المنير ، ويحمل نتائج الشباب إلى زملائهم .

وفي المجال الرياضى :

قامت الفرق الرياضية فى الكلية بالتدريب ، وإقامة المباريات ،
والانتظام فى دورى الجامعة ، وتحتاج الكلية إلى ملاعب خاصة بها ليتمكن
الطلاب من ممارسة نشاطهم بحرية قامة .

وفي المجال الكشفى :

قام فريق الجواله بالكلية بعمل معسكرات مختلفة ، وتدريب تدريبا
كافيا وكان من نتيجة ذلك أن حصل على المركز السابع فى الجامعة ، وفاز
بدرع الجامعة على الرغم من قلة الإمكانيات المتاحة نظرا لحداثة الكلية .

وفي المجال الاجتماعى :

ثم بحث حالات الطلاب ، وتوزيع المساعدات المادية ، التي تمنحها
الجامعة ، وتوزيع المكافآت المقررة لطلاب كلية اللغة العربية .

كما تم صرف القروض ، والدعم الخاص بالكتاب الجامعى ، وتوزيع
الكتب على بعض الطلاب المستحقين .

وقام الطلاب ببعض الرحلات ، ومنها رحلة إلى بور سعيد .

وفي مجال الأمر :

ثم تشكيل عدد من الأمر الطلابية التي كان لها نشاط بارز فى مجالات
متعددة .

وقد قامت أمرة الاعلام بعمل أسبوع داخل الكلية للدكتور

محمد البهي ابن البحيرة ، وعقدت الندوات لمناقشة فكره ، وأقيمت مسابقة وزعت فيها الجوائز على الفائزين .

كما قامت هذه الأسرة بعمل قافلة دينية إلى بلدة قبيرة ، ثم فيها عمل مسابقة في حفظ القرآن الكريم بين أبناء البلدة ، ووزعت جوائز على الفائزين ، كما أقيمت المواعظ الدينية ، وقد أشرف على هذه القافلة الدكتور محمد حسن حجازي والأستاذ علي العطار والأستاذ محمد عبد الحليم سليمان .

قافلة التوعية الإسلامية والخدمات الصحية :

بالتعاون البناء مع الإدارة العامة لرعاية الشباب والخدمات الاجتماعية بالجامعة قام فرع الجامعة بدمهور بتوجيه قافلة دينية طبية ، جابت قرى محافظة البحيرة ، وقدمت العلاج الجسمي والروحي للمواطنين ، وذلك في الفترة من ١١/٣/١٩٨٥ إلى ١٨/٣/١٩٧٥ .

ولقد قامت القافلة الطبية القادمة من كلية طب الأزهر بمسح طبي شامل لمعظم قرى المحافظة ، وأحسن الجميع بما قدمته من خدمات جليلة ورعاية خالصة للمواطنين .

وقامت القافلة الدينية المكونة من هيئة التدريس بكلية اللغة العربية ، وهيئة التدريس بكلية الشريعة والقانون ، بإلقاء المحاضرات الدينية ، وحل المشاكل الاجتماعية ، وإجراء المسابقات في حفظ القرآن الكريم في معظم قرى المحافظة ، ووزعت الجوائز والمكافآت على الفاجحين في هذه المسابقات وعرفت المواطنين بخدمات الأزهر الجليلة على المسلمين ، ودعوتهم إلى التسابق في حفظ كتاب الله الكريم وإلحاق أبنائهم بالأزهر الشريف وجامعته العتيقة .

واختتمت هذه القافلة الميمونة بحفل مشهود تم في يوم الاثنين ١٨/٣/١٩٨٥

وقد حضره السيد الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر والسيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن السكردى نائب رئيس الجامعة لشئون الفروع والسيد الوزير المحافظ محمد أبديب زمزم والسيد الأستاذ أبو زيد منصور المدير العام لرعاية الشباب بالجامعة وجمع غفير من قيادات المحافظة ، ورجال الأزهر والأوقاف والتعليم والصحة وغيرهم .

وقد وزعت فى هذا الحفل جوائز على أعضاء القافلة والمساهمين فى نشاطها وعدد من طلاب القرى الذين يحفظون القرآن الكريم .

وقد أبدى السيد المحافظ إعجابه بهذه القافلة ، وأثنى عليها ثناء بالغاً ، وطلب من السيد الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة أن يعمل على تزويد المحافظة بالقوافل باستمرار ، وتعهده سيادة بتقديم كافة المساعدات من المحافظة لإنجاح هذه القوافل .

وبما لا شك فيه أن هذه القافلة وغيرها من القوافل التى وجهتها جامعة الأزهر هى التطبيق العملى لرسالة الأزهر الخالدة فى نشر الإسلام والنهوض بالمسلمين .

يوم الطالب وختام النشاط :

لما كانت الجهود المبذولة من جميع العاملين بالكلية تهدف إلى تحقيق مصلحة الطلاب ، وتذليل طريق العلم أمامهم فقد أقامت الكلية فى ختام نشاطها يوم الطالب وكان ذلك فى يوم السبت ١٩٦٥/٤/٦ ، حيث التقى فيه الطلاب بأساتذتهم ، فكان مشهداً رائعاً صور احتضان الآباء للأبناء ، واحتفاء الأبناء بالآباء ، فى جو من الألفة والمحبة والود والصفاء .

وقد تحدث فى هذا اليوم الأساتذة والطلاب ، فى صراحة تامة وعبر كل عما يحول بخاطره ، وما يدور بخلداه .

وقام الطلاب بتكريم أساتذتهم ، وفاء وتقديرا لما بذلوه من جهود
في تعليمهم وتقويمهم .

كما قام الأساتذة بتكريم أبنائهم وقدموا للمتفوقين منهم في مجال
الدراسة والنشاط بعض الجوائز التي تحفزهم للعمل المتواصل ، والجد الدائب ،
ليحققوا آمالهم وآمال أمتهم فيهم .

وبعد : فقد وصلنا بك أخي القاريء إلى نهاية هذه الجولة التي تعرفت
فيها على كثير مما يدور في أروقة هذه الكلية الفتية .

وإذا كنا قد أطلعناك على كثير من أوجه النشاط في هذه الكلية ، إلا
أننا نعتبر أنفسنا مقصرين ، عن بلوغ الهدف الذي فنشده .

وعذرنا أننا في بداية الطريق ، وما بذلناه كان غاية جهدنا ، ولا نطمع
من ورائه إلا في رضا الله عز وجل ، ولا نرجو إلا دوام توفيقه وحسن
مثوبته .

وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه تنيب .

في رحاب كلية اللغة العربية بدمهور

إعداد

دكتور / عبد الفتاح أبو الفتوح إبراهيم

منذ أنشأت هذه الكلية الفتية في فرع جامعة الأزهر الشريف بالبحيرة وهي مستمرة في العطاء على درب العمل المتواصل استكمالاً للمسيرة وللجهود المبذولة في إتمام هذا الصرح الشامخ في شمال مصر .

ومن أهم الدعام التي يقام عليها هذا الصرح هيئة التدريس التي بها تبني النفوس وتهذب العقول لإخراج جيل مؤمن متميز في تحمل مسؤوليته كخريج لهذه الجامعة العريقة جامعة الأزهر .

ولكي نتبين مدى العطاء ، ونقف على إتمام هذا البناء ، والقرب من اكتمال هذا الصرح التعليمي متمثلاً في هيئة التدريس سنذكر الرسائل التي فوقشت في الأقسام المختلفة بالكلية بدرجتيها العالمية « الدكتوراه » والتخصص « الماجستير » ، وذلك حسب أسبقية المناقشة :

أولاً : رسائل العالمية « الدكتوراه » :

— ١ —

الأمم : دكتور / أحمد محمد السعيد قافع .

التخصص : مدرس بقسم اللغويات .

الموضوع : دراسة وتحقيق الجزء الخامس من شرح الشاعبي على ألفية ابن مالك .

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/٥/٩ .

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / إبراهيم حسن مشرفاً

٢ — الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرازق
البيسيوني
عضواً

٣ — الأستاذ الدكتور / محمد كامل جمعة
عضواً

درجة المنح : مرتبة الشرف الأولى .

— ٢ —

الاسم : دكتور / محمد حسن حجازي .

التخصص : مدرس بقسم البلاغة والنقد .

الموضوع : الصورة البيانية في شعر بشار بن برد .

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/٥/٣٠ .

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / علي البدرى مشرفاً

٢ — الأستاذ الدكتور / يوسف البيومي
عضواً

٣ — الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح لاشين
عضواً

درجة المنح : مرتبة الشرف الأولى .

— ٣ —

الاسم : دكتور / الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت .

التخصص : مدرس بقسم البلاغة والنقد .

الموضوع : البلاغة في تفسير أبي السعود .

تاريخ المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / علي البدرى / مشرفاً

٢ — الأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي / عضواً

٣ — الأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني / عضواً

درجة المنح : مرتبة الشرف الأولى .

الاسم : دكتور / عبد الفتاح أبو الفتوح إبراهيم .
التخصص : قسم أصول اللغة .
الموضوع : الدلالة اللغوية ومظاهرها في ديوان لزوم ما لا يلزم
لأبي العلاء المعري .

تاريخ المناقشة : ١٩٨٥/٤/٤ .

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / عبد الله العزازي / مشرفاً
٢ — الأستاذ الدكتور / عبد الله ربيع محمود / عضواً
٣ — الأستاذ الدكتور / محمد أحمد خاطر / عضواً
درجة المنح : مرتبة الشرف الأولى .

الاسم : دكتور / حسن أمين مخيمر .
التخصص : قسم البلاغة والنقد .
الموضوع : الاستعارة وبلاغتها في القرآن الكريم .
تاريخ المناقشة : ١٩٨٥/٥/١٨ .

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / فتحى عبد القادر
فريد
٢ — الأستاذ الدكتور / محمد جلال الذهبي / عضواً
٣ — الأستاذ الدكتور / عبدالعزيز عبد المعطي
عرفة
درجة المنح : مرتبة الشرف الثانية .

ثانيا : رسائل التخصص « الماجستير » .

— ١ —

الاسم : محمد عبد الحليم محمد سليمان
التخصص : مدرس مساعد بقسم اللغويات
الموضوع : تحقيق الجزء الأول من كتاب إعراب القراءات
الشواذ لأبي البقاء العكبري

تاريخ المناقشة : ١٩٨٣/٧/١

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / إبراهيم حسن مشرفا
٢ — الأستاذ الدكتور / محمد يسري زعير عضوا
٣ — الأستاذ الدكتور / مصطفى إمام عضوا

درجة المنح : جيد جدا

— ٢ —

الاسم : رفعت اسماعيل السيد السوداني
التخصص : مدرس مساعد بقسم البلاغة والنقد
الموضوع : البلاغة والنقد في كتاب الكامل

تاريخ المناقشة : ١٩٨٣/٧/٢٠ م

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / محمد عبد الرحمن الكردي مشرفا
٢ — الأستاذ الدكتور / يوسف البيومي عضوا
٣ — الأستاذ الدكتور / محمد جلال الذهبي عضوا

درجة المنح : جيد جدا

الاسم : أبو السعود أحمد محمد الفخراي
التخصص : مدرس مساعد بقسم أصول اللغة
الموضوع : دراسة ديوان حميد بن ثور من الناحيتين الدلالية
والمعجمية

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/٢/١٦

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / عبد الله ربيع محمود مشرفاً
٢ — الأستاذ الدكتور / عبد الله عبيد العزازی
عضوا
٣ — الأستاذ الدكتور / أمين فاخر
عضوا

درجة المتح : ممتاز

الاسم : أبو الفتوح أحمد إبراهيم الغمري
التخصص : مدرس مساعد بقسم اللغويات
الموضوع : الظروف المضائق واستعمالاتها في القرآن الكريم

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/٩/٩

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / مصطفى الغماس مشرفاً
٢ — الأستاذ الدكتور / إبراهيم حسن
عضوا
٣ — الأستاذ الدكتور / محمد يسري زعير
عضوا

درجة المنح : جيد جداً

الاسم : بيع محمد مصطفى صادومة
التخصص : مدرس مساعد بقسم أصول اللغة
الموضوع : النطق وضوابطه في المعجم العربي

تاريخ المناقشة : ١٩٨٤/١٠/٢٧

لجنة المناقشة : ١ — الأستاذ الدكتور / عبد الله ربيع محمود مشرفاً

٢ — الأستاذ الدكتور / عبد الله عبد العزيز

عضواً

٣ — الأستاذ الدكتور / محمد أحمد خاطر عضواً

درجة المنح : ممتاز

الفهرس

الموضوع	الصفحة
— المقدمة للأستاذ الدكتور عبد الله ربيع محمود	٢
— الإيقاع بين الموسيقى واللغة للأستاذ الدكتور / عبد الله ربيع محمود	٥ — ٢٩
— ابن إياذ بين علماء النحو للدكتور / محمد السيد متولى البغدادى	٤١ — ٧٦
— الشاعر أحمد محمد درويش حياته وصور من ابداعه الفنى للدكتور / محمد على سيد أحمد داود	٧٧ — ١١٤
— فن الباروى بين التقليد والتجديد للدكتور / عبد المنعم محمد يوسف	١١٥ — ١٣٤
— مقياس ابن طباطبا فى الحكم على التشبيه وأثره فى الدراسات البلاغية للدكتور / الشحات محمد عبد الرحمن	١٣٥ — ١٤٥
— لحن العيد الألفى قصيدة ، للدكتور الشحات محمد عبد الرحمن	١٤٦ — ١٤٩
— دور العمام فى تحرير المغرب للاستاذ الدكتور أحمد الحفناوى	١٥١ — ١٧٧
— مهرجان الشعر الأول بمناسبة المولد النبوى الشريف	١٧٩ — ٢٠٨
إشراف اللجنة الفنية بزيادة الدكتور / الشحات محمد عبد الرحمن	
١ — كلية الأستاذ الدكتور / عبد الله ربيع محمود عميد الكلية ورائد الشباب فى افتتاح المهرجان	١٧٣ — ١٨٦

الموضوع	الصفحة
٢ — في ذكرى مولد الرسول عليه السلاة والسلام	
« قصيدة » للشاعر اللواء / محمد حلمى الزيات	١٨٧ — ١٩٠
٣ — مولد الغور وحال الأمة « قصيدة » للشاعر	
الدكتور / الشحات محمد عبد الرحمن	١٩١ — ١٩٤
٤ — ابن الإنسان « قصيدة » للشاعر سعيد فايد	١٩٥ — ١٩٧
٥ — بين العلم والأخلاق عالم مضطرب « قصيدة »	
للشاعر ربيع مصطفى صادومة	١٩٩ — ٢٠٢
٦ — دنيا « قصيدة » للشاعر صلاح محمد عبد القادر	
غانم	٢٠٣ — ٢٠٤٢
٧ — يافور « قصيدة » للشاعر أحمد درويش	٢٠٥ — ٢٠٨
— نشاط السكايه اعداد الدكتور / الشحات محمد عبد الرحمن	٢٠٩ — ٢٣١
— فى رحاب كلية اللغة العربية بدمهور اعداد الدكتور /	
عبد الفتاح أبو الفتوح	٢٣٢ — ٢٢٧
الفهرس	٢٣٨ — ٢٣٩

رقم الإيداع بدار المكتب

٦١٩٦ / ١٩٨٤م

